

# الاعوجاج



رواية

سارة سيف الدين

جميع الحقوق محفوظة @ دار مشاعر غالية للنشر الإلكتروني

<http://rwayatmash33rghalia.blogspot.com>

- اسم العمل الأدبي: **العودة**
  - نوع العمل الأدبي: **رواية**
  - المؤلف: **سارة سيف الدين** (Nobian Sara)
  - تصميم الغلاف والداخلي: **سارة سيف الدين**
  - تنسيق وتصميم: **سفانة العبيدي**
  - إصدار: **يونيو ٢٠١٦**
  - إشراف عام: **أسامة الوحش**
  - الناشر: **دار مشاعر غالية للنشر الإلكتروني**
- لنشر أعمالكم إلكترونياً يمكنكم التواصل معنا عن طريق إرسال أعمالكم لحساب الفيسبوك الآتي: **مشاعر غالية للنشر الإلكتروني**

دار مشاعر غالية للنشر الإلكتروني تقدم خدمات النشر الإلكتروني مجاناً وإلى الأبد بهدف نشر الثقافة والمعرفة ، وتشجيع المواهب الشابة عن طريق الإلتشار الواسع على صفحات الإنترنت .  
ملكية العمل الأدبي الوارد بهذا الإصدار على مسؤولية المؤلف بإقراره أنه من نتاج فكرة وبقلمه هو ، والدار غير مسؤولة عن أي إقتباس أو نسخ أو تعديل قام به المؤلف على المادة المنشورة .



رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا

العودة



العودة

رواية

رُبَّ دَعْلَمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلْمًا  
سارة سيف الدين

سارة سيف الدين

مشاعر غالية للنشر الإلكتروني

في إحدى الأحياء الراقية بمدينة القاهرة حيث تراصت المساكن ذات الطابقين فقط جانب بعضها البعض على جانبي الطريق الذي زين بالكثير من الأشجار منها الكبير والصغير وقرص الشمس يزهو بنفسه معلناً انتصاف النهار ، كان هناك شخص يبدو منافياً تماماً للمكان بملابسه الرثة وهيئته غير المهندمة وجسده الهزيل ، سار في إحدى الجانبين مطأطأ الرأس يقدم خطوة ويؤخر أخرى وقد ارتسم على وجهه كل معاني الحزن واليأس. بدا وكأنه لا يعلم إلى أين هو ذاهب فلم يكن ينظر أمامه؟! أو ربما يعلم جيداً متى سيتوقف؟! .  
الطريق كان هادياً تماماً وخالي من المارة ماعداه فإذا اقتربنا منه لوجدنا خلف هذا الكم الهائل من الحزن واليأس والكثير من التردد وجه شاب تعدى العشرين بثلاث سنوات لم يزل بريق عينيه يلمع مع بعض أثر العبرات التي تسبح فيهما، وأخيراً قرر أن يرفع رأسه وتوقف عن السير وهو يتطلع بنظرة حزينة جداً لهذا المنزل الاتيق القابع في الجانب الآخر محدثاً نفسه:

" لم تتغير كثيراً...على الأقل من الخارج لكن .....أنا واثق أن الكثير تغير في الداخل."

## العودة

اتكأ على الشجرة التي وقف جانبا معلقاً بصره بباب المنزل ومازال حديث نفسه مستمر:

"هل ستبقى واقف هكذا؟! هيا اذهب إليهم .... لكن ترى كيف سيكون الاستقبال... هل مازالوا يذكرونني ... أم اعتبروني في عداد الاموات .... يجب أن أدخل وإلا فلما جئت ، ففي كل الاحوال لن استطيع أن أعود من حيث أتيت... فالثمن هو حياتي إذا فعلت"

وقبل أن يحول قراره لواقع فُتح الباب مما دفعه للاختباء خلف الشجرة العملاقة التي كان يتكأ عليها مراقباً ليجد فتاه تخرج من المنزل - تبدو على مشارف العشرين- بخطوات سريعة لتهبط الدرجات القليله التي تفصلها عن الممر الصغير الذي في نهايته الباب الرئيسي للمنزل. حدق في وجهها ليتعرف عليها ورغم بعد المسافه كان واثقاً أنه لم يرها من قبل. كانت ترتدي الحجاب وملابسها تميل كثيراً للاحتشام وما أن خرجت من الباب الرئيسي حتى أسرع لسيارة صغيرة لتجلس خلف عجلة القيادة وهي تنظر لباب المنزل الداخلي في انتظار أحدهم. -"يا الهي من هذه الفتاه.. لم أراها من قبل.. معقول.. هل تركوا المنزل؟... كيف سأعثر عليهم... كان هذا هو أمني الوحيد...."

اطلق زفره حارة وأطرق برأسه وقد شعر بقلبه وكأنه يمزق

"كانت.... فرصتك الأخيرة.. لكنك لا تستحقها... نعم أنت لا تستحقها"

أراد أن يتحرك ليغادر ولكن لم تطاوعه قدماه وتناهى إلى أذنه صوت فتاه....

- أنا قادمة.. أنا قادمة.

رفع رأسه من باب الفضول ينظر من هذه الأخرى التي تخرج من المنزل لتركب السيارة مع الاولى. كانت مختلفه كثيرا فلقد تركت لشعرها العنان وارتدت ملابس تشبه الصبيان من

## العودة

بنطال وقميص بلا أزرار ، وما أن رآها حتى أخذ يدقق أكثر فيها حتى ركبت السيارة وانطلقتا بها فكاد يقفز في مكانه ولاول مرة منذ زمن يشعر بالفرحه وقال بصوت متهدج:

- زهرة.... إنها هي زهرة.... حمداً لله.... حمداً لله. هم مازالوا هنا إذاً.

تمالك نفسه وقد علت الابتسامة شفثيه وأدار رأسه ليعود ناظراً للمنزل لكنه انتفض وارتد خطوة للوراء حيث اصطدمت عيناه بنظرة قوية صارمة من شاب كان يقف أعلى درجات السلم ينظر له مباشرة، لم يعرف ماذا يفعل وقد شلت قدماه تماماً بينما هبط الشاب ذو الخمس وعشرون ربيعاً السلم متجهاً نحوه عابراً الطريق ليقف أمامه مباشرة بنفس النظرة القوية الصارمه ثم قال:

- من أنت؟! وماذا تريد!؟!

لم ينطق بكلمه فأردف :

- أنا رأيتك من النافذه ظللت فترة تحدق في المنزل ثم في أختي وصديقتها. فمن أنت؟

كان يحدثه وفي عينه نظره استنكار فمظهره يدل على أنه من المستحيل أن يكون على صله بأخته أو صديقتها أما هو فقد عرفه وشعر بقلبه يقفز فرحاً لكن لم يظهر عليه شيء من هذا، إلا أنه لم يستطع أن يخفي هذه النظرة التي طلّت من عينيه والتي كانت تحمل كل مشاعر الحب والامتنان والاشتياق أيضاً، استطاع الآخر أن يقرأها فزادت حيرته فقال:

- من أنت!؟!

فرج الشاب شفثيه وقال في حنو:

- عبقرينو.. أنت عبقرينو.

رفع الآخر إحدى حاجبيه مردداً:

# العودة

- عبقرينو.

ثم سرعان ما شرد بذهنه، فهذا الاسم لم يعد يسمعه منذ فتره طويله، وتذكر وتعال  
الاصوات في عقله.....

".....عبقرينووووووو..... لن تستطيع أن تمسكني....."

....بل سأستطيع يا مشاكس...وسترى....

....كفأكما يا أطفال.... وادخلا البيت فوراً..

....لم تصر على أن تناديننا أطفال....نحن لسنا أطفال...

.... سنظل كذلك في أعيناهم..."

هدأت الأصوات رويداً في عقله وعاد يحدق في الوجه الذي أمامه والذي بدأت العبرات  
تجري عليه فعلاً، فاقترب منه أكثر ثم قال في شك:

- مازن.... أنت مازن.

أوماً مازن برأسه في بطاء قائلاً بصوت يمزق القلب:

- نعم زياد.... هو أنا...أمازلت تذكرني؟

حدق زياد في وجهه بذهول غير مصدق ثم رفع يده ليحيط كتفيه ويضغطها بأصابعه وكأنه  
أراد أن يتيقن أنه لا يقف أمام سراب وارتسمت على وجهه المزيد من المشاعر المختلطة من  
فرح وسعاده وذهول وحزن وألم:

- أنت هو حقاً.... لقد عدت... لقد عدت.

جذبه بقوه وضمه لصدره وهي يحضنه بقوة مردداً:



# العودة

- حمداً لله.. حمداً لله... كنت أعلم أنك ستعود يوماً... كنت أعلم.

كان مشهد غريب، فمن يرى زياد بملابسه الانيقه غاليه الثمن لتصوره شخص مجنون ليضم إلى صدره هذا الذي يشبه المتشردين أما مازن فلم يكن يتخيل مثل هذا الاستقبال فتدفقت دموعه أكثر وأكثر وكذلك زياد الذي كان يبكي ثم رفع رأسه ناظراً لمازن وقال:

- أين كنت؟! ولم فعلت هذا؟! لم تركتنا؟!

أطرق مازن رأسه قائلاً:

- لا أريد أن أتحدث عن الماضي... لا أريد

حديق زياد في وجهه قليلاً ثم هز رأسه قائلاً:

- حسناً.. ليس الآن... تعال... تعال يا أخي وابن عمي وابن خالتي، كم أشتاق لهذه الألقاب الكثيرة التي كنا نردها لبعضنا البعض، سيسعد الجميع بعودتك.

أمسك زياد بذراع مازن ليجذبه باتجاه البيت لكن مازن شعر وكأن قدماه ثقيلتان فنظر له زياد:

- ماذا بك؟!.. هيا تحرك... ألم تشتاق للبيت؟

جذبه بقوة أكبر فتحرك معه أخيراً، عبر الطريق ليدخلا إلى المنزل وما أن وضع مازن قدمه فيه حتى شعر بقلبه ينتفض ودار برأسه يتفحص كل شبر بالمنزل:

"...يا الهي لم أتصور أن أعود لهذا المنزل يوماً..."

- زياد.



# العودة

- كيف تمسك يدي بهذا الشكل؟! -

تركها زياد قائلاً:

- لأني لن أدعك تضريه.... فما كان أبي سيقبل بهذا الاستقبال له.

انسابت الدموع علي خديها قائلة:

- أباك....أليس هذا.... هذا هو قاتل أباك؟! -

- أمي!! -

قالها زياد في غضب ثم التفت لمازن الذي شهق محمداً في وجهها قائلاً:

- ماذا قلتي؟! -

اطلقت زفره حارة وقبل أن تضيف قال زياد:

- أمي..عودي إلى حجرتك أنت متعبه.... ويكفي هذا.

لكن مازن لم ينتظر بل التفت ليغادر المكان فأسرع زياد يتعلق به:

- إلى أين أنت ذاهب؟ -

دفعه مازن بعيداً عنه:

- لا شأن لك بي...دعني.

لكن زياد لم يتركه بل ظل متعلق به:

- لا، لن أدعك...ليس بعد أن عدت.... لن تضيع منا مرة أخرى.

- دعني ..قلت لك دعني.

# المودة

صاح زياد في عنف:

- لا...قلت لا.

توقف مازن عن محاولة الانفلات من زياد ليحذق في وجهه فقال زياد:

- اهدأ يا مازن اهدأ...تعال معي... أتعلم أن حجرتك كما هي...لم يتغير فيها شيء.

تحرك معه مازن فعلاً في استسلام بينما تتابعهما الام ومازالت العبرات تنهال من عينيها. صعدا إلى الطابق العلوي وقاده زياد لحجره في منتصف الممر فتح بابها دافعاً إليها مازن الذي اتسعت عيناه عندما رآها، هي حجرتها كما هي، كما تركها، لم يتغير فيها شيء دار برأسه في المكان وزياد يقول:

- أريت...كما تركتها بالضبط. أليس كذلك؟

نظر له مازن قليلاً ثم قال:

- لم تقول خالتي أنني قتل...  
مشاهدة

قاطعه زياد:

- ليس الآن..أنت متعب حتماً...يجب أن تنال حماماً ساخناً وستخرج لتجد أفضل الثياب على سريرك لترتديها..وأريدك بعدها أن تغط في نوم عميق ولنا حديث عندما تستيقظ... سأذهب لإحضار الثياب وسأعود لا تتحرك من هنا.

ظل مازن يقف مكانه ورغم أنه كان منهك القوى لكنه لم يرد الجلوس حتى لا يتسخ الفراش النظيف بملابسه الرثة، ثم اقترب من المنضدة الصغيرة التي بجانب السرير ورفع من عليها اطار يجوي صورة كبيرة تجمع عائلتين معاً كانت الابتسامه هي السمه المشتركه لكل

# العودة

الوجوه في الصورة. أغلق مازن عينيه في ألم واندفعت العبرات منها وغاص في بحر ذكرياته.....

".....قال أحدهم:

سنزوج زهرة لمازن..ما رأيكم!!؟

صدر صوت آخر:

لعلها لا يتفقا..فلنترك الأمور لطبيعتها..هما مازالا أطفال.

فقال الاول:

..أخي الأكبر..دائماً يتكلم بصوت العقل...أنا أريد أن أضمن أن علاقة أبنائنا تكون كعلاقتنا...

فقال صوت أنثوي:

نحن قادرون على أن نجعلهم كذلك.... ها نحن نعيش معاً في منزل واحد... أخين تزوجا من اختين....هل يوجد ترابط أكثر من هذا.

فصدر صوت أنثوي آخر:

صدقتي أختي.... بل أنا أفكر بدل من استخدام لفظ خالتي وعمي..الكل يقول أبي وأمي....

ردد الجميع:

فكره ممتازة....."

# المودة

- مازن.

التفت مازن لصوت زياد الذي كان يقف بقربه ناظراً له في حزن فأردف:

- لا تبكي يا مازن...سيكون كل شيء على ما يرام.

أخذ منه الصورة وأعادها لمكانها ثم قال:

- هيا... ارتدي هذه الملابس..سأنتظرك هنا.

أخذ مازن الملابس لكنه لم يتحرك ضحك زياد قائلاً:

- لا تقل لي أنك نسيت الطريق.

لم يبتسم مازن بل ظل يحدق في وجهه زياد الذي اختفت ابتسامته وتهد قائلاً:

- حسناً.... اتبعني.

سار خلفه مازن وأوصله قائلاً:

- سأنتظرك في حجرتك.

\*\*\*\*\*

تعالات الأصوات واختلطت ببعضها في هذه الساحة الكبيرة لأحد الأندية الاجتماعية ما بين

أطفال يرحون وصبيان يلعبون وكبار يتحدثون ومن بين هؤلاء جلست زهرة مع صديقتها

المقربة لها كثيراً قائلة:

- أنتِ لا تفهمي ياسمين..أنا احبه فعلاً.

نظرت لها ياسمين مستنكرة :

## العودة

- زهرة...توقفي عن ترديد هذه الكلمة...هذا الذي تتحدثين عنه لا يستحق أي احترام..فما بالك بالحب.

عقدت زهرة حاجبها:

- لكنني أحبته...وأصبح يشغل كل تفكيري.

هزت ياسمين رأسها:

- أنا لا أصدق هذا الكلام....كيف تحببه وأنت تعلمين جيداً أنه لا يشغله إلا الايقاع بالفتيات مستغلاً وسامه كبيره حباه الله بها...أنتِ نفسك قلتي هذا عنه.

- نعم أنا لا أنكر..لكن بعد أن اقترب مني وتحدثت إليه الامر اختلف.

- لا ..لم يختلف...كل ما حدث أنه نجح وبجداره في الايقاع بك أنتِ أيضاً...اسمعي جيداً يا زهرة..إذا لم تتعدي عنه سأخبر أخاك زياد...وهو يعرف سمعته جيداً.

شهقت زهرة قائلة:

- لا....لا يمكن أن تفعلي ذلك.

قالت ياسمين في عناد:

- بل سأفعل....مادمت لا تريدي أن تحمي نفسك...سأحميك رغماً عنك.

غمزت زهرة بعينها قائلة:

- هل هذا هو السبب حقاً...أم أنك تفتقدين الحديث مع أخي؟

هبت ياسمين من مكانها وقد تملكها الغضب:

# العودة

- ماذا تقصدين بهذا التلميح السخيف؟!

أسندت زهرة جسدها على مسند المقعد التي تجلس عليه قائلة:

- أنا لا أقصد شيء... هل كنت أقصد شيء؟

قالتها بأسلوب ساخر زاد من غضب ياسمين وأرادت أن تترك المكان لكن زهرة تعلقت بذراعها ودفعتها للجلوس قائلة:

- اجلسي... إلى أين أنتِ ذاهبه، كفي عن هذا.. أنا لم أكن أقصد شيئاً.

ضاقت عينا ياسمين قائلة:

- بل كنت تقصدين؟!

لوح زهرة بيديها قائلة:

- حسناً.. نعم.. كنت أقصد شيئاً... لكنه شيء سخيف ليس له أي علاقة بالواقع... إنما هو شيء أحلم به فقط... مجرد حلم.

هدأت ياسمين بعد أن فهمت ما ترمي إليه زهرة ثم قالت:

- دعينا نعود لموضوعنا... ما قلت سيحدث إذا لم تتبعدي عن هذا الشاب... ولن أعيد كلامي يا زهرة.

قلبت زهرة شفيتها في ضيق قائلة:

- حسناً.... حسناً... ولكن ماذا لو لم استطع أن أنساه.

- استعيني بالله... وللمره الالف يا زهرة أتوسل إليك.... ارتدي الحجاب... سيكون لك حصناً حصيناً... صدقيني.



# العودة

- وللمرة المليون.... أنت لم يجبرك أحد على ارتداء الحجاب فلا تجبريني.

- أنا لا أجبرك.... أنا أريدك أن تفعلي ما أمرنا الله به.

- قبل حجابك لم تكوني تسمحي لأحد أن يحدثك في هذا الأمر.

- كنت عمياء والآن أبصرت...وأريدك مثلي...قبل أن يفوت الأوان.

لم تعلق زهرة فهي تعرف نهاية الحوار، لذا التزمت الصمت ثم نظرت لساعة يدها قائلة:

- هيا بنا....ستبدأ مدرسة الرياضة..دعينا نلحق بها من البداية.

هزت ياسمين رأسها في أسى.

\*\*\*\*\*

عاد مازن لحجرته ليجد زياد ينظر من النافذه وما أن شعر به التفت ليطلق صفيراً قائلاً:

- من هذا الشاب الوسيم يا ترى؟!

وجد مازن نفسه يبتسم فاقرب من زياد وضمه إلى صدره هامساً:

- حمد لله على سلامتك. كلمة اشعلت حُلماً

ثم اعتدل ناظراً لوجهه ثم مد يده يرفع خصلات شعر مازن الكثيفه التي غطت عيناه تقريباً  
قائلاً:

- شعرك طويل وغير منظم على الاطلاق ..... لا بأس سنعمل على تهذيبه.

ثم جذبته باتجاه الفراش قائلاً:

# العودة

- أعتقد أنك بحاجة إلى نوم عميق.

لكن مازن توقف قائلاً:

- زياد...كيف مات عمي؟!!

نظر له زياد قليلاً ثم قال:

- ما هذا السؤال؟!... كيف يموت الناس يا مازن؟!!

- لكن خالتي قالت....

قاطعته زياد قائلاً:

- خالتك متعبه منذ وفاة عمك.... التي كانت منذ ستة أعوام....أي أنه مات بعد رحيلك بأربعة أعوام، وأنت ليس لك أي علاقه بالأمر.... والأن فلتنم.... نم كما تشاء...حتى لو ستستيقظ صباح الغد.... ولا تشغل بالك بما مضى ..فأنت نفسك طلبت مني ألا أتحدث عن الماضي... على الأقل حالياً.

لم يعلق مازن فاتجه زياد للباب قائلاً:

- نوماً هنيئاً...أخي.

ثم أغلق الباب خلفه تاركاً مازن يجول ببصره في الحجره.....

" حقاً..هي كما هي يا زياد...لم تتغير...ألهده الدرجة كنت واثق من عودتي؟...لكنني أشعر أنك وحدك سعيد بهذه العودة فرد فعل خالتي قد وضح ولا أظن أن رد فعل زهرة سيختلف ... وماهر....يا الهي لم أسأل عنه...أخي الصغير الذي تركته وهو في الخامسة من عمره....تري كيف سيكون استقباله لي؟"

# العودة

استلقي بجسده على الفراش ولم يمهله الوقت كثيراً فمن كثرة التعب أغلق جفناه ليغط في نوم عميق.

"..... لن أتركك أيها الوغد.. سأخذ ثأري منك.... لن أتركك أبداً.."

أخذ مازن يعدو كالمجنون وهذا الصوت خلفه هو يعلم جيداً من صاحبه... ويعلم أنه إذا توقف فهو هالك لا محاله يجب أن يهرب يجب.... فأخذ يعدو... ويعدو ومازال الصوت خلفه

..... أهرب كما تريد... سأصل إليك حيث تكون... سأصل إليك..

وشعر بيد توضع على كتفه فانتفض فرعاً يبعدها عنه"

- يا الهي.. مازن.. مازن... اهدأ... إنه كابوس.

انتبه مازن أنه مازال في فراشه وزياد يتحدث إليه تلفت حوله ليلاحظ أشعة الشمس، لقد نام لليوم التالي.. هو بالفعل متعب جداً وربما كان لينام ليومان.

- أسف.... لقد كان حلم سيء.

- لا بأس... لو بيدي لمسحت من رأسك كل ذكرى مؤلمه.

حذق مازن في وجهه قليلاً ثم قال:

- لم يا زياد؟!

زياد في دهشه:

- لم ماذا؟!

# العودة

- لم تحنو علي بهذا الشكل... لم أشعر أنك الوحيد السعيد بعودتي؟!!

- ما هذا الكلام؟! الكل سعيد بعودتك ... وزهرة بالاسفل الان في انتظار رؤية ابن عمها الغائب ... هيا أمي وأختي في انتظارك على مائدة الإفطار.

نهض مازن ثم قال:

- وماهر...

التفت له زياد مبتسماً:

- ماهر... ليس هنا... هو في شرم الشيخ مع بعض رفاقه... لقد أنهى دراسته الثانوية هذا العام وبذل مجهود عظيم ورغم أن النتيجة لم تظهر بعد لكنه أصر على أن ينال بعض المرح بعد تعب هذه المرحلة... سيعود غداً.

ثم أشار له:

- سأنتظرك بالاسفل لا تتأخر.

أوماً مازن برأسه فخرج زياد ليتركه، ذهب مازن للاغتسال وشعر بضربات قلبه تتضاعف ليس لمجرد أنه سيرى زهرة التي تركها وهي في العاشرة من عمرها ولكنه لم ينسى كيف استقبلته خالته ولا يعلم أهدأت أم لا.

هبط الدرج ببطء شديد والتفت إلى الباب الذي يؤدي لحجرة الطعام مازال يذكر مكانها كان الباب مفتوح ويقف عنده رجل كبير السن قليلاً كان ينظر لمازن مبتسماً في ود فاتجه اليه وألقى عليه التحية فقال الرجل:

- حمداً لله على سلامتك سيد مازن.

# العودة

- فقط مازن.... يا عم...

اتسعت ابتسامة الرجل قائلاً:

- فريد... اسمي فريد.

- يا عم فريد.

أشار له ليدخل قائلاً:

- إنهم في انتظارك.

أخذ مازن نفساً عميقاً ليخطو داخل الحجره فسمع صوت زياد:

- تعال يا مازن... اجلس جانبي.

ظل مازن ينظر أرضاً متجهاً لحيث يجلس زياد ولكن وهو في الطريق رفع عينيه ناحية زهرة التي كانت تتفحصه من رأسه حتى أخمص قدميه، مما زاد ارتبأكه فنظر لزياد وجلس بجانبه فضحك قائلاً:

- ارفع رأسك.. ماذا بك؟... وكأنك لا تعرف أهل هذا المنزل.

لم يستطع أن ينظر لحالته لكنه نظر لزهرة قائلاً:

- كيف حالك زهرة؟

مطت زهرة شفثها وهي تحرق في وجهه بطريقة مستفزة:

- مازلت تذكر اسمي هذا جيد.

- زهرة.

# المودة

قالها زياد مؤنباً فأدارت رأسها بعيداً قائلة:

- أنا بخير.

لم يتوقع مازن استقبال أفضل من هذا فزهرة منذ كانوا أطفال وهم يتشاكسون دائماً ، قال زياد:

- لقد أنهت زهرة دراستها بكلية الألسن هذا العام وتخصصت في اللغة الهندية... ولا تسألني عن السبب ..فهي التي أصرت على ذلك.

حاول مازن الأبتسام قائلاً:

- منذ صغرها وهي تحب متابعة الدراما الهندية وكل ما يتعلق بهم.

عقدت زهرة حاجبها قائلة:

- يبدو أنك لم تنسانا كما تصورت...رغم أنني نسيت كل شيء عنك.

- زهرة.... ما هذا الذي تقوليه؟!

قالها زياد بعصبيه فقال مازن:

- لا بأس زياد...هي معها حق... أرجوا ألا تكون عودتي سببت لك أي ضيق.

لم تهتم زهرة بالاجابة التي لم ينتظرها مازن أيضاً، فقال زياد ليغير دفة الحديث:

- ألن تأكل؟!

- سأكل.

وما أن بدأ في الطعام حتى شعروا جميعاً أنه كان جائع...جائع جداً.

# العودة

تركه زياد قليلاً يستمتع بالطعام ثم قال:

- ماذا ستفعل اليوم؟!

ابتلع مازن ما في جوفه من طعام ثم قال:

- أنا... لا أعلم... لا شيء... لن أفعل شيء.

- حسناً... هل هناك شيء معين تجيده؟.. أو تعلمته طوال الفتره التي قضيتها بعيداً عنا؟

توقف مازن عن الأكل ثم شرد ببصره قليلاً قائلاً:

- أعتقد أنني تعلمت أن أتعامل مع كل أنواع البشر، وأن أحكم على الكثير منهم.

قالها بصوت حزين مما جعلهم جميعاً يحدقون في وجهه فانتبه لهم قائلاً:

- أقصد أنني جيد في التعامل مع الآخرين.

ابتسم زياد قائلاً:

- هذا ممتاز... سنتنضم إلى مكنتي الهندسي إذا.. وستكون المسئول عن العلاقات العامة

والتعامل مع العملاء.. ما رأيك؟!

نظرت له زهرة وكذلك أمه في استنكار بينما حدق مازن في وجهه بدهشه قائلاً:

- حقاً... أنت تقصد هذا؟!

أوماً زياد برأسه:

- طبعاً أقصده.. أنت تعلم منذ صغري كنت أحلم بأن أكون مهندس معماري والحمد لله الان

لدي مكتب هندسي محترم يشاركني فيه اثنان من أفضل أصدقائي في الجامعة وهو يدر

علينا مبالغ محترمه... ويسعدني أن تنضم إلينا.. وبما أنك تجيد التعامل مع الآخرين.. ونحن ليس

## العودة

لدينا من يتولى أمر الآخرين فالحل الأمثل أن تنضم إلى فريقنا وتصبح المسئول الأول عن العملاء..وأنا واثق أنك ستكتسب ثقة زملائي سريعاً.

نظر له مازن في امتنان قائلاً:

- لا أعرف كيف أشكرك..ولكن هل تظن أنني سأنجح؟

- إن شاء الله ستنجح.... إن شاء الله. والآن يجب أن أذهب إلى عملي... وأخبرهم بعودتك وانضمامك إلينا..ثم أعود لك لنخرج وتبضع..... يجب أن تشتري ملابس لك مناسبة..فلا بد أن تظهر أمام الجميع في منتهى الاناقة.... لن أعب عليك.

وقف زياد بالفعل فترك مازن طعامه ووقف هو الآخر فقال زياد:

- هل انتهيت؟!

- نعم....سأصعد إلى حجرتي وعندما تعود ستجدني فيها.

- أنت لست مجبر على الانتظار فيها طوال الوقت.

- أعلم .

لم يزد أكثر بل خرج تاركاً الغرفة فالتفت زياد لأمه وأخته:

- لا أريد أن يضايقه أحد.... مفهوم.

قال كلمته الاخيرة وهو يرمق زهرة أخته بنظرة تحذير فأشاحت بوجهها بعيداً قائلة:

- لا تنظر لي هكذا.... أنا لن أقرب منه... أنا لا أتعامل مع مجرمين.

صاح :



- زهرة.

ثم خفض صوته قائلاً:

- لو قلتي مثل هذه الكلمة مرة أخرى لن أسامحك أبداً.

وقفت تنظر إليه:

- أفق..أخي العزيز.. من هذا الحلم الذي تعيشه..هل جنت؟..تريد أن تضمه لمكتبك ويصبح جزء من عملك ليس فقط من حياتنا دون أن تحاول أن تسأل نفسك..لماذا عاد؟!...ولماذا الان بالذات، وأين كان؟!..وهل عودته هذه للهروب من شيء ما....وهل هذا الشيء يعرض أيا منا للخطر؟

حرق زياد في وجهها قليلاً وكأنها تذكره بأمور لا يعرفها فقال:

- مازن لن يعرض أيانا للخطر.... وهذه الاسئلة سيجيبها في الوقت المناسب له... لكنني اعرف انه لازال مازن ابن عمي.

حكّت زهرة رأسها وكأنها تفكر:

- مازن!!...مازن من بالضبط؟...هذا الصغير الذي كان على مشارف المراهقة قبل أن يتركنا...أم هذا الشاب اليفع الذي غاب عنا ١٠ سنوات كامله..لا نعرف أين كان..ومن عاشر... يجب أن تسأل نفسك يا زياد...أليس عشر سنوات كفيله بتغير الآخرين حتى الكبار منهم..فما بالك بمن مازال ينشأ ويترعّع؟

أطرق زياد رأسه قليلاً ثم رفعها قائلاً:

## العودة

- أنا أثق فيه كثقتي في نفسي..ومرة أخرى ليس مسموح لأحد بمسه بأي سوء ولو بالكلام..... سنردد ما كنا نرده لماهر...مازن سافر ليدرس بالخارج في منحه لجأ إليها دون إذن منا ولن يكون أكثر من ذلك...أرجوا أن يكون كلامي واضح.

فنظر لأمه متوسلاً:

- بالله عليك أمي... لا تزيدني همه..يكفي ما هو فيه وما لانعرف عنه شيء.... وتذكري أنه مازن.... طفلك المدلل.

قالت الام في هدوء:

- هذا ليس طفلي المدلل....يكفي أن أنظر إلى عينيه لأتأكد أنه ليس طفلي المدلل.... هل نظرت إلى عينيه جيداً يا زياد...عشر سنوات... يمكن أن تغير أحجار وجبال...فكيف بها إذا ما مرت على انسان.

حرق زياد في فراغ أمامه ثم قال في عند:

- فليكن..نحن أيضاً تغيرنا..لكننا لم نصبح أشرار.

لم يصف أحد شيء فسلم عليهما وغادر فقالت زهرة:

- ماذا أصاب زياد يا أمي... لم هو حريص عليه إلى هذا الحد؟

لم تعلق أمها بل غادرت المائدة وتركت ابنتها تنظر لها في دهشه فجلست وهي تردد:

- ما الذي عاد بك يا مازن..ألا يكفي أنك قلبت حياتنا رأساً على عقب بما فعلت في الماضي..وبعد أن اعتدنا غيابك عدت لتقلبها مرة أخرى.

# العودة

قاد زياد سيارته متجهاً إلى عمله مفكراً فيما قالته زهرة....

".....لماذا عاد؟!... ..هل هذا الشيء يعرض أياً منا للخطر..."

مستحيل... لا يمكنه تصور ان يفعل بهم مازن أي شيء سيء... ولكن أخته على حق.. لقد غاب لفترة طويلة وحتى الان لا يعرف عن تلك الفترة أي شيء.. فهو يرفض الحديث عنها.. هل يخجل من تلك الفترة أم يخفي ما لا يجب أن نعرفه عنها؟.

هز رأسه نافضاً تلك الافكار منها.. يلوم أخته على كلماته التي ألقته في تلك الحيرة.

صعد إلى مكتبه وهو لا يزال شارد حتى أنه ألقى السلام على أصدقاءه وشركاءه في العمل دون تركيز فقال أحدهما للآخر:

- ماذا أصاب هذا الشاب؟!

حك الآخر ذقنه ثم قال:

- لا أعلم.... يبدو أن هناك أمر خطير يشغله... دعه يا مراد..سيخبرنا إذا أراد.

استمر زياد في شروده وتساؤلاته مع نفسه...

"... أيمكن أن يؤذينا مازن... لا.. لا أنت لا تصدق ما تقول يا زياد..عد إلى رشدك..."

التفت إلى الهاتف ليضرب أزراره بسرعة وما أن سمع صوت محدثه:

- عم فريد...

لم يعرف ماذا يقول فتسلل إلى أذنه صوت فريد الهاديء:

- سيد زياد!! ماذا هناك؟!

# المودة

- أمم.. كيف حالكم؟!

"ياالغباء ي!! ما هذا الذي أقول؟!!"

شعر بابتسامة فريد الدافئة ترسم على شفثيه وهو يقول:

- نحن بخير..سيدي...هل حدث شيء؟!

- لا...لا يا عم فريد.... أين مازن؟!

- هو في حجرته، أتحب أن تحدثه؟

- لا..لا..

قالها بسرعه وحده غريبه ثم تماسك مرة أخرى قائلاً:

- وأمي وزهرة.

صمت عم فريد برهه ثم قال بنفس هدوء المعتاد:

- السيده في المكتب تقرأ كالعاده...والانسة زهرة..تتابع التلفاز.

شعر زياد بالغباء وأن الشيطان تملكه لدرجة أنه تصور أن مازن قد يسيء لأهله فعلاً، عاد

للواقع على صوت فريد: **كلمة اشعلت حلماً**

- سيد زياد..كل شيء على ما يرام...والوافد الجديد لم يخطو خارج حجرته منذ أن جاء.

ابتسم زياد وهو يقول:

- أشكرك عم فريد..هل لي برجاء؟!

- تفضل سيدي.

# العودة

- لا تخبر أحد أنني اتصلت بك... أي أحد.

- مفهوم.. سيدي.. لن أخبر أحد.

زادت ابتسامة زياد لينهي مكالمته ويعيد سماع الهاتف مكانها وهو يضرب رأسه:

- يا لغباءي.. لقد شعر عم فريد بقلقي.. ولكن هل يمكن أن يكون فهم؟.. ولم لا؟ هذا الرجل

دائماً يثبت لي أنه أكثر من عرفت ذكاءً.

أخذ نفساً عميقاً ثم قال:

- يجب أن أخبر أصدقائي بأمر مازن. عدل هندامه سريعاً ثم خرج من مكتبه متجهاً

للمكتب الذي يجمع ياسر ومراد قائلًا:

- لدي لكما خبر هام.

تطلعا إليه في دهشه ثم تبادلوا النظرات وقال مراد:

- حقاً... جيد.. هل ستتزوج؟!

رفع زياد حاجبيه قائلًا:

- أتزوج؟!.... ألا يشغل تفكيرك غير هذا الامر.

- نعم.. فأنت أغنانا.. وأكثرنا جاذبيه.. فلم لا تتزوج؟

قبل أن يرد زياد قال ياسر:

- كفاك يا مراد... دعنا نعرف ماذا كان يريد أن يقل؟

ثم نظر لزياد مردفًا:

# العودة

- تكلم..ماذا لديك؟!

ابتسم زياد له ثم قال هو يتربص رد فعلها:

- لقد عاد لنا بالامس شخص عزيز غاب عنا سنوات طويلة.... هو ابن عمي مازن.

اعتدل كلاهما محدقين في وجهه وقال ياسر:

- مازن..مازن من؟!

- ابن عمي...وأخو ماهر...أنتما تعرفانه.

قال مراد:

- أخو ماهر...لم أكن أعلم أن لماهر أخ.

مط زياد شفنيه قائلاً:

- وها قد علمت...المهم..أنه قد عاد لنا...وأنا فكرت أن أجعله ينضم لنا هنا في

مكتبنا...سيعمل في العلاقات العامة...أي سيتولى أمر العملاء..ما رأيكما؟!

هز مراد كتفيه:

- لا مانع..عندي. **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

فالتفت لياسر الذي ظل يحدق في وجهه مع بعض الدهشه فقال:

- وأنت يا ياسر... ما رأيك؟!

- كما تريد..فأنت صاحب النصيب الأكبر في هذا المكتب.

نظر له مراد مندهشاً وكذلك زياد حيث قال جملته بأسلوب غريب وغير ودي فقال زياد:

# العودة

- ماذا يعني هذا؟! نحن أصدقاء ورفاق وشركاء..وأنا استشيركما.

رد ياسر:

- لا بأس....فليأتي...ولنرى هل سيضيف لنا أم لا؟!!

قالها ثم قام من خلف مكتبه متجهاً للخارج فأمسك زياد بذراعه قائلاً:

- ياسر..ماذا حدث؟!..هل أخطأت في شيء؟!!

نظر له ياسر قليلاً ثم قال:

- لا يا صديقي... أنت لم تخطيء في شيء..

وقف مراد قائلاً:

- أعتقد أنك كنت ذاهب لتعد كوب من القهوة...سأذهب أنا وأعد لك معي.

تركها مراد وحدهما ليتكلما وفعلاً فور أن خرج قال زياد:

- ياسر..ماذا هناك؟!!

تطلع له ياسر قليلاً ثم قال:

- منذ متى ونحن أصدقاء يا زياد؟

اندهش زياد من السؤال لكنه أجاب:

- منذ كثير... فنحن أصدقاء من المرحلة الجامعية.

- لم أشعر وكأني لا أعرف عنك شيئاً.

- لم كل هذا؟

## العودة

- لا أعلم هل من حقي أم لا...ولكن عندما ذكرت أمر ابن عمك الذي لا نعلم عنه شيء في حين نعلم عن أخيه الصغير..شعرت وكأني شخص عادي بالنسبة لك..لا أعلم عنك شيء.

افلت زياد ضحكة قصيرة:

- ياسر..ألن تكف عن حساسيتك الزائدة هذه؟ كل ما في الأمر أن مازن غاب سنوات طويلة تحديداً ١٠ سنوات وقد توقفنا منذ زمن عن الحديث عنه وإن كان لم يغيب عن ذهني..كما كنا فقدنا الأمل في عودته لذا لم نكن نُحدث أحد عنه..وعودته بالامس كانت مفاجأة للجميع.

- ولكن غريب ألا يتحدث عنه أحد على الاطلاق.

- دعنا مما مضى..فأنا يسعدني أن أعرفك عليه كثيراً.

استسلم ياسر لكلمات صديقه المقرب قائلاً:

- وأنا بالتأكد سيسعدني أن أتعرف عليه.

- حسناً سأذهب الآن..لقد وعدته ألا أتأخر عليه.

قالها زياد في سعادة فقال ياسر:

- تبدو سعيداً بعودته.

- نعم أنا كذلك، فلقد طال انتظاري له.

- ومع ذلك لم تحدثني عنه أبداً.

هز زياد رأسه:

- ياسر..توقف... أخبرتك السبب...والان سأصرف...وسنلتقي بعد غد في العمل .



# العودة

- أئن أراك في المساء أو غداً؟!

- لا يا عزيزي..اليوم بالكامل لمأزن...فقط وكذلك عطلة الأسبوع خاصة أن مأهر سيعود غداً سنقضي اليوم معاً.

\*\*\*\*\*

جلس مأزن في غرفته دون أن يهتم بالوقت أو حتى بما يفعل ظل نائماً على فراشه متطلعاً إلى السقف غارقاً في ذكرياته وأفكاره أحياناً ترسم على وجهه مشاعر الحزن وأحياناً الغضب وأحياناً الخوف وبينما هو كذلك لمح فوق دولابه صندوق صغير اعتدل فور أن رآه واتجه إليه مباشرة ليأخذه وعاد إلى سريريه واضعاً الصندوق أمامه

- ياااه..معقول..مأزال هذا الصندوق هنا.

كان الصندوق مغلق بقفل صغير أمسكه بأنامله، اعتدل مفكراً ثم اتجه للمكتب الصغير الذي يقبع هادئاً في طرف الحجره وفتح درجه وأخذ يبحث فيه دون جدوى ثم تذكر شيء، فوضع يده أسفل الدرج وأخذ يتحسس حتى اصطدمت يده بشي ملتصق فحذبه بقوه وما أن رأى ما في يده حتى شعر برغبه للبكاء وهو يحدق في مفتاح صغير متعلق بشريط لاصق نزع منه وقبض عليه بشده وهو يذكر كفه الصغير وهو يعلقه في هذا المكان كلما أراد أن يمنع الآخرين من معرفة أسرارهِ الخاصة والتي يحتفظ بها في هذا الصندوق منذ أهاده له أبيه وهو دون السادسة من عمره ثم عاد للصندوق وفتحه، نظر داخله فإذا بالكثير من الاوراق وبعد الاشياء الصغيره منها مايشبه اللعبه وأيضاً قلاذات مختلفه بدأت الدموع تنهمر من عين مأزن فعلاً:

- كل شيء كما هو.

## المودة

ثم أخذ يبحث عن ورقه معينه، ما أن وجدها حتى فتحها ليقراً ما فيها، كانت رساله من أبيه أرسلها له عندما كان على سفر مع أمه كانت أول وآخر رساله يتلقها منه....

"ابني الحبيب مازن.... كيف حالك يا صغيري؟ ..أفتفتدك كثيراً أنت وماهر أتمنى أن تكونا بخير.... أنا وأمك على مايرام ولا ينقصنا إلا قريبكما منا... مازن..أريدك أن تكون مطيع لعمك...فأنت ترى رغم أني كبير إلا أنني أطعته دائماً فهو أخي الأكبر..أريدك أن تكون جيد معه...هو يحبك كثيراً فلا تغضبه أبداً..وارعى أخاك الصغير..صحيح أنه في رعاية خالتك..لكن هو مازال أخوك الصغير...يجب أن ترعاه ..أمك ترسل لك السلام وتقول لك...لا تكثر من أكل الحلوى.... لتحافظ على أسنانك... أخبرني عمك أنك تلح عليه لتتعلم قيادة السيارات...ألا ترى أنك مازلت صغيراً على هذا...فأنت مازلت في العاشرة من عمرك..مازن..لا تضايق عمك بمثل هذا الطلبات..على كل حال..قاربت رحلة الحج على الانتهاء..وسأعود وأمك..بعد أيام قليلة.... احترس لنفسك ولدي...احترس لنفسك."

طوى مازن الورقه ومازلت دموعه تغرق خديه ....

- سامحني يا أبي..ليتك عدت..كما قلت..فلولا هذا الحادث الذي أصابك ... ربما لتغير الكثير.... فما كان عمي وخالتي أفرطوا في تدليلي..ولكن لا ..ليس هما السبب..أنا من فهم خطأ وأساء الاختيار وبدل من أن يحافظ على هذه النعمة الكبيرة التي عشت فيها... أسأت للجميع...وأنت أيضاً وأمي..ترى هل زاركما عمي في قبركما وقص عليكما ما فعلت؟ ... أم أن ما أفعل لا يخفى عليكما في كل الأحوال.

التفت مازن للباب الذي تعالا صوت الطرق عليه فمسح دموعه وأسكن الورقه في مكانها وأغلق الصندوق قائلاً:

- أدخل.

## العودة

نظر إلى فريد الذي دخل وهو يحمل صينيته حمل عليها كوب من العصير رفعه لمازن في ود قائلاً:

- أنت لم تطلب أي شيء منذ أن دخلت حجرتك... فأردت أن أقدم لك أنا شيء خاص.. هذا العصير مميز ليس كأني عصير يمكن أن تشربه من أي مكان آخر... تفضل.

أمسك مازن بالكوب وهو ينظر لفريد بعين دامعة حزينة فقال له فريد:

- يجب أن يكون لهذا الحزن نهايه يا بني.

وضع مازن الكوب جانباً ثم قال:

- عم فريد... منذ متى وأنت تعمل هنا؟

- منذ ٨ سنوات.

- إذا أنت رأيت عمي.

- سيد نور... نعم.. رأيتته.. رحمه الله.

اعتدل مازن في جلسته:

- كيف مات عم فريد؟!

- وكيف يموت الناس؟!

- لا أنا أقصد... هل كنت قريب منه في اللحظات الأخيرة... هل سمعته يلوم أي أحد على

أي شيء؟!

ابتسم فريد في حنان ثم قال:

## العودة

- عندما جئت لأعمل هنا... كان الحزن هو السمة الأساسية لأهل هذا المنزل خاصة السيد نور بعد ذلك عرفت أن السبب هو فقد أخيه الوحيد..لكنني اندهشت عندما علمت أن وفاة أخيه كانت قبل مجيئي بـ ٧ سنوات ، لكن عندما علمت بأمر هذه الحجرة والتي أصر السيد نور أن تبقى كما هي علمت بأمرك أنت أيضاً وكيف كان السيد نور متعلق بك كثيراً، وفجأة وبدون مقدمات تدهورت صحة السيد نور ودخل المستشفى وبقى فيها أيام وأسابيع لكنه أصر أن يعود للمنزل وفور عودته طلب أن نتركه في حجرته قليلاً حتى يشفى له كامله هنا ثم نقلناه إلى حجرته وهو يحتضر.

كان مازن يستمع إليه ودموعه تسيل في صمت فأردف فريد:

- ثم توفاه الله في اليوم التالي في حجرته.

- أكنت قريب منه في لحظاته الأخيرة ألم يذكرني؟!

نظر له فريد قليلاً ثم قال وقد ارتسم الحزن على وجهه:

- بلى ، لقد ذكرت.

- ماذا قال؟!

سأله مازن في لهفه فأجاب:

- قال...مازن...سامحني.

حدق مازن في وجه فريد للحظات ثم انفجر بالبكاء قائلاً:

- واعمالااااه...أنا من تطلب منه أن يسامحك..ماذا أفعل أنا إذا؟!...

كان يبكي بقوة مما ألم فريد الذي ربت على كتفه:

# العودة

- لا تبكي.. أرجوك... أنا أخطأت أني أخبرتك.

هز مازن رأسه:

- لا... لا ... سأهدأ لا تقلق.

- حسناً.. سأتركك الآن.. ولكن اشرب العصير.... وإذا احتجت لأي شيء فقط نادي علي.

أوماً مازن برأسه فتزكه فريد وهو يلوم نفسه أنه سبب له كل هذا الألم أما مازن فقد ألقى بجسده على فراشه وهو يتمتم:

- رحمة الله عليك عماه...رحمة الله عليك.

ظل مازن في فراشه بلا حركة دون أن يشعر بمرور الوقت حتى سمع طرق آخر على الباب:

- ادخل.. عم فريد.

فتح الباب وقال من عنده:

- وإذا لم أكن عم فريد؟!!

ابتسم مازن لمراى زياد:

- لا بأس يمكنك أن تدخل أنت أيضاً.

ضحك زياد واقترب منه لكنه تجهم عندما رأى حمرة شديده في مقلتي مازن فقال:

- ما هذا؟!..أكنت تبكي ثانية...أرجوك توقف عن البكاء أرجوك...هيا قم واغتسل...فاليوم

كله بليله لك...سنخرج وتبضع ثم تناول الغداء في الخارج ومنتزه في المدينه ونعود في

المساء.. مارأيك؟!!

# العودة

أكتفى مازن بابتسامه باهته على شفثيه، فمط زياد شفثيه قائلاً:

- ما هذا الترحاب؟. أتعلم عندما كنت أقول هذا لماهر؟..كان يقفز صائحاً.. فيعرف كل من في الجوار أننا على خروج.

ضحك مازن ضحكه صافيه فقال زياد:

- نعم...هذا ما أريده... أن تضحك.

ظل مازن ينظر له محتفظاً بابتسامته فأردف:

-هيا قم..واغتسل...سأحضر لك ثياب لنخرج بها.ثم نشترى لك كل ما يعجبك...فأنت ستعمل معي ولا بد أن تكون في منتهى الأناقه.

شعر مازن بسعادة كبيرة وهو يتجول مع زياد، يدخلنا هنا ويخرجنا من هناك وكل ما ارتداه مازن وأعجبه تم شراؤه في الحال وكلما زادت ابتسامه مازن زادت سعادة زياد. مر الوقت وهم هكذا وبينما هما في إحدى المحلات وقف زياد يتفرس مازن وما يرتديه، كان يرتدي قميص انيق بلون سماوي نافس عيناه الزرقاوان مع بنطال أبيض كانا متناسبان وجعلا من مازن شاب وسيم وأنيق جداً ابتسم زياد قائلاً:

- هذا..ممتاز. سنأخذه.

- كنت أعلم أنه سيعجبك.

ابتسم زياد قائلاً:

- بالتأكيد..فلكم كان أبي يجب أن يشتري لك هذه الالوان بالذات لأنها تبرز لون عينيك التي هي نفس لون عينيه والتي لم يرثها منا أحد سواك.

# العودة

قال زياد كلماته الأخيرة في حزن وشعر وكأن الدموع تريد أن تقفز من عينيه فهز رأسه قائلاً:

- أتحب أن نرى شيء آخر.

- لا، لقد اشترينا الكثير يا زياد.

- وما المشكلة؟؟؟!

- لا. هذا يكفي...سيكون الأخير.

- الأخير..... لا بأس سيكون الأخير...لهذا اليوم فقط.

ثم ضحك كلاهما فأراد مازن أن يعود ليبدل ما يرتديه فأوقفه زياد:

- لا انتظر..لا تبدله...إنه ملكك الآن وأنا أريد أن نعود به إلى المنزل...سنكمل جولة اليوم به....ما رأيك؟!

قال مازن مبتسماً:

- لا بأس.

اقرب منه زياد واضعاً يده على كتفه قائلاً:

- أعتقد أنك جائع مثلي.. سنذهب إلى الحلاق ليهدم لك شعرك ثم نتناول الطعام في أي مكان تشاء.

ذهبا إلى الحلاق وما أن خرجا حتى تعالى لهما صوت أذان العصر فقال زياد:

- العصر...حسناً..يوجد مسجد قريب سنصلي فيه ثم نذهب لنأكل.

# العودة

توقف أمام المسجد ليخرج من السيارة قائلاً:

- هيا مازن.

لكنه لم يتحرك بل لم ينظر إليه فدار حول السيارة ومال ناحية النافذة:

- هيا.

فقال مازن:

- اذهب سأنتظرك هنا.

اعتدل زياد ناظراً له قليلاً ثم استدار ليدخل المسجد دون أن يعلق تابعه مازن إلى أن اختفى داخل المسجد ثم رفع رأسه ناظراً إلى مأذنة المسجد العالية في حسرة، أنهى زياد الصلاة وعاد للسيارة ليركبها ثم التفت متطلعاً لمازن وقبل أن يتكلم قال مازن:

- لا أريد التحدث في أي شيء الآن.

مط زياد شفثيه قائلاً:

- وما الجديد في ذلك!؟

لم يعلق مازن وقبل أن ينطلق زياد بالسياره رن هاتفه الخليوي فرد قائلاً:

- مراد..ماذا حدث؟! أخبرتك أنني لن أعد للعمل اليوم .... التصميمات أي تصميمات... ألم أحضرها معي؟ .. يا الهي لقد نسيت.... حسناً..أيمكن أن تأتي لتأخذها من المنزل.... وأين ياسر....تباً...حسناً حسناً...سأعود للمنزل وأحضرها لك...لن أتأخر.

وضع الهاتف مستطرداً:

- سنضطر أن نعد للمنزل...لأحضر تصميمات وأذهب بها للمكتب، ثم نخرج لناكل.



# المودة

قال مازن:

- لا داعي أن تعطل نفسك لأجلي، سأكل في المنزل.
- من قال أنك تعطلني، هم ليسوا بحاجة لي كل ما هناك أننا سنعود للمنزل لنأخذ شيء، كما أنه من الأفضل أن نعيد ما اشتريناه..بدل من السير والتجول به في السيارة.
- وافق مازن ولم يعترض واتخذ طريقهما للمنزل وحمل مازن كل الحقائب التي تبضعا بها بينما أسرع زياد لمكتبه لإحضار التصميمات فدخل خلفه مازن تاركاً باب المنزل مفتوحاً وصعد إلى حجرته وبعد لحظات قليلة دخلت ياسمين من الباب هامسه في دهشه:

- من ترك الباب هكذا؟!... ألا يوجد أحد في المنزل؟! خطت بضع خطوات للداخل حتى رأت فريد خارج من إحدى الحجرات وما أن رآها حتى قال:

- أنسة ياسمين.... أهلا بك.

ابتسمت ياسمين قائلة:

- أشكرك عم فريد، كيف حالك؟! -

- بخير أنستي. رب كلمة اشعلت حُلماً

- لقد كان الباب مفتوح.

- حقاً

- نعم....أين زهرة؟! -

## العودة

- أعتقد أنها في حجرها أنستي... يمكنك أن تصعدي لها.. فلقد غادر السيد زياد و.. أقصد لا أحد في المنزل.

- حسناً.

اتجهت لتصعد الدرج وما أن تخطت درجتين حتى تسمرت مكانها عندما رأت من يقف عند نهاية الدرج وينظر لها فقال فريد:

- سيد مازن أنت هنا؟! متى عدتما.

أجاب مازن وهو ينظر لياسمين:

- سنخرج ثانية.

شعرت ياسمين بالبلاهة نظراً لأنها ظلت مكانها فعادت أدراجها سريعاً في حرج لتقف في منتصف الردهة وهي تشعر بدهشة شديدة قائلة لنفسها:

"من هذا الشاب؟!... أنا لم أراه من قبل"

شعر فريد بالحرج الذي أصاب ياسمين فقال:

- أسف أنسة ياسمين... لم أعرف أنها عادا.

- لا بأس عم فريد... لم يحدث شيء.

- سأصعد لأنادي أنسة زهرة.

قالت سريعاً:

- لا انتظر... هي ستأتي.

## العودة

شعر فريد بدھشتها من رؤیة مازن، كيف لا وهي تأتي هذا المنزل منذ خمس سنوات وأصبحت تعتاد أهله كثيراً:

"تري هل من حقي أن أعرفها من هو"

ظلت ياسمين مطرقة رأسها أرضاً فأراد مازن أن يعد لكنه توقف عندما شعر بأقدام زهرة تأتي إليهم وظهرت فعلاً قائلة:

- ياسمين..عزيزتي أعذرني.

مرت بجانب مازن وكأنها لم تره لكنها توقفت بعد أن تخطته ونظرت له تتأمل مظهره الجديد ثم قالت:

- اعمممم....ما هذه الاناقة؟.... تري هل سيستطيع أخي أن يصلح ما في الداخل كما أصلح ما في الخارج؟

عقد مازن حاجبيه لكلماتها التي شعر بقسوتها عليه لكنه ابتسمت في سخرية ثم أكملت طريقها وأمسكت بذراع صديقها قائلة:

- هيا ياسمين سنتأخر.

سارت ياسمين معها لكنها شعرت برغبة عارمة للالتفات والنظر لمازن لكنها قاومته لتخرج من المنزل مع زهرة وما أن ركبوا السيارة حتى سألتها:

- من هذا الشاب يا زهرة؟

التفت لها زهرة:

- أي شاب؟!!

# العودة

- زهرة.... الذي كان يقف على الدرج وتحديثي معه بكلام غريب.

مطت شفيتها قائلة:

- إنه مازن.

- إنه مازن...حقاً...يالغبائي.

قالتها في تهكم ثم أردفت في عصبية:

- زهرة...أنا لا أعرف أحد بهذا الاسم.... أهو صديق أخاك؟

- شيئاً من هذا القبيل.

- ومنذ متى وأصدقاء أخاك يتجولون في المنزل بدونه، بل ويصعدون إلى الطابق العلوي.

زفرت زهرة ثم قالت:

- حسناً.... هو منا...هو ابن عمي ..... وابن خالتي...وأخو ماهر.... استرحتي الآن.

- أخو ماهر.

قالتها ياسمين في دهشة:

- لم تخبريني من قبل أن لماهر أخ.

- لم تأتي مناسبة.

- ماذا!؟

- ياسمين هل سنقضي الوقت كله نتحدث عنه.... هو أخو ماهر...انتهى الأمر.

عقدت ياسمين حاجبها في ضيق ثم قالت:

# العودة

- معك حق.. ما شأني أنا وشأن أموركم العائلية.

- ياسمين أنا لم أقصد ذلك... أنتِ من العائلة.. كل ما هناك أنني لا أريد الحديث عنه.. فأنا وهو دائماً على خلاف.. ولقد كان مسافراً وعاد بالامس، عاد وليته لم يعد... هل يمكن ألا نتحدث عنه؟

- حسناً كما تريدي.

ظل مازن يقف مكانه بينما تركه فريد وعاد لعملة فأفاق على صوت زياد:

- هيا مازن.. لقد أحضرت التصميمات.

نظر له مازن بجزن فوقف زياد قائلاً:

- ماذا أصابك.. هيا بنا.

هبط مازن ببطء واتجه للخارج مع زياد الذي قال:

- ماذا حدث؟... هل التقيت بأحد؟

- زهرة.

أكتفى مازن بذلك وكذلك زياد الذي لم يزد شيء وإنما قال في نفسه:

"زهرة... بالتأكيد هي.. لقد أفسدت فرحة يومه.."

لم يضع الكثير من الوقت فلقد أسرع زياد لمكتبه وأعطى زميله التصميمات ثم عاد إلى مازن:

- أين تحب أن تأكل؟

# المودة

- كما تريد..

- حسناً سنذهب إلى وسط المدينة ونأكل هناك ما رأيك!؟

- لا بأس.

شعر زياد أن مازن مازال في ضيق لكنه لم يقل شيء وما أن وصلا وسط المدينة حتى قال:

- وسط المدينة دائماً مزدحم ومع ذلك الكل يجيها ويأتي إليها.... أستطيع أن أريك كل جزء فيها!؟

قال مازن بابتسامة شاحبة على وجهه:

- تتحدث وكأني فعلاً كنت خارج البلاد!!!.... أنا أعرف هذا المكان جيداً.

- حقاً.

- نعم أتيتته كثيراً مع رفاقي.

- أنا أيضاً... أتيتته كثيراً... لم يصادف أن رأيتك.

شرد مازن قائلاً:

- ربما التقينا.. ولم نميز بعضنا البعض مثلما حدث امس عندما رأيتني أقف على الباب ولم تعرفني.

- صحيح... ربما.

ثم نظر له قائلاً:

# العودة

- ومن رفاقك هؤلاء الذي كنت تأتي معهم؟!!

رمقه مازن بنظرة قصيرة ثم قال:

- لن تعرفهم.

مط زياد شفثيه، كانت محاوله يأسه منه للغوص في الماضي الذي بنى مازن حوله السدود وجعل الخوض فيه شبه مستحيل.

دخلت ياسمين بيتها وقد أنهكتها تعب اليوم الذي قارب على الانتهاء وأول من رآته كان أبوها الذي استقبلها قائلاً بابتسامه حانيه:

- ياسمين... أهلا ابنتي..تبدين متعبه.

ألقت ياسمين بجسدها المنهك بجانب والدها على الأريكة قائلة:

- نعم أبي...أنا فعلاً متعبه.... قمنا بالعديد من الاجتماعات في النادي ..كم أريد لهذا المشروع أن ينجح أبي.

- سينجح إن شاء الله بنيتي.

اعتدلت قائلة: ربّ كلمة اشعلت حُلماً

- رأيت سيارة ياسر أمام المنزل أهو هنا؟!!

- نعم..عاد منذ ساعه تقريباً.

- غريب عادة في نهاية الأسبوع يخرج مع زياد.

- حقيقة لم أساله.

# العودة

- حسناً أبي.. سأذهب إليه.

- لا بأس... سأقوم بأعداد طعام العشاء وسأنادي عليكما.

ابتسمت له قائلة:

- حسناً يا أفضل أب في الكون.

- فقط لأنك متعبه أيتها المدلله.

اتجهت لحجرة أخاها طارقة الباب فأذن لها:

- ترى.. ماذا جرى في العالم؟... أخي يقضي ليلة عطلته هنا... ماذا حدث؟!

ابتسم ياسر قائلاً:

- تستطيعي أن تقولي أنني أردت أن أبارك المنزل قليلاً بوجودي.

ضحكا معاً وجلست أمام مكتبه الذي جلس خلفه قارئاً لكتاب ما، وقالت:

- بدون مزاح... ماذا حدث؟!

صمت ياسر قليلاً ثم قال:

- زياد مشغول وأنا لا أحب أن أفقده في أي مكان أقصده للترفيه.

اعتذلت قائلة:

- ذكرتني.. حدث شيء غريب اليوم عندما ذهبت لمنزل زهرة وزياد.

عقد ياسر حاجبيه متسائلاً:

- ما هو؟!



# المودة

زفرت قائلة:

- هل سبق وعلمت أن لزياد ابن عم آخر غير ماهر؟!

عاد ياسر للوراء قائلاً :

- نعم.

وقفت ياسمين قائلة:

- ما اذا... لم يحدث أن أخبرتي عنه؟!

ابتسم ياسر قائلاً:

- لم أجد الوقت الكافي... فلقد تحدثت عنه قبلي.

عقدت ياسمين حاجبها قائلة:

- ماذا تقصد؟!

- أقصد أنني عرفت بأمره اليوم.

عادت ياسمين للجلوس قائلة:

- مثلي إذا... ولكن.. ألم تشعر بالدهشة من سكوت زياد عنه طوال فترة صداقتكما؟!

- بالتأكيد... خاصة أنه بدا سعيداً جداً بعودته... وكأنه كان يترقبها.

- غريب...

قالت ياسمين شاردة فقال ياسر:

- وما الغريب في ذلك؟!!



# العودة

- هذا جيد ..... هيا..يجب أن تستعد...نحن نذهب جميعاً لصلاة الجمعة في مسجد عمرو بن العاص...أتذكره أم نسيتته؟!!

حدق مازن في وجهه قليلاً لتتعالى في أذنه المزيد من الأصوات التي ظل عقله محتفظ بها...

"...هياااا يا أولاد..يجب أن نذهب..لا نريد أن نتأخر المسجد بعيد ...

.... لم لا نصلي في أي مسجد يا أبي..

...لا مستحيل لقد تعودنا على ذلك..منذ أن كان يأخذنا جدم إلى هناك...وكذلك أتم

ستذهبون إلى هناك دائماً مفهوم...هياااا أسرع..."

أردف زياد:

- بعد وفاة أبي ظللنا نذهب إلى هناك.... حتى أمي وزهرة يأتيان معي..وماهر أيضاً لولا أنه ليس هنا الآن....هيا يا مازن...لا يجب أن نتأخر.

أولاه مازن ظهره قائلاً:

- إذهبوا أتم..سأبقى هنا.

قال زياد وقد حزن لحال مازن:

- لا يا مازن...ستأتي معنا...وستكون بداية جديده..هيا...

أراد زياد الاقتراب فابتعد مازن وقال في عصبية:

- قلت لك لن اذهب... ودعني وشأني.

نظر له زياد بدهشة وحزن ثم قال:

# العودة

- كما تريد؟!... لن نتأخر..ربما سيأتي ماهر قبل عودتنا.

غادر زياد وقلبه يتألم لكنه قرر ألا يترك مازن مهما حدث وسيعيده كما كان بل وأفضل، أما مازن فعاد يقف عند النافذة ليكمل حوار نفسه....

".... ماذا أصابك يا مازن ....لم تذهب معه؟.... لم تفعل ذلك؟.... ألم تنوي أن تبدأ من جديد؟.. ولكن مهلاً...كيف لي والوقوف بين يدي ربي...أم نسيت ماذا فعلت؟!...التوبة لها شروط..وأنا لم أفعل من شروطها شيء..فكيف لي بالعودة..."

ترقق الدمع من عينيه وتطلع للشارع لتلتقي عيناه بزياد الذي وقف بجوار سيارته منتظراً أمه وزهرة رافعاً رأسه لينظر لنافذة مازن لكنه لم يبق كثيراً فسرعان ما ركب سيارته مع أمه وزهرة لينطلقوا...بينما بقي مازن وحده.

لم يغادر مازن محراب حجرته بل ظل يدور فيها حتى تذكر صندوقه الصغير فاتجه إليه حاملاً إياه لسريه وفتحه ليعثر محتوياته على الفراش ثم أخذ في إعادتها قطعه قطعه متذكراً أحداث ماضيه حتى سقطت في يده قلادة صغيرة كتب عليها بالذهب "مع حبي" رفعها لمستوى بصره متأملاً إياها في حزن.....

"مازن يا صغيري .... هذه القلادة هدية أبيك لي يوم ميلادك ولم تفارق عنقي قط...لكنني أريدك أن تحتفظ بها إلى حين عودتي...وكن طيب مع خالتك وعمك...واستمع لكلام خالتك .... كأنك تستمع لي..."

.... حاضر أمي.... لا تتأخري أنتِ وأبي...

.... لا تقلقي يا عزيزي لن نتأخر...اراع أخاك جيداً...

...سأفعل أمي .. "





## العودة

التفت للجميع إليه وكذلك ماهر الذي لم يتخلص وجهه من المشاعر التي ارتسمت عليه فعقد زياد حاجبيه وهو ينظر إليهم قائلاً:

- ماذا حدث!؟

لم يجب أحد فظهرت بعد ذلك زهرة ثم أمها التي ما أن رأَت ماهر حتى ازدهر وجهها قائلة:

- ماهر.... بني.... لقد عدت.

التفت إليها ماهر ثم أسرع يقترب منها لتضمه إلى صدرها ثم رفع رأسه إليها قائلاً:

- أمي.... هذا الشاب يحاول أن يقنعني أنه... أنه...

- أخاك.

حدق في وجهها بعد أن قالت كلمتها هذه ثم عاد يحدق في مازن الذي شعر بالألم لما أصاب ماهر بسببه لكن ماهر لم يرد الوقوف أكثر فاتجه إلى الدرج قائلاً:

- أنا متعب... سأصعد لأنام.

لم يلتفت لأحد منهم بل صعد ليختفي في الطابق العلوي فاتجه زياد لمازن قائلاً:

- ماذا حدث!!؟

نظر له مازن بلا إجابة فقال فريد:

- لم يحدث شيء سيد زياد... فما أن استوعب ماهر أن السيد مازن أخاه أصيب بصدمة وأتم دخلم فور ذلك .

قالت زهرة في استنكار:

# العودة

- شيء منطقي وطبيعي ..أكنت تتصور أنه سيضمك إلى صدره ويقفز فرحاً؟.

قاطعها زياد بلهجه غاضبة:

- زهرة...حذرتك من الكلام بهذا الاسلوب.

لم يهتم مازن بهذا بل ظل نظره معلق بالطابق العلوي حيث اختفى أخوه، ووقفت الأم تتابع ما يحدث بجزن شديد، أما ماهر فما أن دخل حجرتة حتى أغلق بابها خلفه واستند عليه وعيناه تدور في محجرايها بذهول حتى استقرت على اطار صغير ضم صورة لعائلة من أب وأم وطفلين اقترب من الصورة محققاً فيها...

- معقول.. مازن.. لقد عاد...هو مازال على قيد الحياة.

مد يده ملتقطاً الصورة من على المنضدة الصغيرة التي تستقر بجانب فراشه الذي ألقى جسده عليه...

-..... ماذا أصابك ماهر؟... ألم تكن دائماً تحلم بهذا اليوم؟.. لقد عاد أخوك الذي كنت لا تفارقه عندما كنت صغير...

وقف وهو يقول في غضب:

- نعم ولكن هو الذي تركني...عشر سنوات كاملة..لم يهتم بي أو بشأني....

-.....لكنه عاد يا ماهر...مازن عاد.

انحدرت عبرة حارة على خده رفع كفه ليزيحها سريعا وهو يقول:

- عاد وعليه أن يفسر لي الكثير، هو مدين لي بذلك.

خرج مسرعا ليضع يده على حاجز الدرج صائحاً:



# العودة

- أين كنت؟!

التفت له كل من كان في الردهة التي لم يغادرها إلا زهرة التي كانت صعدت لحجرتها، قال زياد:

- اهدأ ماهر.. امنح أخوك بعض الوقت... سيخبرك بكل شيء..

لم يعقب ماهر بل ظل محققاً في مازن الذي كان ينظر له هو الآخر ثم قال:

- كنت سأتحدث إليك.

- الآن.

قالها ماهر في عصبية عائداً لحجرتة فاتجه مازن للدرج ليلحق به فأمسك به زياد قائلاً:

- كل ما يعلمه أنك كنت في الخارج تدرس.

أوماً مازن له إيجاباً ثم اتجه لحجرة ماهر التي ترك بابها مفتوحاً فدخل إليها وأغلق الباب خلفه ليتبادل النظر مع أخيه الذي وقف في منتصف الحجرة في انتظاره، طال صمتها حتى قال ماهر:

- هيا أنا أسمع.

ربّ كلمة اشعلت حُلماً

ابتسم له مازن ثم قال وهو يتأمله في حنان:

- لقد كبرت كثيراً يا ماهر... لقد أصبحت أطول مني قامة، وكأنك أنت أخي الأكبر... لقد ورثت عن أبي طول القامة.

- ثم ماذا؟!!!

قالها ماهر في برود شديد، ففضب مازن حاجبيه واقترب منه قائلاً:

# العودة

- ماهر... أرجوك.... لا تقسو علي.

عاد ماهر للوراء وهو يرفع كفه ليقف مازن قبل أن يصل إليه صائحاً:

- أقسو عليك!!! أنت من تركني وأنا لم أنهي عامي السادس بعد.... تركتني وأنا في أمس الحاجة لأخي الكبير خاصة بعد اختفاء أبي وأمي فجأه من أمامي، تركتني دون حتى أن تودعني .... أحبُّ هذا أم قسوة؟.... أم أن وجود عمي وخالتي رفع عنك الحرج فقلت لا بأس هو لن يكن وحده، أم كنت ستتركني في كل الأحوال ...أجيبني.

كان مازن يتمنى أن يضم أخيه إلى صدره فرفع كفاه أمام صدره ولكنه سرعان ما أعادها فأخيه لن يسمح له بذلك ، ترقق الدمع في عينيه فأدار ظهره لكي لا يرى أخوه عبراته قائلاً:

- معك حق في كل ما تقول أخي...معك حق، ولكن صدقتي لقد دفعت الثمن غالياً... غالباً جداً، كان يجب أن أختار وكالعادة أسأت الإختيار، فتح أمامي باب وقيل لي ادخل... لم أفكر في شيء.. ولا عواقب هذه الخطوة.... فقلة خبرتي وحيي للمغامرة أعماني.. فدخلت رغم هذا الانذار الذي ظل يدوي في عقلي، وقبل أن أدري ما حدث... إلتفت لأجد الباب قد أغلق بل اختفى تماماً ولم يعد هناك أي مجال للعودة ، لأجد نفسي في عالم آخر..عالم مليء بالقسوة وعدم الرحمة.... الضعيف فيه تدهسه الأقدام....

ثم التفت لماهر وقد أغرقت الدموع عيناه فارتفع حاجبا ماهر في تأثر ثم أردف مازن:

- أما القوي.... فيجب أن يحمل داخله من الشر ما يجعل الآخرين يخشونه.... وأنا لم استطع أن أكن هذا أو ذلك... إذا كنت أنت افتقدتني طوال عشر سنوات فأنا افتقدت أضعاف ذلك.... افتقدتك أنت .... وافتقدت عمي وخالتي وزياياد...وحتى زهرة..افتقدت حياتي ..وحجرتي...ورفاقي.... وفوق ذلك..افتقدت الأمان..الحنان..الرعاية..الحب... افتقدت أي مشاعر إيجابيه قد ترغبني في الحياة لذا حاولت الانتحار... نعم فعلتها ولكن لسبب

## العودة

يعلمه الله نجاني.... ألهمني أن أعود إليكم رغم أنني كنت أخشى هذا كثيراً...خشيت أن أعود لأجدكم قد كرهتموني لأني تسببت لكم في الكثير من الألم.

توقف مازن عن الكلام وهو يتنفس بصعوبة من كثرت دموعه فقال ماهر بصوت خافت حزين:

- لماذا كل هذا...أين كنت..أي بلد هذه عانيت فيها كل هذه المعاناه!؟

أطرق مازن رأسه قائلاً:

- ليت الحديث عنها سينهي ألمي...بل أنا أتمنى أن أمسح هذه الفترة من حياتي.... أحياناً كنت أتمنى أن أصاب بفقدان الذاكرة لأرتاح..لأنسى المكان وأنسى الزمان...أنا لا أريد الحديث عنها بل أريد أن أنساها.

ثم اقترب من ماهر ليمسك كتفيه مستطرداً:

- ماهر... صدقتي منذ اليوم الاول لي بعيداً عنكم وأنا أعاني.... أرجوا أن يكفي هذا لتسامحني.... فأنا بحاجة إليك يا أخي...بجاجة إليك لتريني أي شيء قد يعيد لي الرغبة في الحياة...فهل تقبلني مرة أخرى .... هل تعطيني فرصة أخرى!؟

ظل ماهر ينظر له ثم قال:

- عندما كنت صغير كنت أبكي كلما افتقدتك وبمرور السنوات توقفت عن ذلك بل توقفت عن التفكير فيك واقنعت نفسي أنك لم تعد على قيد الحياة...لكنك أمامي الآن حياً ترزق.... ولا يسعني غير أن أقول ... حمداً لله أنك مازلت على قيد الحياة....يا شقيقي.... يا أخي.

## العودة

اتسعت ابتسامة مازن وكذلك ماهر ليضما بعضهما وهذا كل ما كان يتمناه مازن أما ماهر  
فمد بصره إلى حيث صورة أبيه وأمه وقد تجهم وجهه محدثاً نفسه....

.... مازال هناك الكثير لم تفسره لي يا مازن لكنني سأقبل هذا الآن من أجل أبانا وأمنا.

ما أن أنهى فريد إعداد مائدة الغداء حتى طرق في رفق باب حجرة سيدته قائلاً:

- الغداء جاهز سيدتي.

انتظر قليلاً فسمعها تقول:

- أنا قادمة... اخبر الأولاد.

اجتمع الجميع على مائدة الغداء وقد أحاطهم الصمت وكالعادة لم يقطعه غير زياد قائلاً في  
بهجه مصطنعه:

- لا تتصوروا مدى سعادتي باجتماعنا جميعاً.... وكأن حلم من أحلامي قد تحقق.... ألم تحلم  
أنت أيضاً يا ماهر بعودة مازن؟!

نظر له ماهر ثم التفت لمازن وأوماً برأسه إيجاباً بابتسامة باهته فقالت زهرة في تهكم:

- المهم أن يبقى الحلم حقيقة جميلة لا أن يتحول إلى.... كابوس بشع.

قطب مازن حاجبيه دون أن ينظر لها بينما تطلع زياد لها وقد احمر وجهه غضباً أما ماهر  
فقال في دهشة:

- ماذا تقصدين؟!!

هزت كتفها قائلة:

## المودة

- أنا.... لا أقصد شيء... لعله الجوع الذي يجعلني أقول الغريب من القول..فدعني أأكل.

لولا السخريه التي تحدثت بها لتناسى ماهر الأمر لكنها أكدت له أنه يوجد شيء يعرفوه جميعاً وهو وحده الذي يجهله شيء يفسر الكثير مما أصاب أخوه، فتعلق بصره بمآزن الذي كان مطأطيء الرأس وكل ما في عقله أن يعرف أين كان أخوه طوال عشر سنوات.

- كيف كانت رحلتك يا عزيزي؟!

التفت لصاحبة الصوت التي هي خالته والتي لا يناديها إلا بأبي فقال:

- كانت رائعة يا أمي..كانت رائعة.

قال زياد مازحاً:

- رائعة...بالتأكيد.... خاصة سكان شرم الشيخ... أليس كذلك؟!؟!!

رفع ماهر إحدى حاجبيه قائلاً:

- ماذا تقصد بهذا التلميح غير حسن النية؟!

ضحكت زهرة قائلة:

- هذا لإننا نعرفك جيداً يا روميو العاصمة...أليس هذا اسم شهرتك في الفترة الأخيرة؟!

تملق ماهر في جلسته قائلاً:

- هذا اشاعات مغرضة وأكاذيب ملفقه..أنا ليس لي أي اهتمام بالفتيات...هن لسن من

ألولوياتي على الاطلاق ولا يشغلن أي حيز في تفكيري.

مط زياد شفثيه قائلاً:

# العودة

- لا تصدقه يا مازن.... فهو يصادق الكثير منهم.

ابتسم مازن قائلاً:

- ولم لا... فشباب وسيم مثله... فارح الطول... يجب أن تعجب به الفتيات.

صاح ماهر فرحاً:

- سمعتم... أخيراً..هناك من سيدافع عني في هذا البيت.

ضحك الجميع بينما تتابعهم الأم بابتسامه هادئة على شفيتها ولأول مرة شعر مازن بأنه قريباً سيصبح جزء من هذه الأسرة كما كان من قبل.

كان صباحاً مشرقاً بمعنى الكلمة زقزقة العصافير وصوت نسيمات الهواء التي تداعب أوراق الشجر، الهدوء الذي لا يفارق هذا الحي السكني الهادي... كلها عوامل تدفع أي شخص للتفاؤل حتى هذا الشاب الذي دائماً تعطي عيناه نظرات حزينة لم يستطع أن يمنع نفسه من الابتسام وهو يتطلع للسماء الصافية - بينما يقف أمام منزله منتظراً أحدهم - ولم يدر بصره عنها إلا بقدم زياد الذي قال:

- صباح رائع يا مازن صحيح؟! كلمة اشعلت حُلماً

- نعم هو كذلك.

- هذه بشرة خير، هيا يجب ألا نتأخر على المكتب...لتبدأ مهام وظيفتك الجديدة.

استتقلا السيارة لينطلقا ، لم يكن المكتب بعيد حيث سرعان ما وصلا إليه وما أن دخلا حتى قال زياد:

# المودة

- ها قد جئت بالعضو الجديد لشركتنا.

كان أول من استقبلها هو صبي المكتب وكان شاب أصغر منها بعدة سنوات ما أن رأه زياد حتى قال:

- أقدم لك محسن، المسئول الرسمي عن المكتب من حيث النظافة والطعام والشراب وخلافه.

ابتسم مازن لمحسن الذي وقف ضاحكاً:

- المسئول الرسمي...تحمل وظيفتي أكثر مما تستحق دائماً مهندس زياد.

ابتسم زياد قائلاً:

- هذا غير صحيح...فنحن نضيع بدونك عادة.

- من القادم؟

التفتوا لصاحب الصوت ولم يكن غير مراد الذي أردف قائلاً:

- دعني أخمن...هذا ابن عمك مازن الذي حدثنا عنه.

- ما هذه العبقرية التي حلت عليك يا مراد؟

قالها ياسر الذي ظهر من خلف مراد وهو يتطلع ويتفحص مازن الذي ظل يتطلع للجميع بابتسامه هادئة، فقال مراد مازحاً:

- العبقرية دائي يا عزيزي..لا تفارقني أبداً.

ضحك زياد وياسر بينما ظل مازن بابتسامته الهادئة ثم تنحى زياد قائلاً:

## العودة

- إحم... هذا يكفي..لدينا الكثير لنفعله... عرفا انفسكما لمازن وتعالوا لمكتبي جميعا لنحدد سياسة عملنا الجديده بمناسبة انضمام مازن لنا.

اتجه زياد لمكتبه فعلاً بينما تقدم مراد لمازن مصافحاً إياه وهو يقول:

- أنا مراد..المهندس مراد...عملي لا يختلف كثيراً عن عمل زياد وياسر.... ولكن كما رأيت أنا الأكثر ذكاءً.

اتسعت ابتسامة مازن قائلاً:

- نعم...لقد علمت....سأضع هذا في حسابي دائماً.

غمز مراد بعينه قائلاً:

- هذا في مصلحتك.

ثم التفت ليلحق بزياد فاقرب ياسر ليقدم نفسه هو الآخر قائلاً:

- لا تنتبه كثيراً لمراد إنه يجب المزاح أكثر من أي شيء آخر، أنا ياسر... وكما قال مراد عملنا واحد..ويسعدني انضمامك إلينا.

أوماً مازن برأسه ممتاناً، ثم تقدمه ياسر لمكتب مازن، وما أن استقروا جميعاً في مقاعدهم حتى قال زياد:

- بداية نرحب بزميلنا الجديد مازن، الذي سيتولى أمر العلاقات العامة الخاصة بمكتبنا...طبعاً كلاكما يعلم كم عانا مكتبنا من عدم وجود هذه الخدمة فتركيزنا على العمل الهندسي أضع منا الكثير من الصفقات بسبب عدم الاتصال المناسب بالعملاء وهذا ما سيتولاه مازن باذن الله ، بالتأكد مازن بحاجه لمعرفة الطبيعة العامة لعملنا ،أي نوع من



## العودة

الصفقات قبلها وأي نوع لا يناسبنا وهذه ستكون مهمتك يا ياسر.... ستتفرغ اليوم بالكامل لهذه المهمة.... أريد غداً أن أسأل مازن في أي جزء في عملنا لأجد إجابة..هل هذا ممكن!؟

قطب ياسر حاجبيه قائلاً:

- لكني منذ يومين أعمل في تصميمات منزل دكتور خالد وكنت سأنتهي منها اليوم لإريه إياه غداً.

عقد زياد أصابعه أمام وجهه مفكراً ثم قال:

- كم أنهيت منها!؟

- ٩٠ % تقريباً.

- لا بأس إذن... سأتولا أنا الباقي ويمكنك مراجعتها غداً، فمراد يتولى أمر بناء خارجي ومن الصعب إبقائه في المكتب ولن يستطيع أياً منا أن يأخذ مكانه..وأنت تعلم أنني اليوم سأحدث في صفتين جديدتين...لا يوجد أمامنا سواك ليبقى مع مازن. ولا تقلق على تصميمات منزل الدكتور ستكون معك غداً لتراجعها ثم تتصل بدكتور خالد ليراه.

أوماً ياسر برأسه إيجاباً، فقال زياد:

- حسناً يمكنكم البدء الآن، ياسر أحضر لي تصميمات المنزل أريد أن أرها قبل أن أغادر.

خرج ياسر ومراد بينما وقف مازن يتطلع لزياد مبتسماً ، فحدق زياد به قليلاً ثم قال:

- ماذا هناك!؟ لم تقف هكذا!؟

صمت مازن قليلاً ثم قال:

- أتعلم أنك مدير رائع!؟ كلاهما يستمع إليك بحرص ، وينفذ ما تطلب.... هذا رائع.

# العودة

رفع زياد أحد حاجبيه قائلاً:

- ليس الأمر كما تتصور.... صحيح أن تنظيم العمل وإدارته من اختصاصي ولكن هذا لا يجعلني الحاكم بأمره في هذا المكان، فكثيراً ما نستشير بعضنا هنا... مازن لكي تنجح معنا..أولاً يجب أن تنسى صلة القرابة التي بيننا وتثبت نفسك في العمل... فأنا وياسر ومراد أصدقاء منذ سنوات لكن هذا لا يؤثر في عملنا..لقد وزعنا الاختصاصات بيننا عن اقتناع لذا لا يوجد أحد يمكن أن ينال من اختصاصات الآخر وعلى كل حال سيخبرك ياسر بكل شيء...استمع إليه جيداً يا مازن.

- سأفعل.

مر الأسبوع الأول من العمل على ما يرام... استطاع مازن أن يتعلم الكثير بل نال ثقة ياسر ومراد سريعاً، وساهم كثيراً في تنظيم الصفقات والمعاملات في المكتب، كان هدفه الأول هو أن ينجح... كان يريد أن يثبت لنفسه أولاً قبل الآخرين أنه مازال قادر على فعل شيء طيب وناجح، وقبل أن ينالوا العطلة الأسبوعية اجتمع بهم زياد قائلاً:

- أعتقد يا رفاق أنه من العدل أن نعلن أن مازن نجح وبجدارة في المهمة التي وكلناها له، فالمكتب في أسبوع واحد تعاقد على خمس صفقات كبيرة وهذا أمر غير معتاد كما أن مازن استطاع أن يوزع فترة هذه الصفقات بما يجعلنا قادرين على تنفيذها في الوقت الذي يرضي العملاء، وهذا كله يؤكد أن إختيارنا له كان في محله.

قاطعته ياسر مبتسماً:

- بل اختيارك أنت.... لا تبخس نفسك قدرها.

# المودة

تابع زياد:

- اختياري هو اختياركم... فنحن عصبه واحده... وانضم لنا مازن لنكون أقوى... المهم أن نظل بهذه القوة.. ولا ننسى أن أماننا الكثير من العمل عندما نعود من عطلتنا هذه فاستفيدوا منها قدر استطاعتكم وارجحوا أذهانكم وأبدانكم لأنها ستعمل بمنتهى الجد الاسبوع القادم... هيا انطلقوا.

كان مراد أول من غادر المكتب بينما وقف ياسر يتحدث لزياد قليلاً ثم ألقى التحية على مازن ليغادر هو الآخر فاقرب مازن من زياد الذي كان يللمم بعض الأوراق في حقيبته استعداداً للمغادرة قائلاً:

- أشكرك يا زياد.

- علماً؟!!

- على هذا التشجيع الرائع الذي قدمته لي.

اعتدل زياد ليغلق حقيبته ناظراً لمازن مبتسماً ثم قال وهو يقوده للخارج:

- أنت تستحق ذلك... ونحن اعتدنا ان نشجع بعضنا بهذا الاسلوب ... أي أنه أمر ليس جديد.

اتجهها للسيارة فقال مازن وهو يمد يده ليتناول مفاتيح السيارة من يد زياد:

- دعني أتولى القيادة.

- لا.

# العودة

قالها زياد بذعر وهو يدفع يده بعيداً عن مازن الذي حدق في زياد بدهشه ثم سرعان ما استوعب الأمر فخفض بصره فقال زياد بسرعه:

- هل تحمل رخصة القيادة؟!

لم ينظر له مازن لكنه هز رأسه نفيماً فقال زياد:

- توقعت ذلك..لذا من المستحيل أن تقود...أليس كذلك؟!

نظر له مازن قليلاً ثم مط شففيه قائلاً:

- بالتأكد.

قالها بلهجه شبه ساخرة لأنه يعلم جيداً أن هذا ليس هو السبب الحقيقي لما أصاب زياد لمجرد عرض هذا الطلب لكنه لم يضيف شيء بل استقلا السيارة فأراح مازن رأسه على مسند مقعده وقد أغلق عينيه لتجتاح عقله المزيد من الذكريات....

"..... لا يا مازن لا..لن أعلمك القيادة أنت مازلت صغير...

...أرجوك عمي... أنا فقط أريد أن أتعلمها حتى أتقنها عندما أصل للسن المناسب...

...لكنك صغير يا مازن....

..لا يا عمي.... أنا في الثانية عشر من عمري....

...حقاً...لقد كبرت دون أن أعرف....

..لا تسخر مني يا عمي.... أرجوك..علمني القيادة....

...أمرك غريب يا مازن....زياد أكبر منك بعامين ولم يطلب مني هذا الطلب أبداً....

# العودة

...ما شأني بزياد ..لعله لا يريد أن يتعلم القيادة... لي رفاق يعرفون القيادة جيداً... أتحب  
أن أذهب إليهم ليعلموني...

...إياك أن تفعل....

...كنت أعلم إن هذا سيغضبك.... وها أنا أطلبها منك يا عمي أرجوك.....

...لو كان أبيك على قيد الحياة ما كان سيوافق على هذا أبداً....

.... ليتته كان على قيد الحياة..لكان علمني...

...ها قد بدأنا...وستلعب على الوتر الذي يؤلمني...

... أرجوك يا عمي أرجوك...أعدك أن أكون مطيع...."

- مازن...هيا...وصلنا.

فتح عينيه لينظر لزياد الذي وضع يده على كفه مردفاً:

- هل غلبك النعاس!؟

لم يجبه مازن بل غادر السيارة في صمت ليدخل المنزل ولم يلتقي بأحد في طريقه لذا صعد  
لحجرته مباشرة وألقى بجسده على فراشه ليغلق عينيه ثانية وكأنه استهوى استرجاع ما  
مضى من أحداث....

"..... تعال هنا أيها الشقي..."

... لا يا نور لا تضربه أرجوك...

# العودة

.... ماذا تقولين؟؟.... يبدو أنك لم تستوعبي ما فعل... ولكنه خطئي أنا... ما كان يجب أن استجيب لإلحاحك علي وأعلمه القيادة كما كان يريد...ها هو فعل ما توقعت.... كيف أيها الطفل تأخذ السيارة من ورائي لتسكع بها.... أتريد أن تموت أم تريد أن تقتل أحد....  
...لم كل هذا يا عمي؟...ها أنا سليم...والسيارة كذلك...

...لا تستفزني بأسلوبك هذا.... لقد أخطأت ويجب أن تعترف بهذا...

.... عمي...أنا لم أغادر بها شوارع المنطقة.... وهي هادئة جداً كما تعلم...قلما يسير فيها أناس...ما كنت سأؤذي أحد....

....أرايتي...إنه لا يريد أن يعترف بخطئه...

...اهداً يا عزيزي...اهداً أرجوك.... مازن يجب أن تعتذر...وتعد عمك أنك لن تكرر هذا...  
..حسناً خالتي...أسف عمي ..لن أكررها...

سمعتي...قال خالتي.... لم يقل أمي...هذا يعني أنه يتحدث عن ضيق وغير مقتنع بما يقول...  
...لم أعد أرضيك أبداً يا عمي..كل ما أفعل وأقول أصبح خطأ..

...عد هنا أيها الفتى..عد.... نحن من دللناك..ونحن من سيدفع الثمن..."  
تناهى إلى مسامعه نداء متكرر فتح عينيه ليرى زياد الذي اقترب منه قائلاً:

- ماذا أصابك؟!... هل ستنام بملابسك!؟

اعتدل مازن قائلاً:

- بالتأكيد لا... أعتقد أنني غفوت للحظات.

# العودة

تطلعا لبعضهما قليلاً ثم قال مازن:

- زياد ..أريد أن أزور قبر أبي وأمي وعمي...هل هذا ممكن؟!

ارتسم الحزن على وجه زياد وهو يقول:

- حقاً..تريد أن تزورهم!!

- نعم..أهناك مشكلة؟!

- لا...بالطبع لا... حسناً كما تريد... سنذهب لصلاة الجمعة غداً ثم نزورهم.

أشاح مازن بوجهه قائلاً:

- سأنتظر في المنزل ريثما تعود من الصلاة.

مط زياد شفنيه قائلاً:

- كما تريد.

ما أن استقر ماهر في سيارة زياد حتى قال:

- مازلت لا أفهم...لم لم يأتي معنا مازن؟!

- دعه وشأنه...سيأتي بإرادته يوماً...لن نرغمه.

دلفتا إلى السيارة كلا من الأم وزهرة التي قالت:

- كالعادة لن يأتي مازن.

التفت لها ماهر قائلاً في عصبية:

# المودة

- زهرة دعي أخي وشأنه.

رفعت حاجبها قائلة:

- حقاً... ما هذا الولاء الرائع؟!... نعم الأخ أنت... لولا إنه لا يستحقك.

- زهرة...

قالها زياد في حنق شديد مردفاً:

- بالله عليك كفاك.

لم يضيف أحد شيء، أنهموا الصلاة ليعودوا للمنزل وما أن دلفوا إليه حتى ظهر مازن على الدرج ليهبط إليهم وألقى التحية عليهم سريعاً ثم نظر لزياد قائلاً:

- هل سنذهب؟!!

قال ماهر:

- إلى أين؟!!

لم يجب مازن بل انتظر إجابة زياد الذي قال:

- لا بأس.. هيا بنا.

أسرع ماهر قائلاً:

- أتما لم لا تجيباني.. إلى أين أتما ذاهبان؟!!

نظر له زياد ثم أدار بصره لأمه قائلاً:

- مازن يريد أن يزور أبويه وأبي.



# العودة

-لا شأن له بزوجي.

قالتها الأم بآلم وغضب، فقال ماهر:

- لم يا أمي!؟

صاحت به:

- لا شأن لك أنت، أنت لست مثله .... أنت ابني الذي لم ألدّه... الذي رعيته فحفظ ذلك ..ولم يعض اليد التي مدت له.

قالت كلماتها وهي تحرق في مازن بغضب شديد بينما أصيب ماهر بدهشة بالغه فقال زياد:

- أمي أرجوك.

التفتت له قائلة:

- أتتصور أن صمتي يعني تقبلي للأمر.... لا.... إنما هو حزني الذي يمنعني من البوح والكلام.

هز زياد رأسه في أسى:

- أمي .... أنت تعلمين جيداً أن أي كان سيصبح أسعدنا بعودة مازن.

- توقف عن ذلك... ولا تجعلني أبوح بما لا يجب أياً منكم أن يسمع.... ليزور أبويه كما يريد... لكن لا شأن له بزوجي.

قالتها لتغادر المكان مندفعه إلى حجرتها التي هي نفسها الحجرة التي تضم مكتبة المنزل والتي انتقلت لها بعد وفاة زوجها لكي تتناسى ألمها بالقراءة المستمرة. كان ماهر يتابعهم في ذهول ثم قال:

# العودة

- ماذا يجري هنا؟... هناك شيء يعرفه الجميع إلا أنا... ما هو؟!

تحركت زهرة لتصعد دون أي تعليق بينما قال زياد:

- ماهر.... لا داعي للحديث في أمور تصيبنا جميعاً بالحزن.

- أنا من حقي أن أفهم.

- هذا صحيح...ولكن من أجلي..ليس الآن...ليس الآن.

زفر ماهر في ضيق ثم تطلع لمازن الذي لم يتحرك قيد أنمله من مكانه ثم قال:

- هل هذا رأيك أنت أيضاً؟!

رفع مازن بصره لأخيه قائلاً في حزن مبهم:

- أنا ليس لي رأي.... ولو كان لي رأي ما كان هذا حالي.... زياد هل سنذهب؟!

أجابه زياد:

- نعم..هيا بنا.

لم ينتظر مازن بل غادر بسرعة وتبعه زياد تاركين ماهر وقد تضاعفت التساؤلات في رأسه فالتفت إلى حيث حجرة أمه ثم اتجه إليها طارقاً بابها حتى سمحت له بالدخول دلف إلى الحجرة ليجدها قد جلست على كرسيها المفضل والدموع على خدها تنساب بحريه فاقرب منها ليجثو على ركبتيه أمامها ويضم كفها في حنان قائلاً:

- أمي... ماذا بك؟!... لم وجود مازن يسبب لك كل هذا الحزن؟!

رفعت كفها لتمررها على شعره بحنان ثم أسكتها على خده قائله من بين دموعها:

# المودة

- لا عليك يا عزيزي... لا عليك.

- أمي أرجوكِ تحدي إلي... أرجوكِ.

أغلقت عيناها للحظات ثم فتحتها قائلة:

- أنت تعلم أننا جميعاً أصبنا بصدمة بابتعاده عنا.

- نعم...ولهذا تصورت أنك ستكوني سعيده بعودته.

شردت بصرها قليلاً قائلة:

- ربما..لو كان عاد قبل ذلك بكثير..لكنه تأخر.. تأخر كثيراً.

تأملت وجهه في حب قائلة:

- ماهر...هو أخوك... ولا يوجد أحد في الدنيا يمكن أن ينكر هذا أو يغيره... ما بي..دعه

لي..ولا شأن لك به..لكن مازن..أخاك..وهو لك كزياد..فعامله كما تعامل زياد...وربما يوماً

سأتغلب على حزني...ليعود مازن لي كما كان.

ابتسم ماهر قائلاً:

- حسناً أمي... ولكن..أنا لا أريدك حزينه أو غاضبه من مازن..والا سأغضب منه أنا أيضاً.

ضحكت مردده:

- حسناً..حسناً..كما تريد.

طبع قبله بين عينيها ثم التفت ليغادر الحجرة تاركاً إيها وما أن أطمئنت لمغادرته حتى

عادت دموعها تهال على وجنتيها وهي تقول:

# العودة

- ليتني ماهر أستطيع أن أنسى... ليتني أستطيع.

المكان هاديء تماماً، انقطعت عنه الاصوات والأقدام إلا القليل الذي تذكروا أن لهم موتى يجب زيارتهم ومن بينهم مازن وزياد تحركا بهدوء أجبرهما عليه المكان برهبتة كان زياد يقود الطريق الذي لا يعرفه مازن حتى وصلا فعلاً، توقف مازن أمام البوابة الحديدية ليقرأ... "مقابر عائلة زيدان" .. تبع زياد للداخل فتوقف زياد أمام القبر قائلاً:

- السلام عليك أي وعمي، معي مفاجأ ستسعدكما حتماً... شخص لم يزوركما لسنوات... إنه مازن سأتركه معكما.. وأسلم على خالتي.

استدار لمازن قائلاً:

- هيا ألق السلام على أبي وأبيك... القبر الآخر ترقد فيه خالتي.

ابتعد زياد بينما وقف مازن أمام القبر، لم يقل شيء أو ربما أراد لكنه لم يستطع ظل في مكانه وقد ترققت الدموع في عينيه وأخيراً فرج شفثيه ليتكلم:

- أبي..أبي..هل حقاً تسمعي؟!...لقد تحدث لك زياد وكأنك تسمعه، أبي..أعلم أنك ساخط علي... ولا ألومك فأنا نفسي ساخط على نفسي...ولكن يا أبي...لقد دفعت الثمن غالباً..غالباً جداً.... إهانته..تعذيب...خوف...كراهية..شر...بل...بل أبشع من ذلك.

انفجر بكياً وجثى على ركبتيه مردفاً:

- أبي..سامحني...سامحني أرجوك...وادعو لي يا أبي..ادعو لي...كم أنا بحاجة إليك يا أبي... ليتك معي.... ليتك معي...لتغير الكثير... أفتقدك أبي... أفتقدك كثيراً.

هدأ من روعه قليلاً لكن دموعه لم تتوقف عن الانسياب أراد أن يحدث عمه أيضاً لكنه تذكر..

# العودة

".... لا شأن له بزوجي...."

فاعتدل وافقاً.. ونقل بصره لقبر أمه واقترب منه قائلاً:

- السلام عليكِ أُمي.... يا أحن من عرفت في هذه الدنيا.. أتمنى أن يكن حالك أنتِ وأبي أفضل من حالي.... أتعلمين أن ابنك الكبير حاول الانتحار...وبعد نجاتي...تصورت أن الله يعطيني فرصة أخرى لعلني أنال النعيم بدلاً من الجحيم والتقي بكما...لقد خسرت الدنيا يا أُمي..ولا أعلم إن كنت سأنال الآخرة أم سأخسرهما هي الأخرى..ادعوا لي يا أُمي..أنتِ أيضاً..لعل هناك فرصة أخرى.

استدار ليغادر المكان وخرج من المقابر واتجه إلى حيث سيارة زياد لكنه مر بجانبها وتعادها واستمر في السير، فقفز زياد من السيارة التي جلس فيها حتى يعطي لمازن حرية الحديث.. لينادي:

- مازن...مازن.

فتوقف مازن دون أن يستدير له حتى وصل له زياد ووقف أمامه قائلاً:

- ماذا حدث؟!.. إلى أين أنت ذاهب؟! **رَبِّ كَلِمَةٌ اشْعَلَتْ حُلُمًا**

- لا أعلم...فقط أردت أن أسير على قدمي.

- حسناً سنسير معاً..لكن دعنا نركب السيارة لنغادر المكان أولاً.

لم يعترضه مازن فعاد معه للسيارة ليغادرا ثم أوقف زياد السيارة في مكان قريب لنهر النيل واتجه إليه مع مازن ليسيرا بالقرب من حافته تطلع زياد لمازن فرأى في عينيه الكثير من الحزن والألم فعض على شفتيه في ضيق قائلاً لنفسه:

## العودة

- ساعدني يا مازن كي أخلصك من كل هذا الألم... أفصح عما في داخلك... دعني أساعدك.

ثم فرج شفتيه قائلاً:

- مازن... تكلم... أرح نفسك وأرحني.

لم يلتفت له مازن بل ظل يحدق في طريقه ثم توقف قائلاً:

- لم أنت الوحيد المتقبل لعودتي.. وتحاول مساعدتي بشتى الطرق؟!... ولم خالتي أصبحت تكرهني هكذا؟!.. ولم تهمني بقتل عمي؟! رغم أن وفاته كانت بعد رحيلي بأربعة أعوام على حد قولك.

- مهلاً... مهلاً.. كل هذه تساؤلات... حسناً سأجيبك عليها على أن تجبني أنت أيضاً... أين كنت...

قاطع مازن قائلاً:

- لن أجيب على شيء.. إلا وقتما أريد.

عقد زياد حاجبيه قائلاً:

- هذا ليس عدلاً.

صاح مازن:

- زياد.

- حسناً.. سأجيبك... دعنا نقف هنا.

## العودة

اقتربا أكثر من حاجز شاطيء النيل ليستندا عليه فتعلق بصر زياد بمياه النيل وتكلم:

- نعم أنا الأكثر فرحة بعودتك... وسأظل كذلك... بل سأفعل المستحيل كي لا تتركنا ثانية... لأني... لأني هكذا وعدت أبي... لقد كان أبي مرتبط بأخيه كثيراً.. أبوك... وعندما فقدناه هو وخالتي حزن أبي حزناً شديداً وظل لمدة ثلاثة أيام يضمك لصدره طوال الليل حينها كنت أنت في الحادية عشر من عمرك وأنا طبعاً في الثالثة عشر.. تألمت كثيراً.. ليس غيرة منك.. فلقد تعلمت من أبي كيف أحبك ولكني تألمت لألم أبي... ورأيتك يحدثك وأنت نائم بين ذراعيه يحدثك وكأنك تسمعه.. كان يؤكد لك أنه لن يجعلك تشقى أبداً ولن تشعر بيمتك... ورأيت دموع أبي.. وكانت المرة الأولى بالنسبة لي التي أراه يبكي فيها، وحينها قررت أن أساعد أبي... بأن أحميك وأسعدك كما يريد أبي... ومرت الأيام وهدأ حزن أبي خاصة أنه كان يرى فيك أخاه الذي فقده. حتى جاء هذا اليوم المشؤوم... فقدناك أنت أيضاً ولم يحتمل أبي هذا كثيراً... سقط بيننا بعد شهر واحد من غيابك... فلقد تملكه الحزن بشكل مفرط... سمعته يلوم نفسه كثيراً على ما حدث واعتبر نفسه المسئول الأول والأخير عنه.. لم يلومك أبداً.. كان يرى أنك ضحية... ضحية سوء تربية منه لأنه أفرط في تدليلك.. حتى إنه لم يستطع أن يزور قبر عمي... كان يشعر بالخجل.. ماذا سيقول له؟.. أضعت ابنك... حدثته أمي كثيراً كي يعود كما كان على أساس أنك لن تبتعد عنا طويلاً وسرعان ما ستعود لنا.. فتماسك أبي... وحاول أن يقنعنا أنه عاد كما كان.. ولكني كنت أكثرهم رؤية له... لم يعد أبي كما كان أبداً... ومر العام الأول.. وبدأ أبي يستعد لاستقبالك.. لكنك لم تعد... وعاد المرض لأبي... وهذه المرة لم يفارقه... ولكنه أحيانا كان يتماسك وأحيانا يعود له التعب... وظللنا هكذا ثلاث أعوام أخرى... وفقدنا جميعاً الأمل في عودتك بل ظننا أنك لم تعد على قيد الحياة... إلا أبي... ظل يُذكرنا بك... وبأننا يجب أن نبحت عنك، وفي نهاية أيامه زاد مرضه... كان مرض موت لكننا لم نعرف... زاد حديثه

# العودة

عنك وعن عمي وخالتي..وقبل وفاته بأيام طلبني... كنت اتمت عامي السابع عشر تحدث  
إلي في وهن شديد.....

".... زياد.....بني...سألتني بعمك ماذا سأقول له!؟"

.... أبي لا تقل ذلك...هـى أزمة عابرة...ستكون بخير.

...اسمعي يا بني...فوالله لا أدري إذا كنت سأبقى حياً للحظة القادمة... مازن يا  
بني..مازن..كان أمانة في عنقي ..كيف سألتني بأبيه وقد ضاع مني.  
...أبي..مازن هو الذي أخطأ لا أنت.

...لا..لا...بالله عليك..لا تقل هذا أبداً...لا تكن كأملك...مازن سيعود...وأنت ستبحث  
عنه...وإذا عثرت عليه إياك أن يضيع منك مرة أخرى...زياد..أنا أحمل الجزء الأكبر من  
الذنب...ساعديني يا بني وخلصني منه.  
...سأفعل أي شيء من أجلك يا أبي.

...وأنا واثق من هذا.... كل ما أريد...هو أن ألتقي بأخي وأنا على ثقة أن مازن سيكون  
بينكم يوماً...عدني يا بني..عدني...أنك ستبحث عنه وإذا عثرت عليه أوهو عاد أحسن  
استقباله وكن له كما كنت له واحمه من أمك..لأني واثق أنها لن تحسن استقباله خاصة بعد  
أن أغادركم.  
..أبي أرجوك.

..اسمعي..ولا تقاطعي ثانية... لقد أحببت عمك كثيراً وكذلك مازن وماهر وعندما مات  
عمك وجهت كل طاقة حبي لهما وخاصة لمازن أقسمت بيني وبين نفسي أنه لن يشقى أبداً  
مادمت حياً..لكنه ابتعد عني...وياللأم الذي يراودني..كلما تخيلته يتألم أو يعاني وأنا بعيداً



## العودة

عنه لا أستطيع حمايته...وها أنا الآن...سأموت وهو مازال بعيد..لذا ستتولى أنت هذه المهمة عني، سترعاه وتحميه حتى من نفسه...إياك أن يصاب بسوء عندما يصبح معك...عدني بذلك يا زياد..عدني.

...حاضر أبي..أعدك..... سأبحث عنه...وإذا عاد...لن أسمح لأحد أن يضايقه يا أبي..أعدك."

- لا تتصور مدى الراحة التي رأيتها على وجهه بمجرد وعدي له، لذا اقسمت أن أف بوعدي مهما كان الثمن..والحمد لله..ها أنت عدت لنا...وبدأت أف بالوعد الذي أخذته على نفسي.... هذه هي القصة كلها.

نظر لمازن ليرى العبرات تسيل على وجنتيه فمد ذراعه واضعاً كفه على كتفه وضغط عليه برفق قائلاً:

- لا تبكي يا مازن..أرجوك...ساعدني كي أف بوعدي لأبي.

قال مازن في ألم وحزن شديد:

- إذا..صدقت خالتي..أنا قاتل عمي.

- لا..

صاح بها زياد مستطرداً:

## العودة

- نحن نولد وقد كتب أجلنا..ولا يوجد أحد يمكن أن يقدم هذا أو يؤخره..سواء كنت معنا أو بعيداً عنا...كان أبي سيموت في هذا الوقت..فلا تحمل نفسك مالا تطيق..وكما قلت لك...ساعدني كي أفي بوعدني لأبي..وابق سعيداً قدر المستطاع.

التفت له مازن وهو يمسح دموعه وقد رسم ابتسامة باهته على شفثيه فبادله زياد إياها لكنها كانت أكثر اتساعاً ثم ضمه إليه بقوة وهمس في إذنه:

- لا عليك يا مازن... لن أضايقك حتى بالحديث عن ماضي أنت لا تريد أن تتناوله...سنبدأ حياه جديده..أكثر إشراقاً.

ثم اعتدل ناظراً لعينيه ومردفاً:

- ولكني سأسألك سؤال واحد...وأرجوك أجنبي عليه.

أوما مازن برأسه إيجاباً فقال زياد:

- هل في هذا الماضي أي شيء يمكن أن يؤذيني أو أمي أو زهرة أو ماهر..بأي شكل من الأشكال.

حرق مازن في وجهه للحظات ثم قال:

- بالتأكيد لا... وإلا ما عدت لكم.

ضمه زياد مرة أخرى قائلاً:

- رائع..هذا ما ظننته... أنت لا يمكن أن تسبب الألم لأياً منا.... أرحتني..أرحتني يا أخي.

شرد مازن ببصره ثم تصاعد هذا الصوت داخله:



## المودة

- خطيب المستقبل.. لم؟...هل أصبح شباب مصر نادرين حتى تكون أنت خطيب المستقبل.

- يا الهي..وهل أنا مثل أي شاب من شباب مصر.

- كفاك غروراً...ولا تنسى نفسك..أنا أكبر منك بخمس سنوات كاملة.

قبل أن يرد ماهر صاح زياد:

- أعتقد أنك كنت في طريقك لشخص بحاجة إلى أن يأتينا سريعاً.

ضرب ماهر جبهته قائلاً:

- أخ.... لقد عطلتيني .

ثم تركها مندفعاً لحجرة مازن بينما هبطت زهرة ومرت أمام زياد واستعدت للخروج فنظر لها زياد قليلاً ثم قال:

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟!

- إلى النادي.

- جيد..سنلتقي بكِ هناك.

- لا.. شكراً.... لا داعي.

- زهرة... إياك ومضايقة مازن هناك سواء التقينا بكِ وحدك أو مع آخرين..نحن نريد أن

نعرفه بكل معارفنا... فهمتي؟!

# العودة

مطت شفيتها دون تعليق وتركته لتغلق الباب خلفها فهز رأسه قائلاً:

- لا فائدة فيك.... لم تنجح ياسمين حتى الآن في التأثير فيها؟.

لم ينتظر ماهر ليترك الباب بل فتحه على مصرعيه وهو يقول:

- مازن..لم التأخ....

توقف الكلام في حلقه وهو يحدق في أخيه الذي كان يقف في منتصف الحجرة عاري الصدر حيث لم يرتدي قميصه بعد وانتفض مازن عندما رآه أمامه فأمسك بقميصه وشرع في إرتدائه قائلاً:

- ألم تتعلم طرق الأبواب!؟

لم يجيب ماهر بل ظل يحدق في أخيه فزعاً، فما رآه لم يكن يتوقعه.. فجسد مازن قد امتلأ بأثار هائلة لما يشبه التعذيب بالسياط ، فحدق مازن بوجهه قليلاً ثم قال:

- ماذا أصابك يا فتى!؟! ... على كل حال أنا مستعد يمكننا الانصراف.

ثم اقترب منه ليخرج لكن ماهر تشبث بذراعه وهو يقول بصوت مكتوم:

- ما هذا يا مازن!؟!

التقت عيناه بأخيه لكن مازن سرعان ما أدار بصره قائلاً:

- عما تتحدث!؟!

- أنت تعلم جيداً عما أتحدث ... ما هذه الاثار التي تملأ جسدك!؟!

# المودة

- إصابات قديمة.

- إصابات..مازن أنا لست طفلاً ... هذه ليست إصابات عادية... بل هناك آثار ضرب بالسياط..وكأنك كنت تحت تعذيب من نوعاً ما.

رفع مازن حاجبيه قائلاً في تهكم:

- تعذيب..رويدك يا فتى..نحن لسنا في شيكاغو..وأنا لا علاقة لي بالجاسوسية أو المخبرات..أم تتصورني كنت في معتقل ما.

ثم نزع ذراعه من يد ماهر قائلاً:

- هيا يا ماهر..هي مجرد إصابات قديمة...وأرجوا ألا تحدث زياد في الأمر ... لا أريد مزيد من الأسئلة.

تحرك مازن للردفة بينما توقف ماهر قليلاً مكانه ثم تبعه لأسفل ليستقبلها زياد الذي قال:

- أخيراً ظهرتما ... هل ذهب ماهر ليعطلك أم ليجعلك تسرع؟

ابتسم مازن قائلاً:

- لم أكن انتهيت بعد من ارتداء ملابسي.

- حسناً هيا بنا.

خرج ثلاثتهم ليستقلوا سيارة زياد الذي تطلع للمرآة ناظراً لماهر ثم قال:

- ماذا أصابك يا فتى؟! ... لم هذا الصمت؟!

نظر ماهر لمازن قليلاً ثم قال:

# العودة

- لا شيء... هيا لننطلق.

بدا النادي شديد الزحام وكأن كل رواده قرروا أن يقضوا يومهم هذا فيه. كان عالم جديد على مازن الذي اتسعت عيناه وهو يرى هذا الكم من البشر الذين تتم هيئاتهم على ثراء ما، شعر بغربة شديدة حتى أنه دون أن يشعر تعلق بذراع زياد الذي كان يسير جانبه فابتسم زياد وقد شعر به فقال:

- اهدأ مازن .... سرعان ما ستعتاد ما ترى.

تطلع له مازن ثم أدار بصره في المكان وهو يسأل نفسه:

-..... هل ستعتاد هذا حقاً يا مازن؟ .... أرجو ذلك.

- انظر قد جاء ماهر برفاقه.

قالها زياد ليلفت نظر مازن لأخيه ورفاقه الذين اقتربوا منها فقال ماهر:

- اقتربوا أكثر... هذا أخي العائد لنا بعد غياب طويل.

حيوه جميعاً ثم أردف ماهر قائلاً:

- مازن.. أقدم لك أعز رفاقي... سمير .... توفيق .... علي .

ثم طوق رقبة علي مازحاً:

- وعلي بالذات... تقريباً لا نفرق.

# العودة

ابتسم مازن مرحباً:

- اهلاً بكم جميعاً .. أنا سعيد بلقاءكم.

قال سمير:

- بل نحن الأسعد .... حقيقة في البداية لم نصدق أن لماهر أخ .... هو لم يحدثنا عنك أبداً.

تجهم وجه مازن قليلاً لكنه أجبر نفسه على الابتسام قائلاً:

- لا تلموه... انا غبت عنه وهو صغير.... فمن المنطقي أن ينساني.

شعر علي بجرح مازن فرفع كفه قائلاً:

- لا..لا تدافع عنه... أنا عرفت السبب الحقيقي لعدم ذكرك لنا.

عقد ماهر ذراعيه قائلاً:

- ما هو السبب يا عبقرى؟!

غمز علي بعينه قائلاً:

- لأنه أكثر منك وسامه وأناقه.

ثم اقترب من مازن قليلاً وهو يقول: **كلمة اشعلت حُلماً**

- انظروا يا رفاق... إنه صاحب عينان زرقاوين... رائع.

انفجروا جميعاً ضاحكين وكذلك علي الذي تعلق بمازن قائلاً:

- ماهر...هل يمكنك أن تتنازل عن أخيك لي لمدة أسبوع واحد.... أعتقد أن كل فتيات

النادي سيجلسون على طاولتنا يومياً.



# المودة

ضحك ماهر قائلاً:

- أخيراً اعترفت... أنت لا يمكنك جذب الفتيات إلا بمساعدة خارجيه عكسي تماماً.

عادت ضحكاتهم تعلوا بينما عقد علي حاجبيه قائلاً:

- هذا ليس صحيح.

- أضحكوني معكم.

التفتوا لقائلها ليروا ياسر باسمأ فقال زياد:

- ياسر... صديقي العزيز... جيد أنك لم تتأخر.

- وهل يمكن أن أتأخر عليك صديقي.

ابتسم زياد قائلاً:

- بالطبع لا... حسناً... هيا مازن... دع ماهر مع رفاقه.

صاح ماهر:

- لا مازن سيأتي معنا.

عقد زياد حاجبيه قائلاً:

- ماذا؟!... لا مازن سيأتي معنا نحن .... هو رأى رفاقك ..لكنه لم يرى كل رفاقي بعد.

- فلنسأل مازن.

قالها ماهر وهو ينظر لمازن ثم أردف:

# العودة

- مازن... ألا ترى أننا مجموعته رائعة... والبقاء معنا متعة حقيقية... هيا تعال معنا.

رفع مازن حاجبيه ثم قال:

- في الحقيقة..أتم حقاً مجموعة رائعة.... وأنا لا أضراركم... فدعوني مع من يمكن أن أتغلب عليهم.

همهم علي قائلاً:

- يا لها من اجابة دبلوماسية رائعة.

مط ماهر شفثيه:

- كما تريد مازن .... المهم ألا تندم.

- سأحاول.

قالها مازن ليلتفت ماهر ورفاقه مغادرين بينما سار مازن مع زياد وياسر الذي قال:

- من منهم هنا اليوم؟! أجاب زياد:

- أعتقد أننا سنلتقي بشادي .... أما البقية فلا أعلم.

توقف ياسر فجأة قائلاً:

- انتظرا.

توقف زياد ومازن الذي ظهرت عليه الدهشة عندما رأى فتاة تقترب منهم وكان مصدر

دهشته أن هذه الفتاه هي نفسها التي رآها في المنزل مع زهرة وهو يذكر اسمها جيداً...

"ياسمين"

# العودة

توقفت أمامهم وعلى وجهها الكثير من الحزن فقال ياسر:

- ماذا بكِ؟!!

زفرت في ضيق :

- لا شيء.. لا عليك.

ثم نظرت لزياد ومازن قائلاً:

- كيف حالك زياد؟!.. كيف حالك؟!!

قالتها لمازن على استحياء فقال زياد:

- نحن بخير... كيف حالك أنتِ ياسمين؟!... علمت أنك التقيتي بمازن في منزلنا.. لكنني واثق أن زهرة لم تجد الوقت لتعرفكما ببعض... هو ابن عمي.. أخو ماهر.

اومأت برأسها قائلة وهي تنظر لمازن:

- نعم... حمداً لله على عودتك.

قال مازن: رَبِّ كَلِمَةً اشْعَلْتَ حُلُمًا

- أشكرك.

قال ياسر:

- قولي لي... ماذا حدث؟!.. لم كل هذا الضيق؟!!

ترددت في الكلام فقال زياد:

# المودة

- حسناً سنتركك...ربما هذا أفضل.

قالت بسرعه:

- لا.. ليس الأمر كذلك... المشروع مشروعى... وأنا فقط من أتحمل أعبائه.

قال زياد متسائلاً :

- أي مشروع؟!!

أجاب ياسر:

- لقد فكرت ياسمين في انشاء مقر في النادي لتعليم أطفاله تجويد القرآن والكثير من الأفكار الاسلامية الهادئة كوسيلة لانشاء جيل متفهم لدينيه بعيداً عن التعصب والتشدد.

- فكرة رائعة.

تهتت ياسمين:

- أشكرك... كنت أتمنى أن يراها مدير النادي كذلك لكنه رفض بشده.. برغم أن هناك مجموعه طلبت انشاء مقر خاص للحفلات والترفيه ووافق.. لم أتوقع أن يرفض طلبي.

- هل رفضه نهائياً؟!!

سألها مازن فالتفتت إليه قائلة:

- نعم... بدا لي كذلك؟!!

- لا بأس سنتحدث إليه.

قالها مازن في ثقة ادهشت ثلاثهم فقال زياد:

# العودة

- تتحدث إلى من؟!

- إلى هذا المدير.

هزت ياسمين رأسها:

- الأمر ليس بهذه السهولة... لا أعتقد أنه سيوافق.

- مهلاً.

قالها مازن مردفاً:

- هل هذا المشروع ظل في رأسك فقط.. أم استشرتي أعضاء النادي..وقد أبدو إعجابهم به.

- نعم...لقد تحدثت إلى الكثير.. ولم يبدي أيهم اعتراض.

- وهل هم ذو سطوة.. أنا أرى معظم أعضاء النادي من الأثرياء.

قال ياسر:

- هذا صحيح.... فهذا النادي ليس من السهل الاشتراك فيه إلا لأصحاب المال.

- رائع... هيا يا شباب دعونا نذهب لهذا المدير... وسنعود لك بالموافقه..فقط انتظرينا.

نظر ثلاثتهم لبعضهم فهز زياد كتفيه قائلاً:

- حسناً.

تركوا ياسمين فقال ياسر:

- لما تتصور انك ستقنعه؟!

# العودة

أجاب مازن:

- سأتعامل معه... بالفكر الذي يعجبه.... ولا تنسى أنا مدير العلاقات العامه في المكتب.

هز زياد رأسه مبتسماً ثم قال:

- ها هو مبنى الاداره...سنرى المدير بالداخل.

ما أن دخلوا حتى استقبلهم المدير وقد استطاع أن يميز زياد ويأسر بسهولة لكنه وقف عند مازن منتظراً تعريف له، فقال زياد:

- هذا مازن.. ابن عمي ... كان على سفر وعاد لنا.

- حقاً ... أهلاً... حمداً لله على سلامتك.

قال مازن:

- أشكرك.

جلس المدير خلف مكتبه قائلاً:

- هل يمكنني أن أقدم لكم أي مساعدة!؟

صمت كلاً من زياد ويأسر فهما لا يعرفان ماذا يجب أن يقولوا فتطلعا لمازن الذي قال:

- بالتأكيد يمكنك أن تقدم لنا مساعدة كبيرة جداً.

## المودة

ثم اقترب من المكتب ليجلس على الكرسي المقابل له وأشار لزياد ويأسر كي يجلسا على الاريكه التي في الحجرة ، فشعر زياد بالحرج من جراءة مازن فتطلع للمدير الذي ابتسم قائلاً :

- لا بأس اجلسا.

ثم نظر لمازن مردفاً:

- أسمعك.

ابتسم مازن قائلاً:

- أشكرك... ببساطه شديده كما قال لك زياد ..أنا عدت لهم حديثاً تحديداً منذ أسبوع، وحيث كنت تعلمت الكثير...وأهمها أين يمكن أن استثمر أموالى .. لا يغرك شبابي فأنا وريث لأحد رجال الأعمال وعندما حدثني زياد عن النادي وأنشطته كنت سعيد جداً فسيادتك تعلم أن النادي كمؤسسه رياضيه يعتبر وسيله رائعه لتعليم الأطفال قبل تدريبهم أو زرع حب الرياضه فيهم... والاستثمار ليس كسب أموال فقط وإنما أيضاً يمكن أن نستثمر أموالنا بأن ننال الخدمة المناسبة لذا كنت سعيد بانضمامي للنادي خاصة أني رأيت الكثير من أهل الصفوة من رواده ..لكن... شعرت بجزن شديد عندما علمت أن أحد الأنشطة التي جذبتني للنادي لن يتم تقديمها.

عقد المدير حاجبيه :

- أي نشاط هذا؟!

اعتدل مازن مجيباً:

- إنه نشاط تقدمت به الانسة ياسمين الخاص بانشاء مقر صغير لتعليم الصغار التجويد.

# العودة

مط المدير شفثيه راسماً ابتسامه لا تعني شيء عليها قائلاً:

- أه فهمت... كل هذه المقدمة بسبب الانسة ياسمين.

هز مازن أصابعه في استعلاء قائلاً:

- لا يا سيدي... بل من أجل النشاط الذي تقدمت به.. فأنا لا أعرف الأنسه ياسمين

معرفة شخصية... ولكن ياسر وزياد يعرفونها جيداً.

مال المدير للأمام قائلاً:

- على كل حال... أنا رفضت الفكرة لأننا لسنا مؤسسه دينية.

- وهل هذا يعني أنكم مؤسسه إطرايية?!

- ماذا؟!!

قالها المدير في دهشة فأردف مازن:

- لقد علمت أنه تم الموافقة على فكرة نشاط ترفيهي سيعتمد على الغناء والطرب والحفلات

برغم أن النادي لا يعتبر ملهى ليلي ولا مسرح غنائي... أليس كذلك سيدي?!

استند المدير بمرفقيه على سطح المكتب وقد شبك أصابعه قائلاً:

- ماذا تريد بالضبط?!

نظر مازن لأظافر يده ثم عبث بها قائلاً بنفس اللهجة المتعالية:

- أن تتم الموافقة على المشروع الذي اقترحتة الانسة ياسمين.... فلقد علمت أن معظم

أعضاء النادي قد أبدوا إعجابهم بفكرة المشروع.. ولا أعتقد أنه يرضيك أن نجمع اراء كل



# العودة

من وافق ونتجه مباشرة إلى رئيس النادي لننال موافقته... وصدقني سننالها.. خاصة عندما يرى الأسماء التي أبدت أعجابها بالمشروع.

حرق المدير في وجهه مازن في غضب ثم قال:

- أتهددني .. أم ماذا؟!

- بالطبع لا... ولكنك مدير النادي والأولى لنا التعامل معك مباشرة بدل من أن نتخطاك... صدقيني هذا قصدي؟!.. أي إنني أريد مصلحتك؟!... وإلا ما جئت إلى هنا.

ظل المدير يحدق في وجه مازن الذي أضاف:

- ولا تنسى يا سيدي أن مصر لا تزال دولة إسلامية... وستحسب لك أنك تساعد جيل قادم على تفهم الدين بشكل معتدل بعيداً عن التعصب والتشدد... أي جيل أبعد ما يكون عن الارهاب والارهابيين... ما رأيك؟!

افلت المدير ضحكه قصيرة شبه ساخرة:

- نعم.. بالتأكيد... حسناً... لا بأس... يمكن للأئمة ياسمين.. أن تتفضل بالحضور... لنناقش الأمر... وسنقوم باعتماد المشروع.

قام مازن وكذلك ياسر وزياد اللذان كان يحدقان في مازن بذهول وقال مازن:

- لن تندم على هذا القرار أبداً... صدقني... وستشعر بذلك عندما ترى سعادة الجميع بمثل هذا المشروع.

# العودة

ثم صاحفه واستدار مغادراً وخلفه زياد وياسر وما أن خرجوا من مبنى الإدارة حتى انفجر مازن ضاحكاً:

- ياإلهي.... لقد نجحت.... ما رأيكما؟!

كان الدهول مازال مصاحباً لهما حتى قال زياد:

- كيف استطعت أن تتحدث بكل هذه الثقة؟

ابتسم مازن قائلاً:

- لأنني تعلمت... إذا أردت شيء.. علي أن أتحدث عنه وكأنه ملكي فعلاً.... كذلك عليك أن تفهم ما الذي يمكن أن يستفز من هو أمامك لينفذ ما تريد.

- وأين تعلمت هذا؟

سأله ياسر فقال مازن:

- في أكبر مدرسة في التاريخ... مدرسة الحياة.

قالها في حزن واضح مما أدهش ياسر أما زياد فظل يحدق في وجهه مازن محدثاً نفسه:

-.... تحدثت بأكاذيب وكأنها حقيقة لولا أنني أعرفك لصدقت كل كلمة قلتها.... ترى هل يمكنك أن تكذب هكذا وقتما تريد.. ويصدقك الآخرون.

أفاق على صوت ياسر:

- سأذهب لأبلغ ياسمين...ستكون سعيدة جداً.

# العودة

تركها فتابعه مازن ببصره ثم قال:

- يبدو سعيداً جداً... وكأنه مشروعه الخاص.

قال زياد:

- أي شيء يخص ياسمين يخصه.

نظر له مازن مندهشاً ثم قال:

- حقاً... هل الامر واضح بهذا الشكل.. أقصد أنت تعرفه؟!

عقد زياد حاجبيه متسائلاً:

- أي أمر.. وأعرف ماذا؟!

- يبدو لي أن هناك علاقة من نوع خاص تجمع ياسر بياسمين.. إنه يهتم لأمرها كثيراً.. وكأنهما.. متحاب....

توقف عن المتابعة عندما رأى زياد يقاوم الضحك لكنه لم يتمالك كثيراً بل انفجر ضاحكاً فغضب مازن وقال:

- ماذا بك؟!... لم كل هذا الضحك؟!

استمر زياد في الضحك، فاستدار مازن قائلاً:

- جيد.. سأتركك عندما تنتهي من الضحك أخبرني.

لكن زياد أمسك به محاولاً التوقف عن الضحك وقال:

# العودة

- أسف... سامحي... لم استطع أن أتمالك نفسي... هناك فعلاً علاقة خاصة بين ياسر وياسمين.

- وماذا في ذلك يسبب كل هذا الضحك!؟

- الأمر ليس كما تظن... ياسر وياسمين إخوة.

- إخوة!!

- نعم... ياسر الأخ الأكبر وعندما تعرفت عليه تعرفت زهرة على ياسمين..ومنذ ذلك الحين ونحن أصدقاء.

حدق مازن في وجهه قليلاً ثم قال:

- إخوة.

- نعم إخوة.

ابتسم مازن لسوء توقعه وظنه ثم قال:

- لا بأس أي شخص يمكن أن يخطيء

ابتسم زياد في خبث قائلاً:

- أي شخص...أم إنك تشعر بشيء ناحية ياسمين.

اتسعت عينا مازن:

- ماذا تقول!?!...هذه المرة أنا من سأضحك...أنا لا أعرفها أصلاً...وهذه هي المرة الثانية

التي أراها فيها...وتريدني أن أشعر نحوها بشيء... على كل حال لا تقلق...ليس لدي نية في

أن أحب أحد.

# العودة

- لماذا؟!... هل قلبك في أجازة؟!

ابتسم ابتسامه باهته قائلاً:

- يمكنك أن تقول ذلك... أين شادي صديقك هذا الذي تريد أن تعرفني عليه ... ألن نذهب إليه؟!

تطلع زياد لمازن وشعر أنه يريد أن ينهي الحوار فقال:

- نعم ... هيا بنا... سيلحق بنا ياسر هناك.

سار مازن جانبه وسرعان ما قفز لعقله ذكرى جديدته....

"..... أنا أحبك.

... أفيقي سلمى... نحن لسنا من حقنا أن نحب.

... لماذا... دعنا نحاول.

... بهذه الحياة التي نحيها.

... دعنا نهرب... أنا معي بعض المال أدخرته دون علم أبي... فلنتركه ونترك الجميع ونهرب.

..ليت الأمر بهذه السهولة... أبيك لن يتركنا... سيرسل كل أوغاده خلفنا... لن يترونا... بل قد يقتلونا.

...لا... هو أبي..مهما كان قاسياً... لن يقتلني.

... سيقتلني أنا إذا... فأنا لا أعني له شيء.

... أنت جبان.

# المودة

...سلمى.

...نعم.... أنت جبان... أنا أخيرك ما بين حياه قدرة حقيرة...وحياة جديده نبدأها معاً...  
وأنت لا تريد.

.... ألم يخبروك من قبل.... أنني لا أحسن الاختيار أبداً... أبداً."

إنتبه على صوت زياد:

- ها هو شادي... شادي... نحن هنا.

رأى مازن شاب يقترب منها فرفع إحدى حاجبيه قائلاً في دهشة:

- هل سمحوا له الدخول بهذه الهيئة؟!

وكزه زياد هامساً:

- وماذا في هيئته؟!.... أصمت إنه يقترب.

أقرب منها أكثر، كان شاب يقارب زياد في العمر لولا أن إطلاق لحيته أعطاه هيبه أكثر،  
بالإضافة إلى ارتدائه جلاباب قصير، توقف ليصاحف زياد بجراره قائلاً:

- كيف حالك زياد؟!... لم ألتقي بك الاسبوع الماضي؟!

ابتسم زياد قائلاً:

- نعم... في الحقيقة كنت مشغولاً قليلاً مع هذا الشاب.

# العودة

أشار إلى مازن مردفاً:

- أعرفك.. مازن...

قاطعته شادي قائلاً:

- أخو ماهر.

نظرا له في دهشه وقال مازن:

- كيف عرفت؟!

ضحك شادي قائلاً:

- ماهر ورفاقه ينشرون الخبر طوال الاسبوع الماضي.

- ماذا؟!

قالها كلاً من مازن وزياد معاً، ثم قال زياد:

- ماهر.. هذا؟!... لا يهم... كيف حالك؟!

- بخير والحمد لله... لولا أنني في ضيق... بسبب رفض مشروع ياسمين.

- لا... لقد تمت الموافقة عليه أخيراً. **رواية حكمة اشعلت حُلماً**

حدق فيه شادي قائلاً:

- حقاً.

- نعم.... والفضل في هذا بعد الله يعود لهذا الشاب.

نقل شادي بصره لمازن في دهشه قائلاً:

# العودة

- أنا لا أفهم شيء... هل مازن سيعمل في المشروع؟

أجاب مازن:

- لا... ليس لي علاقة به... كل ما هناك أنني حاولت اقناع المدير بالموافقة فاقتنع.

لم يستطع شادي استيعاب الأمر لكنه تغاضى عن ذلك قائلاً:

- على كل حال.. جزاك الله كل خير... سيضاف إلى ميزان حسناتك الكثير دون أن تعرف.

رسم مازن على شفثيه ابتسامة باهته دون تعليق، وسرعان ما انضم إليهم ياسر ليبلغ مازن شكر ياسمين الجزيل لمساعدته أجمعوا على طاولة واحده ليتجادبوا أطراف الحديث وظل زياد من حين لآخر يدفع بمازن في الحوار ليتداخل أكثر مع رفاقه وقد نجح في هذا كثيراً حيث أصبحت جلستهم أكثر متعة بمزاحهم المتبادل

بحثت ياسمين عن زهرة طويلاً دون جدوى رغم أنها تعلم وصولها للنادي فعلاً لكنها سرعان ما تذكرت شيء فهمست:

- تباراً زهرة... إياك أن أجذك هناك.. إياك..

ثم أسرع الخطا لجهه حددتها مسبقاً وما أن وصلت حتى شهقت ثم ضغطت على أسنانها في غيظ واقتربت أكثر قائلة في عصبية:

- زهرة.



# العودة

انتفضت زهره في عنف :  
- ياسمين..كاد قلبي أن يتوقف.

عقدت ذراعيه وهي ترمق الشاب الواقف مع زهرة في كراهية واضحة قائلة:

- ولم كل ذلك؟!... مادمت تعملين شيء لا يستدعي الخوف.

لم يعيرها الشاب الكثير من الاهتمام بل نظر لزهرة قائلاً بلهجه رقيقة مصطنعه:

- عزيزتي زهرة... سأتركك الآن وللحديث بقية.

ثم التفت وهو ينظر لياسمين راسماً على شفثيه ابتسامة ساخره مغادراً المكان فقالت زهرة في غضب:

- لم كل هذا ياسمين؟!.. أرجوكِ توقفي عن ذلك.

- أتوقف عن ذلك!!... يبدو أنك أصبحت من الغباء الكافي كي لا تفهمي هذا الثعبان.

استدارت زهرة في عصبية قائلة:

- لا فائدة من الحوار معك!؟!

أمسكت ياسمين بذراعها لتديرها لتواجهها:

- بل أنتِ لا فائدة فيك... ويبدو أنني سأضطر إلى تنفيذ تهديدي.

أفلتت ذراعها وأرادت التحرك لكن زهرة تشبثت بها قائلة:

- ماذا تقصدين!؟!

حدقت ياسمين بها لحظات ثم قالت:

# المودة

- سأخبر زياد.

أردت تحرير نفسها لكن زهرة تمسكت بها أكثر قائلة في فزع :

- لا ياسمين أرجوك... دعينا نتحدث!؟

- لماذا؟!.. ألم تقولي أنه لا فائدة من الحوار معي!؟

- ياسمين... أتوسل إليك... لا تفعلي.

قالتها بلهجه أقرب إلى البكاء فتوقفت ياسمين وهزت رأسها في أسي:

- أنا لا أصدق ما يحدث... ماذا أصابك زهرة؟!... أفيقي.

بدأت زهرة في البكاء فعلاً:

- ياسمين أنا أحبه.

- تحبين من!؟ هذا الذي يقضي معظم وقته في الايقاع بالفتيات.

- لا هو قال لي.. أنه تغير بسببي.. خاصة أنني صددته كثيراً حتى أحبني.

- وصدقته... أكد أجزم أنها نفس الكلمات التي يقولها للجميع.

- لا ياسمين.. هو يراني مختلفة.. وعديني بالتغير... أم إنك لا تؤمنين بأن السيئون قد

يتغيرون إلى الافضل يوماً.. وهل يجب أن نتركهم أم نساندهم!؟

- بالله عليك... لا تتحدثي وكأنك تقومين بعمل خيري... فهذا ليس اختصاصك....

ولكن.. حسناً سنفترض أن كلامك صحيح... امنحيني يومان... وسأثبت لك أنه كما كان ولم

يتغير أبداً.

- ماذا ستفعلين!؟

## العودة

- قلت امنحني يومان... واذا أثبت أنه حقاً تغير.... سأكون مدينه لك وله بالاعتذار.

والان هيا فلنصرف من هذا المكان.. ألا تخشين أن يراك زياد؟!

- هو لا يأتي إلى هنا؟!

- نعم... لأنه انسان محترم... لا يلتقي بفتيات هنا... ليحدثهم بكاذيب وأوهام.

- كفاك ياسمين.

تحركتا معاً عائدتان لزحام النادي وبعد لحظات صمت قالت زهرة لتدير دفة الحوار:

- لم تخبريني ماذا فعلت مع مدير النادي بخصوص مشروعك؟!

كانت محاوله جيده من زهرة حيث ابتسمت ياسمين قائلة:

- في الحقيقة..لم يوافق في البداية... لكن تدخل شخص في الأمر ونال الموافقة.

- من هو؟!

نظرت لها ياسمين قائلة:

- خميني. **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

ضاقت عيني زهرة قائلة:

- هل أعرفه؟!

- بالتأكيد... وألا ما طلبت منك التخمين.

فكرت قليلاً ثم قالت:

# العودة

- لعله أخي زياد.

هزت ياسمين رأسها نفيماً فأردفت زهرة:

- امممم.. شادي.

- لا.

قالت زهرة في عصبية:

- قولي أنتِ إذاً لن أخمن.

- حسناً.. حسناً... إنه...مازن.

توقفت زهرة مكانها قائلة:

- مازن... مازن من؟!!

مطت ياسمين شفيتها ثم قالت:

- مازن من؟!.. ابن عمك يا ذكيرة.

حدقت زهرة بها في ذهول مردده:

- مازن..مازن؟!..مازن؟!!

- ماذا أصابك؟!..لم كل هذا الدهشة؟!!

- كيف؟!.. أقصد لم اقتنع المدير بكلام مازن؟!!

- ياسر وزياد كانا معه.. وياسر هو الذي قص علي ما حدث... قال إن مازن تحدث معه

بثقة غريبه... حتى إنه في النهاية بدا وكأنه يهدده.

# العودة

شهقت زهرة في فرع:

- يهدده.... هل هدده حقاً؟...أمام ياسر وزياد.

- ما المفزع في ذلك؟!

- ما المفزع في ذلك؟!.. ماذا تقصدين...بماذا هدده... أكان سيقتله؟!

تطلعت ياسمين لها في ذهول قائلة:

- يقتله... ما هذا الذي تقولين؟!

- أنتِ التي قلتي أنه هدده.

- وهل قلت أنه هدده بالقتل..كل ما حدث أنه أخبره أنه ربما سيضطر للوصول إلى رئيس النادي مباشرة... وهذا ليس في مصلحة المدير... هذا كل شيء.

هدأت زهرة قليلاً ثم شعرت بسخافة ما قالت خاصة أن ياسمين ظلت تحديق بها في ذهول فقالت:

- ماذا بك؟.. لم تنظرين إلي هكذا؟!... أنتِ التي جعلتي رأسي يقفز إلى هذا الاستنتاج المخيف.... لهذا كنت فزعه.

- أنا من جعلك تقفزين لهذا الاستنتاج... أنتِ من قفرت له وحدك.... وكأنك...توقعتي ذلك من مازن.

- أنا..لا...بالطبع لا.... المهم.... ستقومين بالمشروع إذاً.

- نعم..الحمد لله..أرجو أن تشكري مازن كثيراً...فأنا ممتنه له حقاً.

- نعم..سأفعل..بالتأكيد...أرأيت..كم نحن مفيدون.

# العودة

- نحن... لو سمحتِ لا داعي لصيغة الجمع.

- ماذا تقصدين بهذا؟!... تريدان أن تقولي أنني لست مفيدة... مممم... حسناً.. حسناً...  
كما تشائين

استيقظ مازن في اليوم التالي وهو قمة في النشاط والسعادة، فالأمس كان يوم رائع فقد تقرب أكثر من زياد ورفاقه بل ماهر ورفاقه أيضاً، ترك فراشه مقترباً من النافذه وفرد ذراعيه مستنشقاً هواء الصباح المنعش وبينما عيناه مغلقتان قفز إلى ذهنه صورة باسمه لفتاه جميلة لكنها صورة جعلت مازن يتجهم ويفتح عينيه مصدراً آه قوية محدثاً نفسه:

-..... سلمى..يا الهي كم أفقدك...تري أمازلتِ تكنين لي مشاعر طيبة أم تحول حبك لي إلى كره كبير؟؟..لن ألومك سلمى فلقد تنازلت عنك بسهولة رغم كل ما فعلتته من أجلي. دائماً كنت أجراً وأشجع مني.... لكن سامحي...كان لا بد لي أن أترك الماضي بكل مساوئه ومحاسنه..وأنتِ كنتِ حسنته الوحيدده..كم أفقدك كلامك الرقيق معي.... فأنتِ أول من أعبّر لها عن حبي وعلى ما يبدو ستكوني الأخيرة..لا أتصور أن قلبي سيحب سواك يا سلمى.

هز رأسه ليطرد أفكاره ثم أسرع لارتداء ملابسه وهبط ليلتقي بفريد الذي أخبره أن زياد لم يهبط بعد فعاد صاعداً لغرفة زياد ليطرق بابها فلم يسمع أي رد ففتح بابها ليري زياد واقفاً أمام النافذة شارداً تماماً.

فنظر له قليلاً ثم اقترب قائلاً:

- زياد...فيا هذا الشرود؟!!

# العودة

انتفض زياد ملتفتاً له فقال مازن:

- أسف... لم أقصد أن أفزعك.... لكنني طرقت الباب وأنت لم تجب.

تطلع له زياد قليلاً ثم قال:

- أتعلم بماذا كنت أفكر قبل أن تدخل؟!!

لم يجب مازن فاستطرد زياد قائلاً:

- كنت أفكر بموقف مر بي مرور الكرام ... رغم أنه كان يجب أن يستوقفني طويلاً.

عقد مازن حاجبيه حيث لم يستوعب ما يسمع فاقترب منه زياد قائلاً:

- حين كنا مع مدير النادي... كنت تتحدث بثقه... تتحدث بكلام ليس إلا كذب ..أنا نفسي

كدت أن أصدقك لولا أنني أعرفك... فمن أين لك بهذه القدرة على خداع الآخرين؟....

وهل كلامك معي من قبل كان صدق أم مجرد حوار اختلقته.

أطرق مازن برأسه وقد شعر بكلام زياد وكأنها أسواط تضرب جسده، وشعر بالالم ولكنه

احتمل خاصة إنه تذكر أن هناك أسياط من نوع آخر كانت تضرب جسده ولا تتركه إلا

بعد أن يُدمى، مما هون عليه كل كلام زياد فرفع رأسه قائلاً:

- أنا.. كنت أريد أن أساعد.  
رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلْمًا

تأمله زياد قائلاً:

- أنا لا أتحدث عن الهدف..بل عن هذه القدرة الغريبة التي تملكها.... القدرة على الخداع

.... الكذب.

قال مازن في ألم:

## العودة

- كفى... اسمعني زياد.. يبدو أنني سأعيش تعيشاً طوال عمري.. حسناً سأأقلم على الوضع...  
سأترككم زياد... وأرىحكم... على ما يبدو هي لم تكن فكره جيده أن أعود لكم من الاساس.

التفت مازن ليغادر الحجرة فأمسك به زياد قائلاً:

- ليس من المفروض أن تهرب كلما وجهت إليك سؤال .

نظرا لبعضهما وقال مازن:

- أتمنى أن أجيب على كل تساؤلات... لو أن إجاباتي تفيد الوضع الذي نحن فيه، لكنها لن  
تفعل... وأنت قلت لي أنك لن تسأل عن شيء يتعلق بالماضي... فما الذي حدث؟.

- قلت لك.. أنتي أريد أن أحمي أهلي وأنت منهم ، كما أنني لن أسمح بانهيارات جديده...  
يكفي.

- صدقتي زياد... لن أسمح أن يتعرض أياً منكم للخطر... لن أسمح بذلك... حتى لو كان  
التمن حياتي... وهذا ليس خداع يا زياد.. بل هو الحقيقة... أتصدقني!؟

ابتسم زياد قائلاً:

- وهل لي اختيار... سأصدقك..لاني أريد أن أصدقك.. أريد أن تعود السعادة لهذا البيت  
مرة أخرى.... وسأحاول ألا أكون فضولي وأسأل فيما لا يعنيني.... وإن كنت أتمنى أن  
أشاركك كل شيء.

ربت مازن على كتف زياد وغادرا معاً للعمل.



# العودة

كان يوماً شاق بالفعل ، فما أن انتهى حتى ألقى مازن بجسده على الكرسي المقابل لمكتب  
زياد الذي ابتسم قائلاً:

- يوماً شاق صحيح؟!!

هز مازن رأسه قائلاً:

- نعم... ولكنني سعيد.

- حقاً.

- نعم... حقاً... هنا أشعر أن لي دور إيجابي في هذا العالم...بعد أن كنت فقدت الأمل في  
أي دور به.

أوماً زياد برأسه قائلاً:

- معك حق..أي تعب يهون ..عندما نتأكد أن النتيجة ستكون إيجابيه لأنفسنا ولمن حولنا.

- صدقت..هيا بنا...أنا أحلم بالعودة والخلود للنوم.

ضحك زياد قائلاً:

- ستنام من الان ... يا الهي .  
رب كلمة اشعلت حُلماً

غادر الجميع المكتب معاً، وما أن وصل مازن وزياد المنزل حتى قال الاول:

- لن استطع البقاء مستيقظاً لدقيقة أخرى...،،، أراك صباحاً

ضحك زياد قائلاً:

# المودة

- ما هذا انتظر... ماذا عن العشاء!؟

- أضروري هذا..

- نعم هو كذلك... هيا بدل ثيابك واغسل وجهك وعد إلى هنا.

- حسناً سيدي كما تأمر.

ابتسم له زياد واتجهوا كلاهما إلى حجراتهما. عادة معاً لغرفة الطعام ، حيث وجد الام وزهرة بينما لم يظهر ماهر فقال زياد:

- أين ماهر!؟

أجابت زهرة:

- سيأتي... هو دائماً يأتي بعد أن نبدأ.

جلس مازن بجانب زياد وبدء في تناول العشاء لكنهما توقفا على صياح ماهر الذي اقتحم الغرفة صائحاً في سعادته وهو يلوح بهاتفه الخليوي:

- يا أهل البيت اسمعوا واعوا.

هزت الأم رأسها مبتسمة:

- ماهر.. كف عن هذا!؟

قال مسرعاً نحوها وواضعاً الهاتف على الطاولة:

- لا يا أمي... لا أستطيع أن أملك نفسي. لقد نجنا!!!حت.

# المودة

صاحوا جميعاً مهنيين وقالت زهرة:

- ولكن مهلاً كيف عرفت... نتيجة الثانوية ستظهر بعد يومين.
- هذا صحيح زهرتي... لقد عرف والد صديقي بالنتيجة وقد أتصل بي منذ لحظات .. وبشرني أن مجموعي سيكون عالياً جداً.

إبتسم زياد:

- هذا شيء متوقع... لم نخذلنا يوماً.
- أشكرك زياد.... أخيراً... سأحقق حلمي وألتحق بالكلية التي أريد... وسأجوب العالم كله. نظر له مازن ثم قال:

- تجوب العالم.... أي كلية هذه تجوب بها العالم.
- إنها حلمي يا أخي .... حلمي منذ زمن... أن أكون سفيراً لهذه البلد... وأسافر إلى كل دول العالم.

أطلق مازن صفيراً:

- سفيراً... هكذا مباشرة.
- بالتأكيد لا يا أخي.. الطريق طويل.. ولكنني على أتم الاستعداد لخوضه.

تنحى زياد قائلاً:

- لا تتصور أن الأمر بهذه السهولة ... حتى بدراستك للسياسة والدبلوماسية فعليك أن تخوض اختباراً قوياً قبل الالتحاق بالوزارة.

# العودة

أضافت زهرة:

- هذا صحيح... وهناك الكثير من الشروط التي يجب أن تكون في الحسبان.

عدل ماهر هندامه قائلاً:

- أعلم ذلك جيداً، ولا أعتقد أنني غير مستوفي للشروط التي أذكر منها... أن أكون مصري الجنسية ولأبوين مصريين، وهذا ما أعلمه جيداً أم لديكم رأي آخر.... وأن أكون حسن السمعة.... وأعتقد أنك تعلمون هذا.... بالإضافة إلى أنني لم يتم القبض علي في أي إتهام سواء باطل أو حق.... وإذا تتبعوا أقاربي من الدرجة الأولى... لوجدوهم مثلي....

ثم مال للأمام قليلاً مازحاً:

- أم إنك قمت بجريمة ما دون علم مني؟!!

تجههم وجه زهرة والتفتت إلى مازن بتلقائية فحضر رأسه فنظر له ماهر ليرى الكثير من الحزن رسم على وجه أخيه وكذلك زياد وأمه فعقد حاجبيه قائلاً:

- ماذا أصابكم؟!!

أسرع زياد يقول ضاحكاً:

- ماذا أصابنا؟.... لم لا يريد أحد أن يبقى في المنزل... هل كتب علينا أن نفرق دائماً؟.... سافر مازن وتركنا... والان تريد أنت أيضاً أن تسافر.

تطلع له ماهر قليلاً ثم قال:

- أهذا سبب كل هذا التجهم؟!!

## العودة

- بالتأكد... أنت لم تراعي مشاعر أخيك الكبير... وجئت لتخبره أنك تريد أن تجوب العالم.... لتتركه.

كان يتحدث بابتسامه مصطنعه فضاقت عيننا ماهر في عدم اقتناع ثم قال:

- تتحدث وكأني سأسافر غداً.... مازال الوقت باكراً.... أين أنا والسفر؟!!

دس زياد يده في جيبه قائلاً:

- لا يهم.... خذ أنت تستحق.

دس في يده بعض المال قائلاً:

- قم بدعوة رفاقك على العشاء بمناسبة نجاحك.... واستمتع بوقتك جيداً هيا اذهب.

ابتسم ماهر قائلاً:

- هذا هو الكلام الذي يعجبني.

أسرع يغادر فقالت الأم:

- لا تتأخر.

- سأحاول. **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

قالها وهو يعدو خارج غرفة الطعام، ساد الصمت للحظات لتقطعه زهرة بقولها:

- مسكين ..لا يعلم الواقع المرير.

رفع زياد بصره لها في غضب فأردفت:

## العودة

- ماذا؟!... لا تحاول أن تخبرني أنك لن تخبره بالحقيقة.... أم إنك ستتركه يلتحق بهذه الكلية وعندما يتقدم للامتحان ويتحروا عنه يخبروه بكل بساطه انه لا يصلح لأن أخيه الأكبر الشقيق.... قضى عام كامل في رعاية الاحداث بتهمة السرقة والقتل.

- زهرة...

قالها زياد في ضيق فقالت:

- إلى متى سنبقى نهرب من الحقيقة؟..... وإلى متى سنخفيها عنه.... أنا قلت سابقاً كلنا سندفع الثمن.... وها الدور جاء على أقرب الناس إليه... أخاه الصغير.

قالت أمها:

- كفاكِ.

وقف مازن وأسرع مغادراً للغرفة فأسرع خلفه زياد لكنه اصطدم به لأنه توقف فجأة محمداً أمامه فرأى ماهر يتطلع لهما ففزع زياد لكنه تماسك قائلاً:

- ماهر...لماذا عدت؟

ظل ماهر يحدق في مازن ثم قال بصوت مبحوح وقد احمر وجهه تماماً:

- ن..نسيت هاتفي... النقال.

- حقاً... حسناً سأحضره لك.

لكنه قبل أن يلتفت استدار ماهر ليغادر سريعاً فحاول أن يلحق به زياد فصرخ به:

- دعني وشأني.

## العودة

توقف زياد متطلعاً لباب المنزل الذي غادره ماهر في سرعة شديدة ثم التفت ليرى زهرة على باب غرفة الطعام فصاح بها:

- رأيتي ماذا فعلتي؟! ... رأيتي؟!

- كان سيعلم في كل الأحوال؟!

- ليس بهذه الطريقة.

صرخ بها زياد مضيفاً:

- كان سيعلم بشكل آخر.

تركها ناظراً لمازن الذي لم يتحرك من مكانه قيد أنمله فاقترب منه وربت على كتفه:

- لا تقلق .. سيكون كل شيء على ما يرام.

لم يجب مازن لكنه غادر الردهة صاعداً لغرفته والحزن يملأ وجهه فقال زياد من خلفه:

- سيهدأ صدقتي... كنا متوقعين شيئاً كهذا.

لم يهتم مازن بكلام زياد كثيراً فلقد كان يؤنب نفسه كالعادة....

-... صدقتي زهرة... ها قد حان الدور على أخي ليدفع ثمن ما فعلت.... إلى متى.. إلى متى

سيبقى هذا الماضي الأليم يطاردني.... وما بالي عندما يعرفون ما خفي عنهم جميعاً من هذا

الماضي.... تبا لك مازن.. تبا لك.... ماذا أفعل.. إلى من أذهب؟!!!

دخل غرفته ، أغلق بابها وجلس على الأرض مستنداً على الباب ومغلقاً عينيه... غارقاً في

المزيد من الأفكار والذكريات الأليمة.

# العودة

عاد زياد لغرفة الطعام حيث زهرة وأمه فقال في غضب:

- لولا أنه حرام أن أفعله لأوسعتك ضرباً.

عقدت حاجبياً:

- لأنني قلت الحقيقة.... ولم لا؟ الحقيقة دائماً مؤلمة!!... ثم أنا لم أكن أعلم أنه يستمع لي.

زفر في ضيق وقال محدثاً أمه:

- اسكتيها أمي قبل أن انفجر فيها.

تأملته أمه قليلاً ثم قالت:

- لم كل هذا يا زياد... ماهر كان سيعلم!؟

- أترضيك هذه الطريق التي علم بها يا أمي!؟

- ليس تماماً!!... لكن مهما كانت الطريقة... فلا أعتقد أن النتيجة ستتغير.

جلس زياد ناظراً إليهما ثم قال:

- ماذا تريدان أن يفعل... لتتوقفا عن لومه... هل سنقتله لأنه أذنب في ما مضى.... أم

سنبقى نعاقبه طوال عمره... أم تريدان أن يغادر هذا المنزل كما غادره سابقاً؟ ماذا تريدان

بالضبط!؟

تملقت زهرة قائلاً:

- أنا عن نفسي لا أريده في المنزل.



# العودة

حدق زياد بها قليلاً ثم التفت لأمه قائلاً:

- وماذا عنك يا أمي؟!

أشاحت بوجهها عنه دون أي إضافة. فوقف متطلعاً إليهما ثم قال:

- اعلموا أن مازن إذا غادر هذا المنزل... سأغادره أنا أيضاً.

ثم التفت مغادراً الحجرة فقالت زهرة بضيق:

- ماذا أصاب زياد يا أمي؟... ولم أصبح مازن يعني له كل شيء؟... وكأنه تربى معه هو

ليس معنا!... هل زياد مدين لمازن بشيء يا أمي؟... هل هناك شيء لا أعرفه بينهما؟!

هزت الام رأسها قائلة:

- ليتني أعلم... ولكن كفي عن مضايقة مازن؟!

- ولكن أمي...

- قلت كفي عن ذلك... ولا أريد أن أعيد كلامي.

زفرت زهرة في ضيق وغادرت المكان هي أيضاً، فدخل فريد ليحمل أطباق العشاء الممتلئة

أكثر منها فارغة ثم قال:

- هل ستبقى سيدتي هنا؟!

- لا سأذهب لحجرتي، غادرت هي أيضاً الحجرة وقف فريد يتطلع لها وقال محدثاً نفسه:

- .... كل من هم في هذا البيت يحوي داخله الكثير من الاسرار... ولكن الذي يعاقب

حتى الآن هو شخص واحد.

"..... هيا يا مازن دعنا نفعلها.

..مستحيل... سيقتلني عمي إن فعلتها.

..ومن سيخبر عمك... هيا لا تكن جباناً... أنت قررت منذ أن انضمت إلينا أن تخوض

المغامرة معنا بكل أشكالها.

.... هذه ليست مغامرة... هذه سرقة.

...سرقة... من أين تأتي بهذه الكلمات؟؟.... إنها سيارة لا يملكها أحد... وأنت وحدك الذي

يجيد القيادة بيننا.. هيا.

.... لأنها لم تتحرك من مكانها لا يعني أنها ليست ملك أحد.

.... اسمع عليك أن تختار.... إما أن تكون معنا دائماً أو لا تكون معنا أبداً.

.... ليتني لم أتعلم القيادة.

..هيا..هيا.

وبالفعل قاد السيارة

... أنت ماهر في القيادة كما توقعنا يا مازن... هيا أسرع قليلاً.

.... لا..لا... تضغط على الدواسة هكذا...ستقتلنا.

... بل مزيد من الاثارة يا صديقي..... تباً هل هذه سيارة شرطه؟.

.. يا إلهي..يا إلهي.

# العودة

..لا تتوقف يا مازن لا تتوقف.

..لقد رأنا.

..لا لم يرانا.

..لا لقد نظر إلى عيني مباشرة.

..اسرع إذا يا مازن ..اسرع أكثر... خذ هذا المنعطف بسرعة.

... لا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! احترس.... يا إلهي... سندهس الرجل.

... لا تتوقف...

...تباً لقد قتلناه...لقد قتلناه.

....لا تتوقف.

.... لا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!.

لم يحتمل أن يترك الجسد الذي ارتطم به فانحرف بالسيارة فجأه فارتطم بالحائط المجاور لترطم رأس مازن بعجلة القيادة... فيشعر بدمائه الساخنه على جبهته، لكن من كانوا معه أسرعوا بالهرب...

رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلْمًا

... انتظروني.... أخرجوني من هنا....

شعر بيد قويه تجذبه من داخل السيارة وتلقيه في الخارج بعنف جعله يصرخ بألم.

... أنت أيها المجرم التعس... كيف تجرؤ؟...يبدو أنك قررت أن تنشأ خلف القضبان ...

ولسوء حظك...سقطت في يدي أنا..أيها المجرم الصغير.



## العودة

- مازن أعلم أنك مازلت مستيقظ ... حاول أن تهدأ ... سيكون كل شيء على ما يرام... لن أجبرك على الحديث مادمت لا تريد ..... سأراك في الغد إن شاء الله.

لم يتحرك مازن من مكانه بل بقي على هذا الحال إلى أن قارب الفجر ثم سمع صوت دراجة بخارية تقف عند الباب فأسرع هابطاً للأسفل واتجه للباب وأغلقه خلفه وانتظر في ركن مظلم حتى اقترب ماهر وقبل أن يحاول دخول المنزل حدثه مازن:  
- ماهر انتظر؟!!

انتفض ماهر فزعا وهو يتطلع له ثم قال:

- تباً لك لقد أفرغتني ... أم أن القاء الرعب في قلوب الآخرين هواية لك.

- أسف لم أقصد... لم أكن أريد أن يراني رفيقك.

التفت ماهر لفتح الباب فأمسك مازن بذراعه:

- انتظر أريد أن أحدثك.

دفع ماهر يده بقوة قائلاً في غضب:

- ماذا تريد مني؟... ألا يكفيك ما فعلت... تباً لك ليتك لم تعد... ليتك بقيت في عيني

ميتاً... ولكن للأسف حتى هذا لن يغير من الحقيقة شيء... فأخي الكبير مجرم... والكل يعلم هذا ماعداي.

- ماهر .. أرجوك... صدقتي لقد دفعت الثمن غالياً.

## العودة

- وماذا عني أنا... أنتصور أنني لم أدفع الثمن.... لقد حطمت أحلامي كلها... أحلامي التي عشت على أمل تحقيقها... ألا يعد هذا ثمناً غالياً؟.

- ماهر...أنا..

قاطعته ماهر صائحاً:

- أنا لا أريد أن أسمع منك شيئاً.... واعلم أنني سأسعى لتحقيق حلمي ولو بشكل غير مباشر..... لن يقف في طريقي ماضيك القدر هذا.. أتفهم!!?

تألم مازن لكلمات أخيه القاسيه فقال:

- ماهر أنا مازلت أخاك...

- أنا ليس لي إخوة سوى زياد... الأخ الذي يشرفني دائماً أن أكون إلى جانبه... وكما ظهرت فجأة يمكن أن تختفي فجأة.

ثم رمقه بنظرة غضب ودلف للمنزل تاركاً مازن مكانه ومازالت الدموع تنهمر على وجنتيه. صعد ماهر لحجرته وما أن دلف لها حتى ألقى بنفسه على فراشه وضحج بالبكاء فإذا بصوت

داخله: **رب كلمة اشعلت حلماً**

-... لقد كنت قاسياً عليه.

- وماذا عنه... ألم يحطمني؟؟... أنا أكرهه ..... أكرهه.

## العودة

جلس زياد في الردهة ولم يكن له أي رغبه في تناول الافطار ويبدو أن هذا كان رأي الجميع فلم تخرج الأم من الحجرة كعادتها كذلك زهرة وماهر فضل زياد في مكانه مردداً:  
- هيا مازن.. متى تنزل؟...لدينا عمل.

وقف ليصعد الدرج ليطرق باب حجرة مازن لكنه لم يتلق إجابة فطرق ثانية قائلاً:  
- هيا يا مازن.. لن يتوقف العمل... لدينا عمل نقوم به...هيا يا بطل.. أم نسيت.  
مازال الصمت هو الاجابة الوحيده التي يتلقها، ففتح باب الحجرة:  
- هيا يا ما...

قطع كلماته عندما اصطدم بفراغ الحجرة التي كانت ساكنه تماماً وظل يحدق في الفراش الذي يبدو أنه لم يتم عليه أحد أمس، أغلق الحجرة وأسرع منادياً من أعلى على فريد:  
- عم فريد...عم فريد.

أسرع فريد ليجيبه فوقف في الردهة متطلعاً لأعلى حيث يقف زياد مستنداً على حاجز السلم الذي قال:  
- عم فريد... أين مازن... ألم تره؟!

- نعم سيدي... لم أره.

صمت زياد مفكراً ثم قال:

- متى عاد ماهر بالأمس.

## العودة

- في الحقيقة سيدي أنا لم أكن مستيقظ لكن هناك من دلف للمنزل قبيل الفجر وأعتقد أنه ماهر.

- شكراً لك.

عاد زياد ليترك حجرة ماهر فلم يجيبه فدلف إليها مسرعاً ليرى ماهر غارقاً في النوم بملابسه التي خرج بها أمس فهزه قائلاً:

- ماهر... ماهر... استيقظ... قم يا ماهر.

التفت ماهر بصعوبة وهو يهمهم:

- ماذا هناك.. دعني أنام.

هزه زياد بقوة أكبر قائلاً:

- نم بعد أن تجبني.

فتح ماهر إحدى عينيه قائلاً:

- ماذا تريد؟!

- هل التقيت بمزن عند عودتك بالأمس؟!

أغلق ماهر عينه قائلاً:

- نعم.

- ثم ماذا... لا تقل نعم فحسب؟! .. انهض و كلمني كما أكلمك.

قالها زياد وهو يجذب ماهر من ذراعيه ليجبره على النهوض فصاح ماهر:



# المودة

- دعني.. ماذا أصابك؟! -

- كيف كان حديثك مع مازن؟! -

- ماذا تتوقع أن يكون.... أنا لم أعد أطيق النظر لوجهه.

- هل قلت له ذلك؟!... أجبني.

- نعم.

أمسك زياد بياقة قميصه ليجذبه نحوه بقوه قائلاً:

- كيف تجرؤ؟!... كيف تجرؤ... إنه أخاك الأكبر.

حاول ماهر أن يدفع يدا زياد عنه قائلاً:

- انا لا إخوة لي.. ليس لي عائلة سواكم.. أنا لا أريده... لا أريده.... دعني أنت تألمني.

- أوملك؟... هل تسمى هذا ألم؟...وماذا عن ألم مازن؟... ألا يعني لكم شيئاً؟... اسمع أيها

الفتى... مازن ليس في المنزل... سأخرج للبحث عنه ولن أعود بدونه.... وأنت أيضاً

ستخرج للبحث عنه... وعندما تعثر عليه أخبرني... لأني لن أعد... لن أعد... إلا عندما

يعود هو.

ثم دفعه ليلقه على فراشه بينما يحدق فيه ماهر في دهشة عارمة.

هبط زياد مسرعاً للخارج فتوقف عندما سمع نداء أمه:

- زياد إلى أين أنت ذاهب؟! -

- سأبحث عن مازن... وإذا لم أعد اعلمي أي لم أعر عليه... لأني لن أعود إلا معه.

## العودة

ثم تركها مهرولاً للخارج فأخذت تناديه لكنه لم يجب فهزت رأسها قائلة في أسي:  
- فرقتنا منذ زمن وعدت لتفرقنا يا مازن... لم أنت لست بارع إلا في هذا؟!!!

قاد زياد سيارته لا يعرف أين يذهب بها:

-... إلى أين أذهب؟!... أنا حتى لا أستطيع أن أضمن أين يمكن أن يكون.. تماماً عندما  
فارقنا للمرة الأولى... لم نعرف أين نذهب ولا من نسأل؟!..

".... أبي..أليس من المفترض أن يخرج مازن من رعاية الأحداث اليوم؟!..

.... نعم يا بني.. ولكني علمت من المحامي أن الادارة سيتصلون بنا..لنستلم مازن.

... نعم أي.. لكن هذا كان بالأمس ولم يتصل أحد.... لم لا تتصل بالمحامي لتسأله؟.

..حسناً زياد سأفعل.

.... نعم..معك السيد نور... ألم تعرف جديد عن ميعاد خروج مازن؟.... ماذا تقول؟!!!...

خرج بالامس.. مستحيل..لم يتصل بنا أحد... ما هو الغريب؟... لا...لا...سأذهب بنفسني.

...ماذا حدث يا أبي؟!..

....يقول أن مازن المفترض أنه خرج بالأمس فعلاً... وتصور أننا ذهبنا وأخذناه.

...ماذا ستفعل الآن؟.

...سأذهب إليه... لأعرف ماذا يجري.

# العودة

...خذني معك يا أبي.

... لا أحبك أن ترى هذا المكان.

... أي أنا أريد أن أساعد مازن عندما يعود وربما سيكون من الجيد أن أعرف كيف عانا  
لأعرف كيف أساعده.

... ولدي الحبيب زياد... سيكون مازن بخير... مادمت أنت معه... لا تترك مازن أبداً يا  
زياد..مهما حدث...حتى لو شعرت أنه تغير.

... لا تقلق يا أبي... أعدك بذلك.

...حسناً هيا بنا.

... سيد نور أهلاً بك... كيف حالك؟

...أشكرك أنا بخير.

... أرجو أن تكن سعدت بعودة ابن أخيك.

... ماذا؟!...تتحدث عن مازن.

..بالتأكيد... لقد أوصلته بنفسه إلى البيت بالامس بعد أن أصر أن يذهب إليكم بنفسه بدلاً  
من أن تأتوا لتأخذه من هنا.

..مستحيل... مازن لم يأتي إلى المنزل.

...كيف هذا سيد نور؟... لقد كنت سأتصل بكم فعلاً لكنه رفض وأصر على الذهاب  
وحده لكنني رفضت أن يذهب وحده فقامت بإيصاله بسيارتي وتركته أمام البيت فودعني  
وانطلقت بسيارتي فوجدته يتجه للبيت فعلاً.... ألم يأتيك...ألم يطرق الباب عليكم?!..

# العودة

... لا لم يأتي... يا إلهي... يا إلهي... لم فعل ذلك؟؟.

...ربما ظن أنكم سترفضوه.

...مستحيل... هو يعلم كم كنا في انتظار عودته... يا إلهي... لقد ضاع مني للابد هذه المره... ضاع للأبد.

...أبي...أبي.

...سيد...نور...ماذا أصابك؟؟...سيد نور."

أوقف زياد سيارته متطلعاً أمامه إلى المكان الذي يأوي أبيه وعمه وخالته:

- ما الذي تريده من مجيئك إلى هنا يا زياد؟!... هل تريد أن تطلع أباك على فشلك؟

غادر سيارته متجهاً لقبر أبيه وقف أمامه قليلاً ثم جثا على ركبتيه وقد طأطأ قائلاً :

- أبي... سامحني... سامحني.. لقد فشلت.. أانا مازن وأضعناه ثانية... أضعناه يا أبي... ولا أعلم خطأ من هذا؟! أخطائي أم خطأهم أم خطأ مازن؟!... لعله خطئي أنا... ما كان يجب أن أضعه بينهم بهذه السرعة... كان يجب أن أفكر قليلاً... ليت لدي بعض من حكمتك يا أبي... ليتك معي يا أبي.. ليتك معي... لقد فشلت في أن أفي بوعدتي...فشلت.

ظل زياد يحدث أبيه ويبيكي كان يريد أن يخرج هذا الفيض من الحزن والكمد الذي شعر به، كان يريد أن يقاوم الشعور بالفشل الذي يملأ صدره، يجدد الأمل من جديد في إمكانه

## العودة

البحث والعثور على مازن مثلما كان يفعل فيما مضى... فهو لم ينسى أبداً أنه يوم الحادث رفض الخروج مع مازن ليلتقي برفاقه ، رفض لأنه لم يكن يطيق رفاق مازن ويراهم أشقياء ، وندم حينها كثيراً فلو كان خرج معه لمنع هذه الكارثة ولكنه القدر الذي لا يمنعه حذر.

مر الوقت ووقف زياد ليغادر:

- سأحاول ثانية يا أبي.... لن أياس...لن أياس إن شاء الله.

اتجه لسيارته وهو يمسخ عن وجهه دموعه.

- " زياد".

أتاه النداء باسمه من صوت يعلمه جيداً لكنه لم يصدق نفسه فالتفت بجسده بل بكل جوارحه ليتطلع لوجه محدثه وما أن تأكد أنه ليس حلم حتى صاح:

- مازن.

أسرع نحوه ليضمه إليه بقوة:

- مازن ..هذا أنت... حمداً لله...حمداً لله.

ثم تطلع لوجه فقال مازن:

- لم أعرف إلى أين أذهب؟...فأردت أن اتى إليهم..فلم يعد لي سواهم.... كنت بجوار قبر أمي عندما سمعتك تتحدث لعمي ..أنا أسف أني سببت لك كل هذا الحزن.

- لا يهيم... لا يهيم... أنا ما كنت سأستطيع العثور عليك أبداً .... حمداً لله... حمداً لله أنك بخير.... هيا يا مازن.

# العودة

- لا يا زياد.... لا يمكن أن أعود.

- لا تغلق... لن نعود للمنزل.... سنذهب لمكان آخر.

- أين؟! -

- ستعرف... هيا... هيا يا من أرهقني كثيراً.

ابتسم له مازن وصعد للسيارة لينطلق بها زياد، وتوقف أمام مبني سكني كبير قائلاً:

- هيا بنا.

تبعه مازن وهو لا يعلم إلى أين هما ذاهبان دلف معه إلى المبني ثم تبعه حتى فتح باب شقة مفسحاً الطريق لمازن قائلاً:

- تفضل.

كانت شقة فاخرة جداً ظل مازن يحدق في كل ركن بها ثم قال:

- يا إلهي... ما هذه الشقة الفاخرة؟!  
رُبَّ كَلِمَةٍ اشْعَلَتْ حُلُمًا

قال زياد وهو يجلس على الاريكه الوثيرة:

- نعم هي فعلاً فاخرة.

التفت له مازن قائلاً:

- لمن هذه الشقة؟

# العودة

- لي.

- حقاً... ألك شقة خاصة؟!

- لم أفكر في هذا.. كان من المفترض أن تكون منزل الزوجية.

- المفترض؟!!

- نعم.

قالها زياد ببعض الحزن ثم أردف قائلاً:

- فلقد ارتبطت بفتاه ووقت بخطبتها... ولكن لم يشاء الله لنا الاستمرار.

- ولم؟!!

أشاح زياد بوجهه دون إجابته ، وإن لم يخف على مازن كم الحزن الذي ارتسم داخل عينيه

فاستطرد مازن وهو يتطلع للشقة:

- ولكنها شبة مكتمله.

- لقد انفصلنا قبل الزفاف بأسبوع. **رُبَّ عِلْمَةٍ اشعلت حُلماً**

- اسبوع واحد... معقول.

وقف زياد قائلاً:

- هل يمكن ألا نتحدث في هذا الأمر؟!

صمت مازن قليلاً ثم قال:

# العودة

- بالتأكد.

فاقترب منه زياد قائلاً:

- هل ستذهب إلى العمل معي؟!.. أم ستبقى هنا؟!

فكر مازن ثم قال:

- أفضل أن أبقى هنا... وسأذهب غداً إن شاء الله.

- حسناً كما تريد... سأذهب الآن... ستجد في المطبخ كل ما تريد..لكن طبعاً كله طعام معلب..وكذلك إذا أردت أن تشرب شيئاً.. وإذا لم يعجبك الطعام ستجد بجانب الهاتف مطويات بأشهر مطاعم الوجبات السريعة... فلتطلب ما تشاء وستجد بعض النقود في غرفة النوم الرئيسية... ولكن لا تأكل كثيراً سأحضر معي طعام عشاء سيعجبك.... وسنقضي الليل معاً..لنذهب غداً للعمل سوياً.

- هل ستنام هنا؟!

- نعم.

- ولكن...

قاطعه زياد: **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

- لا تقل شيئاً أنا أعلم ماذا أفعل؟!... يبدو أن هناك درس يجب أن يتلاقه الجميع مني... أرجوا فقط أن تكون النتيجة كما أريد ... وليس العكس... هيا ارتح الآن... المكان كله لك...أفعل ما يجلو لك... ويمكنك استخدام أي غرفة نوم تحب.... أراك مساءً إن شاء الله.

- إن شاء الله.



خرج زياد فألقى مازن بنفسه على الأريكة مبتسماً:  
- أشكرك كثيراً يا أعز من لدي الآن..... فلنتفقد المكان.

طاف في الشقة يتأملها واندھش من أثاثها الفاخر الذي لا يوجد حتى في المنزل الكبير حيث بقية الأسرة حتى إنه تساءل عن درجة ثراء عائلته والتي لا يعلم عنه شيء حتى الآن. بدت الشقة جميلة ومرتبّة، أي أن أصحابها رتبوها باتقان فلم الانفصال؟... سؤال لن يجروء على تكراره لزياد فهو أكثر من رفض الحديث عن الماضي فكيف سيجبر زياد على العكس؟.

توقف مازن محمداً في لوحه زيتيه رسمت باتقان لوجه فتاه جميله لكنها حزينه:  
- يا لإتقان... لوحه رائعة.

تأمل مازن زيلها ليري توقيع زياد:

- معقول زياد هو من رسمها... لم أكن أعلم أنه ماهر هكذا. ولكن من هذه يا ترى!... أنا لم أرى هذا الوجه من قبل ، هل هي من خياله أم توجد فتاه فعلاً تحمل هذا الوجه... لعلها فتاة أحلامه... ولكن لم سيرسم فتاة أحلامه حزينه هكذا؟

تثاءب مازن فقال:

- لم أتم منذ أمس... يبدو أنني سأنام إلى أن يأتي زياد.

# العودة

فتح باب حجرة النوم الرئيسية فابتسم قائلاً:

- حجرة رائعة... مازلت لا أصدق أنه يوجد فتاه عاقلة تنازل عن شاب مثل زياد أو مكان بهذا الشكل.

لم يدخل الغرفة بل أغلق بابها باحثاً عن غرفة النوم الأخرى فلم يكن لائقاً ان يحتل غرفة ستضم زياد وعروسه يوماً. دخل غرفة نوم أخرى وكانت رائعة أيضاً ولم يجد الوقت لتأملها حيث قفز على الفراش ليغط في نوم عميق.

تطلعت زهرة لياسمين بينما الأخيرة تقود سيارتها إلى مكان تجهله زهرة التي قالت:

- أرجوا ألا تقومي بتلك الخدعة القديمة... وتدفعيني لرؤيته مع فتاه أخرى لاشتات غضباً وأصفعه على وجهه قائله له يا خائن.

ابتسمت ياسمين قائلة:

- هذا لا يحدث إلا في الأفلام عزيزتي.... ونحن لسنا ممثلين... اصبري وسترين بنفسك.

تصمت زهرة وإن كان القلق قد تصاعد داخلها خاصة وأنها لم تستطع أن تقنع نفسها بصدق هذا الشاب ولكنه الوحيد الذي قال لها "أحبك" ولا تعرف ماذا أصابها حينها أصبحت تراه أفضل الناس تناست كل عيوبه التي هي واضحة للجميع كما أنها لا تلوم ياسمين في محاولة مساعدتها وإن كانت تتمنى من كل قلبها ألا تكون ياسمين على حق.... فمن حقها أن تُحِب وأن تُحَب ، هي لا تجني على أحد... فياسمين لا تعرف هذا الشعور الرائع الذي يغمرها بمجرد نظرتة إليها... وللمرة الألف تمت ألا تكون ياسمين على حق.

# العودة

توقفت ياسمين أمام إحدى المتاجر الكبيرة التي بها الكثير من المحلات والمطاعم والمقاهي أيضاً قائلة:

- هيا بنا.

تبعها زهرة في صمت حتى توقفا أمام إحدى المطاعم الهادئة فأشارت لها قائلة :

- انظري.

مدت بصرها إلى حيث تشير ياسمين لتراه يجلس ضاحكاً مع فتاة ما، ولكن مهلاً هي تعرف هذه الفتاة إنها من أشهر فتيات النادي المعروفات بسوء خلق هن وتلاعبهن بالشباب فعقدت حاجبها ثم التفتت لياسمين:

- ماذا يعني هذا؟!... هل المفروض أن أغضب لأنه يجلس معها..لعلها هي التي أصرت على لقائه.

أخرجت ياسمين هاتفها الخليوي قائلة:

- اصبري... أنا لا أريدك أن تنظري أنا أريدك أن تسمعي.

ضغطت الأزرار طالبه رقم ما ثم أعطت لزهرة الهاتف:

- اسمعي... وانظري. **كلمة اشعلت حُلماً**

أخذت الهاتف لتسمع رنين الهاتف الآخر ونظرت حيث يجلسا لتري الفتاه تخرج هاتفها النقال وتضغط على أحد أزراره ثم تلقيه بعصبيه على الطاولة وكأنها أغلقته وسمعتها عبر الهاتف تقول:

# العودة

- لم يصبر هذا السخيف على الإتصال بي دائماً؟!

فأجابها بلا مبالاه:

- من هذا؟!... ضحية جديدة؟!

ضحكت بصوت عالٍ دفع من حولها للنظر لها:

- تعجبني مصطلحاتك كثيراً عزيزي... نعم إنه كذلك... لكنني لم أبق معه طويلاً.... رغم

استمتاعي بالنزهات التي كانت معه... ولكن لا تسيء الفهم... استمتاعي لم يكن بوجوده بل

بالأماكن التي كنت أذهب إليها فقط.... ناهيك عن دعوته لي في أفخم مطاعم العاصمة.

- إذا أنتِ لم يعد يرضيك مثل هذا المطعم الذي نجلس فيه.

- لا بأس به مادمت أجلس معك.

- هذا أطراء منك لي جميلتي.

- كفى حديثاً عني.. وأخبرني بقصة فتاتك الجديدة.

- أيهما؟!

علت ضحكاتهما مرة أخرى:

- يا إلهي... لم تعد تكنفي بواحدة في الوقت الراهن.

- التغيير مطلوب أحياناً.

- على كل حال أنا أرى معك هذه الأيام هذا الفتاه التي تظن نفسها أحسن الناس.

- تقصدين زهرة.

# العودة

- لا يمت لها الاسم بصله.
- عضت زهرة على شفتيها وهي تسمع:
- ليس تماماً... هي زهرة فعلاً.
- ولكن الزهور عمرها قصير.
- ولهذا اختارهن عزيزتي... فكلما قصر عمرهن كلما سنحت لي الفرصة بالذهاب لغيرهن.
- ولكني لا أعرف ماذا تستفيد منهن... هل حقاً تأخذ منهن مال؟!
- ليس في المرحلة الأولى ... وإن كنت أتصور أنني سأصل لهذه المرحلة سريعاً مع زهرة.
- لم؟!
- ماذا تتوقعين عزيزتي؟ ... إنها تحبني كثيراً.... كما أنها تتوق لهذه الكلمة... دائماً أسهلن من تتوق لهذه الكلمة.

وكان صفعه نزلت على وجهها وهذه الكلمات تخترق أذنها:

- حقاً... هذه الفتاة تحب!!

- كل الفتيات تحب... عندما تسمع كلمة أحبك.

- ليس كل الفتيات عزيزي.

- وهل تعتبري نفسك منهن؟!

- اسحبها فوراً.

# العودة

- اهدائي .. أنا أمزح... وإن كنت أتساءل ماذا ستفعلين لو قلت لكي أنني أحبك.

مالت ناحيته :

- سأقول وأنا أيضاً.

وضحكا معاً.

نزعت زهرة الهاتف وأغلقتة وأردت أن تتجه نحوهما فأمسكت بها ياسمين:

- قلنا أننا لسنا في مسرحية أو فيلم سينمائي... اهدائي ... لن يجرحه شيء بأن تذهبي وتوبخيه بل أنت من سيجرح في النهاية منه.... فمن هم مثله لن يتوانا في إسماعك أبشع الألفاظ.

أخذت منها الهاتف وجذبتها للخارج:

- دعينا نذهب من هنا.

دلفا إلى السيارة، أراحت زهرة رأسها في مقعدها وقد أغلقت عينيها تأملتها ياسمين في أسى ثم امسكت هاتفها لتعيد طلب الرقم فأجابتها الفتاه:

- كيف الحال!؟

اجابتها ياسمين:

- على ما يرام... أشكرك على المساعدة.

## العودة

- كنت مدينة لكِ بها... أما الان فلم أعد مدينة بشيء... ولكن هذا لا يمنع أنني على الاستعداد بالمساعدة في أي وقت.

- أما زال يجلس أمامك؟

- نعم... ولكن لا تقلقي... انا أعرف ماذا يجب أن أقول... شيء آخر... أنا لم أقصد كل ما قلت... ولكنها الضرورة.

- أنا لم أسمع منه شيء... ولكني سأخبرها على كل حال... شكرا لكِ مرة أخرى... يمكنك أن تتركه الآن.

- لا بأس... أنا معتاده عليه.

- وداعاً.

- وداعاً.

كان يحدق بها مندهشاً فقالت:

- لم تنظر لي هكذا؟!!

- ما هذه المكالمة الغريبة؟!!

- لا شيء... سوء تفاهم عملت على اصلاحه... أمر يخص بعض فتيات أنت لا تعرفهن... دعك من هذا... ألن نأكل شيئاً؟!... أكاد أتتصور جوعاً.

جلست ياسمين مع صديقتها على طاولة تطل على النيل وتأملته قليلاً قائلة:

# العودة

- أتعلمين يا زهرة ماذا أشعر عندما أنظر لهذا النيل؟!

لم تعلق زهرة فأردفت ياسمين:

- أشعر بالأمان... غريب... صح... ولكني فعلاً أشعر بالأمان لرؤية هذا النيل... ربما لأنه ماء ومنه جعل الله الحياة، ربما لأنه ينبع من الجنة.... ربما لأنني أراه منذ مولدي ومازال باق.... وكأن استمراره استمرار لهذه البلد... لا أعلم... حقاً لا أعلم.... لكنني أرتاح كثيراً ويطمئن قلبي لمراه... ما رأيك؟!

نظرت لها زهرة بعينان دامعتان، فأمسكت ياسمين كفها بحنان وربتت عليهما برفق:

- لا عليكِ زهرة.. لا عليكِ.... أنا من داخلي أعلم أنك كنت واثقة من هذه النتيجة.. لكنك كنت ترفضني رغم اقتناعك الداخلي بعدم صدق هذا... ولا أعلم ماذا أصابك بمجرد أن حدثك عن حبه الزائف .

تأملتها زهرة وانحدرت على وجتها عبرة:

- ألا تتوقين للحب ياسمين؟!

- بلى... من منا... لا يبحث عنه.. ويحلم به... ولكن هناك من يرى في هذا الحب غاية وهناك من يراه وسيلة... وأنا ممن يرويه وسيلة لحب آخر أسمى وأبقى.. حب إذا ملأ قلبك سيهون عليك ما سواه.

- أي حب هذا؟!

صمتت ياسمين لحظات ثم قالت:

- حب الله.



# العودة

- ياسمين.. أنا لست في حاله تسمح بأي محاضرات وعظية.

- لا عزيزتي... صدقني إنه علاج لك... وليس محاضرة وعظية... بل إن حب الله هو حقيقة هذا الوجود... من هو الذي منح قلوبنا هذا الشعور الرائع؟ ..من جعلنا نتوق إليه؟.... من اشعرنا بلذته؟.... لا أحد سوى الله.... لهذا فهو وحده يمكنه أن يعينك ويعطيك ماتريدي... يعطيك الحب الذي تتمنين... لكن أولاً... يجب أن تتعلمي حب الله ورسوله.

مدت ياسمين كفها لتمسح عبرات صديقتها:

- لا تبكي... هو لا يستحق هذه الدموع... عليك أن تفكري كيف ترددين له الصاع صاعين.

عقدت زهرة حاجبها فاستطردت ياسمين:

- هو طبعاً لا يعلم أنك علمتي حقيقته الحقيرة... وهذه فرصتك لتتالي منه.

- كيف؟!

- سأخبرك... على أن تنفذي ما أقول تماماً.. ولا تخشي منه شيئاً... وتذكري أنك الأقوى.

- حسناً.. أسمعك.

حل المساء وفي البيت جلس ماهر مع الام في غرفتها لتروي له كل ما يتعلق بماضي مازن معهم وجهلها التام لما حدث له بعدما غاب عنهم طوال التسع سنوات الماضية، فقال ماهر:

- لم فعل مازن هذا.. لم فعل كل هذا؟!

- هذا سؤال لست أنا من استطع أن يجبك عليه.

صمت ماهر غارقاً في افكاره ثم قال:

# المودة

- أمي... ألن يعد زياد حقاً؟!

- مادام قال ذلك..فنعم.

- تبا... أين يريدني أن أبحث عنه؟... أنا لا أعلم عنه أي شيء.... والآن زياد يلومني أنا.

- ما كان يجب أن تتحدث مع أخيك هكذا.

- أنا كنت غاضب كثيراً يا أمي.... كنت أريد أن أوله مثلما ألمني.... أعلم أنني كنت قاسي عليه... ولكن زياد كان يجب أن يفهم..لا أن يهاجمني هكذا.

- ربما أراد زياد منك أيضاً أن تفهم.... الحل ليس في الهجوم على مازن... اسمعني ماهر..لا أنكر أنني أيضاً غضبت من مازن كثيراً ولكني لم أستطع أن أمنع جزء داخلي من السعادة بوجوده معنا مرة أخرى..أشعر أن السعادة ستعود للمنزل من جديد....أشعر أن زوجي سعيد الآن بعودته... يجب أن تتقبل عودته...ربما حينها سنسعد فعلاً.  
أطرق برأسه قائلاً:

- حسناً أمي كما تريد

- بل كما تريد أنت أيضاً...أخوك الكبير هنا...فليبق بجانبك.

- فليكن.. سأحاول.... سأذهب لزياد الآن ليساعدني..أنا لن أستطع البحث عن مازن

وحدي. رب كلمة اشعلت حلماً

- وهل تعرف أين زياد؟!

- بالتأكيد يا أمي... أنسيتي أن لديه شقته الخاصة؟!

تركها ماهر متجهاً إلى حيث يظن زياد.

# العودة

"... كانت أنفاس مازن تتلاحق وهو يعدو بقوة ... كان يبحث عن أي مكان يختبئ فيه.. ويهرب... يهرب من الموت....

غبي.... غبي.... تتصور أنه يمكنك الهروب مني... لا... سأناك كما نلتني.... سأناك...  
..أسرع مازن أكثر وأكثر... ثم شعر بصوت صفير يصبم أذنيه فسقط على ركبتيه ليسد أذناه وهو يتألم...."

فانتفض فزعاً من على فراشه لسمع صوت رنين الباب، أخذ يتنفس بصعوبة:

- تبا... لهذا الحلم السيء... إلى متى سيبقى يطاردني؟

ترك فراشه متجهاً للباب وهو يتمتم:

- أليس معك المفتاح يا زياد؟!

أراد أن يفتح الباب مباشرة لكنه فضل أن يتأكد من الطارق فنظر ليرى أمامه ماهر يقرع الجرس، فانتفض للخلف:

- يا إلهي إنه ماهر... ما الذي جاء به؟!... هل أخبره زياد أنني هنا... لا هو قال إنه لن يخبر أحداً... أقصد... يا إلهي ماذا أفعل؟!... لا... لن أفتح.... ربما يظن أن زياد هنا.. حسناً سينصرف بعد قليل.

عاد ينظر وانتظر قليلاً ليجد ماهر لم يتحرك :

- يبدو أنه واثق أن هناك أحد بالداخل... يبدو أنني سأفتح بنفسني.

# العودة

مد يده في تردد وقبل أن يمس مقبض الباب سمع:

- ماهر..ماذا تفعل هنا؟!

- زياد.... كنت أعلم أنني سأجدك هنا.

- هل عثرت على مازن؟!

- بالطبع لا..لأن..

-إذا لا حديث بيننا... أنا لن أترجع عن قراري ... دعني أفتح الباب.

فر مازن من أمام الباب ليختبي خلف الأريكة الكبيرة وهو مازال يستمع لهما، دخل زياد ليضع ما يحمله على الطاولة وعيناه تدور في المكان بحثاً بينما تبعه ماهر الذي قال:

- اسمعني... أرجوك...منذ متى وأنت تعاملني هكذا؟!

- منذ أن علمت أنك تحمل كم هائل من الكراهية والحقد لم أتصور أنهما في قلبك.

- كراهية وحقد.

- نعم... بما تفسر ما فعلته مع أخيك .... الذي عاد لنا بعد غياب طال لسنوات... عاد بحثاً عن الأمن... الرعاية ... الثقة... ولكنه لم يجد غير كل كره وبغض.... صحيح أننا أخطأنا بعدم إطلاعك على الحقيقة منذ البداية... ولكن كان يجب أن تتفهم السبب ... لا أن تفجر كم غضبك على مازن وكأنه السبب في كل شيء... مازن أخطأ لكنه دفع الثمن.... يجب أن تستوعب هذه الفكرة..مازن دفع الثمن .... فإلى متى يجب أن يدفع هذا الثمن.

ظل ماهر يحدق في وجهه دون تعليق فأردف زياد:

## العودة

- أنا لن أترجع عما قلته... لن أعد إلا مع مازن... وإذا كنت تريدني أن أساعدك في البحث عنه... لا بأس..لدي فكرة...أريدك أن تذهب إلى رعاية الأحداث التي قضى بها مازن عام كامل من عمره.

- ماذا؟!!!

قالها ماهرومازن في نفس واحد، ولكن ماهر فقط هو الذي كان صوته مسموع فقال زياد:

- نعم... ستكون بداية... كما قلت أنت... نحن لا نعلم عنه شيء... فلم لا نبدأ من البداية.

- أنا لا يمكن أن أذهب إلى هناك.

- أنا ليس لدي أي اقتراح آخر أقدمه لك.

دس زياد يده في جيبه وأخرج بطاقة صغيرة ليعطيها لماهر:

- هذه بطاقة الضابط الذي كان موجود وقت عقوبة مازن، مازلت على اتصال به..لقد أصبح الان لواء في نفس رعاية الأحداث... سيساعدك ... هيا اذهب... في انتظار أي أخبار منك.

تطلع له ماهر في دهشة فأردف زياد: **كل كلمة اشعلت حُلماً**

- قلت اذهب... يمكنك الاتصال به قبل الذهاب... وفي كل الاحوال سيكون ذلك غداً.

عض ماهر على شفتيه ثم استدار مغادراً المكان وما أن اغلق الباب حتى قال زياد بصوت خافت:

# العودة

- مازن أنت هنا؟!

أطل مازن من خلف الاريكه وقد ارتسم على وجهه الغضب فرفع زياد إحدى حاجبيه:

- لم هذا؟!

- ماذا تظن نفسك فاعلاً؟! كيف ترسله إلى هناك؟!

- يجب أن يعلم أنك عانيت فعلاً... وهو لن يصدق هذا إلا عندما يراه بنفسه.

- لم أكن أريد لأخي أن يذهب هناك أبداً.

- ولكنك ذهبت.. وتألمت وتعذبت وحدك.... كنت تنام خائفاً في الوقت الذي كنا ننام في

فراشنا قريري العين ، ولكن الذي لا أفهمه حتى الآن... لماذا تركتنا وخرجت من رعاية

الأحداث دون أن تعد لنا.... لم خدعت الضابط واقنعته أنك ستأتي وحدك... كل هذا

لتفر منا... لم فعلت ذلك لم؟!!!

أشاح مازن بوجهه بعيداً فمط زياد شفثيه:

- صحيح نسيت... لا خوض في الماضي .. لا تقلق على ماهر فاللواء فتحي صديق لنا

سيرعاه وإن كنت سأتصل به صباحاً ليعد بعض الترتيبات لا أريد أن تمر زيارة ماهر مرور

الكرام. **رب كلمة اشعلت حلماً**

- ماذا تنوي أن تفعل بأخي يا زياد؟!

- اهدأ هو أخي أنا أيضاً... أم نسيت؟!... أنا فقط أريده أن يعد لك معترراً.... فهمت؟!..

وأرجوا أن أنجح في ذلك؟!

# العودة

صمت مازن دون تعليق فاقترب زياد من الطاولة ليجلس إليها قائلاً:

- هيا... ألم نتفق على أن نأكل معاً؟!

لم يتحرك مازن وظل يتأمل زياد الذي قال:

- مالك تحدق بي هكذا؟!

- مازلت لا استوعب سر اهتمامك الشديد بي...ورعايتك لي دائماً.

ابتسم زياد قائلاً:

- لأني أحبك يا مازن....لأني أحبك كثيراً....بل إن أعز اصدقائي ياسر..لم أحبه مثلما

أحببتك لقد وهبني الله شعور خاص لك...لم أشعر به مع أحد سواك....أنت فقط من

كانت رؤيته تسعدني.... مجرد ابتسامك كان يجعلني ابتسم.

عقد مازن حاجبيه قائلاً في جديه مصطنعة:

- هل يمكن أن تتزوج؟!

انفجر زياد ضاحكاً ثم قال ساخراً:

- طريف جداً....هاهاها.

ضحك مازن واقترب من زياد وجلس إلى الطاولة قائلاً:

- وأنا لم يعد لي سواك يا زياد.

مط زياد شفنيه قائلاً:

- في الماضي كنت تفضل علي رفاقك... وكنت أغار منهم...

# العودة

ثم أطرق برأسه في حزن:

- ولهذا السبب لم آتي معك يوم الحادث...ولكم ندمت على ذلك.... لو كنت أتيت ما كان شيء حدث...ولاستمرت حياتنا بشكل طبيعي.
- لا تلم نفسك....أنا اخطأت وكان يجب أن أدفع الثمن.
- دفعته وحدك...لأنهم فروا وتركوك...وأنت رفضت الاعتراف عليهم.
- كنت أريد أن أعاقب نفسي....ولم أكن أريدهم معي في أي مكان آخر.
- لا يهم الآن..المهم أنك معي...هيا لنأكل.

أوقفت ياسمين سيارتها أمام منزل زهرة التي جلست جانبها في صمت فقالت ياسمين:  
- اتفقنا.

- نعم اتفقنا.

- حسناً .. نظراً لعدم ذهابك للنادي ..سأتي لزيارتك في البيت أو تأتي إلي...أيهما تحبي..وعموماً ابتعادك عن النادي لن يستمر أكثر من أسبوع.
- لا بأس.... أألن تدخلني!؟

- لا الوقت تأخر ..يجب أن ألحق بأبي وياسر..لنتناول العشاء معاً.

تطلعت لها زهرة قائلة:

- ياسمين ..اشكرك كثيراً صديقتي.....بل يا أختي



# العودة

- كيف تشكريني... لقد اتفقنا من زمن.. أن نكون صديقتين وأختين.

- نعم.... سأنتظرك غداً.

- حسناً...سآتي.

غادرت السيارة ملوحة لها حتى انطلقت بها دخلت المنزل فلم تجد أحد بالردهة فاتجهت لغرفة نوم أمها لتجدها جالسه حزينة تماماً:

- أمي ..ماذا بكِ !!؟

نظرت لها وقالت غاضبة:

- أين كنت طوال اليوم؟

- تعلمين يا أمي أنني أذهب في الصباح الباكر مع ياسمين إلى النادي..واعذريني لتأخري..كان هناك الكثير لأفعله.

- أحياناً أشعر وكأنك لا تعيشين معنا في بيت واحد.

- لم كل هذا يا أمي؟

قصت لها الأم ما حدث بسرعة. فقالت زهرة:

- معقول هل فعل زياد ذلك؟...لا أعلم ماذا أصابه..وكان عائلته الوحيد مازن فقط... يتنازل عنا جميعاً من أجله.

- أخوك يريد أن يقول أنه لن يقبل فكره ابتعاد مازن مرة أخرى عنا...حاول أن يقولها بلسانه عدة مرات..وعندما لم يجد استجابة.. قرر أن يقولها بأسلوب آخر.

- هو يُربنا إذاً.

# العودة

- شيئاً من هذا القبيل.

- على كل حال أمر مازن لا يهمني..فليعد... أنا لا أتعامل معه.

- لا أعتقد أن هذا ما يريده زياد.

- وأنا لا أستطع أن أقدم أكثر من ذلك.... ولست مجبرة على تقبل أي انسان على الأرض..أنا حرة.

غادرت من أمام أمها..التي ظلت تتأملها ثم هزت رأسها في أسي:

- يبدو أن زهرة تحتاج لدرس مختلف يا زياد.

في صباح اليوم التالي وقف ماهر أمام مبنى محاط بأسوار عاليه يتطلع إلى لافته كبيرة توضح سر إرتفاع الاسوار.... "مؤسسة رعاية الأحداث"..

- ماذا تريد أيها الشاب؟!

نظر لسائله ليرى عسكري يتطلع له فتردد قليلاً ثم دس يده في جيبه ليخرج البطاقة ويعطيها للعسكري بيد مرتعشه فتطلع العسكري للبطاقة ثم نظر لماهر في شك قائلاً:

- تريد أن تلتقي باللواء فتحي؟!

أوماً ماهر برأسه إيجاباً فقال له العسكري:

- حسناً..اتبعني.

تبعه ماهر بالفعل ليمرا من البوابة الحديدية ثم وقف العسكري يتحدث مع زميله ثم التفت لماهر قائلاً:

# العودة

- هو سيأخذك لسيادة اللواء.

سار الآخر فأسرع ماهر خلفه حتى وصلا لساحه كبيرة انتشر فيها العديد من الشباب والصبيان التي تفاوتت أعمارهم كثيراً تأملهم ماهر وقد اشمئز من حالتهم كثيراً فلم تكن ملابسهم نظيفة وحالتهم الجسمانية كانت ضعيفه الا القليل منهم الذين يبدو أنهم حديثي الانضمام للمكان توقف على صوت العسكري:

- انتظري هنا حتى أعر على سيادة اللواء.

- ستركني هنا.

- وماذا في ذلك؟!.. لن يصيبك شيء؟!!

لم يرتاح ماهر لذلك لكنه التصق بأحد الاسوار منتظراً العسكري الذي إختفى من أمامه، لم يمنع ماهر نفسه من التطلع للشباب الذين بادله بعضهم النظر إليه ، فلابسه الغالية وأناقته الواضح تميزه بسهولة في المكان، وبعد لحظات تحرك أحد الشباب نحوه في هدوء فتبعه إثنان أחרان تحفزت عضلات ماهر بتلقائية رغم أن هذا الذي يقترب منه كان ضخم الجثة ورغم طول قامته ماهر إلا أنه شعر أنه أصغر حجماً منه بكثير. وقف الشاب أمام ماهر ثم قال:

- من أعطاك الحق لتقف هنا وتتطلع لنا هكذا... هل تبدو لك حيوانات في أحد الأقباص؟!!

ارتبك ماهر:

- لا.. أبدأ.. أنا أسف... لم أكن أقصد.

- هل أنت وافد جديد؟!!

# المودة

أجاب ماهر بسرعه:

- لا.. بالطبع لا... أنا هنا لزيارة اللواء فتحي.

أطلق الشاب صفيراً:

- اللواء فتحي شخصياً..م؟!!

أجاب ماهر بضيق:

- وما شأنك أنت؟!!

دفعه أحد الاثنان اللذان تبعا الشاب إلى الحائط قائلاً:

- تحدث بشكل أفضل مع رئيسنا.

دفع ماهر يده عنه قائلاً:

- إياك أن تلمسني.

قال الثالث:

- زعمي..انظر...يرتدي ساعة رائعة...تبدو لي غالية الثمن.

أخفى ماهر يده خلف ظهره تلقائياً فقال الشاب ضخم الجثه:

- أرني إياه.

-لا.

قالها ماهر في تحد، فعقد الشاب حاجبيه قائلاً:

- لا تثر غضبي، أنت هنا على أرضي.... ومن الأفضل لك أن تطيعني.

# العودة

- أرضك...

قالها ماهر في سخرية مستطرداً:

- كف عن هذه السخافات وابتعد عن طريقي... قلت لك أنا هنا للقاء اللواء شخصياً  
..ليس من مصلحتك أن تشاكسني.

وضع الشاب كفه على صدر ماهر ودفعه بقوة وألصقه بالحائط وضغط بقوة كي لا يستطيع  
ماهر التحرك حاول ماهر أن يمسك ذراعه ليبعده عنه لكنه لم يستطع فقال:

- دعني..دعني..أيها الحقير.

ضاقت عينا الشاب ثم أمسك ذراع ماهر قائلاً:

- خذا الساعة.

اسرعا اتباعه بجذب الساعة بعنف من يد ماهر الذي صاح:

- لا.. أعيدوها لي الآن.

حاول ماهر التملص بقوة أكبر لكنه لم ينجح في ذلك اطلاقاً، فدار ببصره في المكان لكنه لم  
يرى إلا المزيد من الشباب الذي اقتربوا ليشاهدوا ما يحدث فابتسم الشاب قائلاً:

- هل تبحث عن مساعدة!؟

- ستندم على هذا كثيراً... أعد لي الساعة الآن.

- هل هي مهمه حقاً.

- لا شأن لك... أعدها.

# العودة

أمسك الشاب بياقة قميص ماهر ثم القاه بعنف أرضاً شعر ماهر بالألم:

- ماذا فعل لك لتفعل به هذا؟!

نظر ماهر للمتحدث الذي لم يكن سوى فتى ضئيل الحجم وقف خلف الشاب الضخم الذي التفت له وقد رفع حاجبه وقال في سخرية:

- من؟! أنت مرة أخرى؟!... ألم تتعلم من المرة السابقة؟!... قلت لك اهتم بشؤنك.. ولا شأن لك بغيرك... أم أنك تفتقد لكماتي وركلاتي لك دائماً.

لم يهتم الفتى وأراد الاقتراب من ماهر لمساعدته على الوقوف فركله الشاب بقوة في ظهره ليسقط ويرتطم بماهر ثم اعتدل الفتى قائلاً:

- توقف عن هذا.

لم يتوقف الشاب بل اقترب ليلطم الفتى على وجهه فألقاه أرضاً مرة أخرى ثم أوسع ركبلاً لم يجتمل ماهر فقفز ليدفع الشاب بعيداً فالتفت له الشاب وقد اشتاط غضباً وقبل أن يوجه ركله لماهر تسمر مكانه فور أن سمع:

- توقفوا. رَبِّ كَلِمَةٌ أَشْعَلَتْ حُلُمًا

## العودة

تحرك الكل بعصبية فنظر ماهر ليرى ما يجري فرأى العسكري يدفع بعضهم ثم رأى رجل آخر يرتدي زي عسكري رفيع ويبدو أكبر سناً فاستنبح أنه اللواء فتحي الذي اقترب منه وأعانه على الاعتدال قائلاً:

- هل أنت بخير؟!

- نعم.

أجابه ماهر ثم نظر للفتى الذي ساعده ليراها يقف مبتعداً فناداه:

- انتظر.

لكنه لم يلتفت واستمر في ابتعاده فوضع فتحي يده على كتف ماهر قائلاً:

- هيا لنذهب إلى مكتبي.

تذكر ماهر الساعة فقال:

- هذا الشاب أخذ ساعتني.

- لا تقلق سزدها لك.

طمأنه فتحي ثم أخذه لمكتبه ، صمت ماهر ولم يقل شيء فقال فتحي:

- أسف أنك تعرضت لهذا.... فالحياة هنا ليست سهله.

أكتفى ماهر بإيماءة من رأسه فأردف فتحي:

- لقد اتصل بي زياد وقال أنك ستأتي لتسأل عن مازن ... صحيح.

- نعم.

# العودة

- وماذا تريد أن تسأل؟!

صمت ماهر قليلاً ثم قال:

- كيف كان يعيش مازن هنا؟

ابتسم فتحي وهو يتطلع لماهر ثم قال متذكراً:

- مازن... كان فتى رائع... شعرت من اليوم الاول أنه حقاً نادم ويريد أن يعاقب نفسه قدر المستطاع، كتب على نفسه العزلة.. فلم يكن يتحدث لأحد وبقي في عزلته هذه طويلاً، ولم يخرج منها إلا بموقف كالذي تعرض له.

عقد ماهر حاجبيه قائلاً:

- كيف؟!!

- أتعلم الفتى الصغير ضئيل الحجم الذي لم يهتم بضخامة الآخر وأراد أن يساعدك؟.

- نعم.

- هكذا كان مازن... في مرة جاء لنا وافد ضئيل الحجم اسمه بندق لصغره ، وكان يتعرض لمضايقات من هم أكبر منه حجماً ومرة...زادت المضايقات وقام أحدهم بضربه وهنا قرر مازن أن يخرج من عزلته وتدخل لمساعدة الفتى إلا أنه تعرض لضرب مبرح من الفتى الضخم لكنه لم يهتم فكما قلت لك كان يريد أن يعرض نفسه للعقاب قدر المستطاع ولم يحدث هذا الامر مرة واحده بل تكرر كثيراً لدرجة أن مازن أصيب ببعض الكدمات التي أتصور أنها مازلت على جسده إلى الآن.

شهق ماهر وهو يتذكر الكدمات وأثار السياط التي رآها تملأ جسد أخاه، فقال:



# المودة

- وهل كان يتعرض للضرب بالسياط؟!؟

هز فتحي رأسه:

- لا... لا.. لم يحدث هذا على حد علمي.

صمت ماهر سائلاً نفسه:

"..... ما هذه الآثار إذا؟!؟"

ثم قال لفتحي:

- لكن لم تتركوهم يؤذوا بعضهم البعض؟!؟

- ليس دائماً نكون بقرهم عندما يتم الشجار وأحياناً يفتعلونه في دورات المياه أو حتى في أماكن نومهم.

- ومازن هل خرج من عزلته لمجرد تعرضه للضرب؟.

- لا... ولكنه حينها أصبح صديقاً لبندق... ثم تعرف على إثنان أخران شوقي و طويل... وكونوا جماعتهم الخاصة كانوا لا يفترقون ولكنهم جميعاً خرجوا قبله وهذا أحزن مازن كثيراً ولكنه لحق بهم بعد شهرين، حينها بحثنا عنه لأنه لم يعد للمنزل.. وبحثنا عن بندق وشوقي وطويل ليساعدونا.. لكن للأسف لم نعثر على أيأ منهم.

كان ماهر ينصت له جيداً وقد بدت علامات الحزن على وجهه فأردف فتحي:

## العودة

- مازن كان من القليل الذين كرهت وجودهم هنا...لأنه كان يستحق الأفضل... وأنا سعيد أنك تريد العثور عليه..وحزين أنه مازال بعيد عنكم حتى الآن...أدعوا الله أن تجده..وعندما تجده أبلغه سلامي..وأنتي أتوق لرؤيته.

لم يستطع ماهر أن يتسم لكنه قال:

- سأفعل إن شاء الله.

- كنت أتمنى مساعدتك بشكل أفضل.

- أنت ساعدتني بالفعل سيدي.... ساعدتني على رؤية ما خفي علي.

لم يفهم فتحي قصده ، فدخل للحجرة عسكري أمسك بساعة ماهر:

- لقد أحضرنا الساعة سيدي.

- حسناً ..اعطه إياها.

تناولها ماهر واقفاً ثم سلم على فتحي بامتنان وسار خلف العسكري ليأخذه خارجاً وبينما هو في طريقه رأى الفتى الصغير الذي ساعده يجلس بعيداً شاردأً حزيناً وبشكل أو بأخر رأى في وجهه وجه أخيه مازن حزيناً متألماً وحيداً، فعض شفتيه في ألم ثم شعر بمن يضع يده على كتفه:

- هيا لم توقفت!؟

التفت ليرى العسكري الذي يرشده للطريق فعاد يتبعه حتى غادر المكان سار على قدميه طويلاً ، كان يؤنب نفسه بشدة وشعر بصدق زياد ونجاحه في رؤية ما لم يره وندم على كل كلمة قالها لمازن وتمنى أن يراه مرة أخرى لكي يطلب شيء واحد...أن يسامحه. وجد نفسه يقف أمام مبنى المكتب الهندسي لزياد فتردد قليلاً ثم قرر الصعود.

دخل ماهر مكتب زياد الهندسي ليلتقي بياسر:

- ماهر.. أهلاً.. ما هذه المفاجأة السارة... ما سر هذه الزيارة؟

لم تبدو على ماهر أي رغبة للابتسام فقال:

- أين زياد؟!

عقد ياسر حاجبيه:

- في مكتبه.. هل كل شيء على ما يرام.

أجبر نفسه على الابتسام: مشاعر غالية

- نعم لا تقلق.

اتجه ماهر لمكتب زياد وطرق بابه وما أن سمع صوته يأذن بالدخول ففتح الباب لكنه لم يجد زياد على مكتبه فالتفت لقاعة الاجتماعات الملحقة بالمكتب وقال:

- أين أنت؟!

ما أن سمع زياد صوت ماهر حتى دفع بمأزر الذي انتفض هو الآخر فخبأه خلف الحائط ثم أسرع باتجاه ماهر قبل أن يرى مأزر وقال:

- ماهر... أنت هنا؟!

- نعم.

قالها بأسى إلى حد ما، فقال زياد:

# العودة

- هل التقيت باللواء فتحي؟.

أوماً ماهر برأسه فأردف زياد:

- وماذا حدث... هل ساعدك في شيء؟!.

حذق ماهر به للحظات ثم قال في ألم:

- لقد عانا مازن كثيراً... حقاً لقد دفع الثمن غالياً.

رفع زياد حاجباه في تأثر واستمع لماهر الذي أردف قائلاً:

- فلم يحط إلا بشرذمة من الاوغاد... القليل منهم فقط مثل مازن عاشوا حياة طيبة ليجدوا أنفسهم فجأة مطالبين بالعيش مع من هم كهؤلاء... يا الهي يا زياد... لو رأيت كيف يتعاملون مع بعض.. بل المكان وحده يكفي... لقد عانا مازن كثيراً..وأنا كنت قاسياً عليه... أردت أن أعاقبه مدى الحياة... أنت الوحيد الذي فهمت وأردت أن تخفف عنه وكان الاولى أن يفعل أخوه الصغير ذلك.

لم يشاء زياد أن يتكلم أراد أن يخرج ماهر كل مالدیه خاصة أنه يعلم أن مازن يسمعه، لكن ماهر اكتفى بهذا ناظراً لزياد الذي قال:

- مازن يحتاج لنا جميعاً...وليس لك أو لي وحدي.... وأنا سعيد أنك أخيراً استوعبت.... فهذا كل ما يريد مازن..أن تتقبله وتستوعبه.

- ولكننا لا نستطع العثور عليه... ولا أعرف هل سيسامحني أم لا؟

- اعتقد أنه سيسامحك.... خاصة بعد أن سمع منك هذا الكلام.

تطلع إليه مندهشاً:

- ماذا تقول؟! -

ابتسم زياد وهو يعود للخلف خطوات ثم نظر لمازن الذي تلاًأت عيناه بالدموع فزادت ابتسامته فرفع ماهر حاجبيه ثم اقترب لينظر حيث ينظر زياد فشقق عندما رأى مازن يقف أمامه:

- مازن.

تطلع له مازن في حنان جارف، وقد تناسى كل كلمه جارحه قد صدرت من أخيه لم يتمالك ماهر نفسه فأسرع يضم أخاه إلى صدره:

- سامحني يا مازن...سامحني يا أخي... أنت أنسان رائع...أنا أعلم هذا جيداً...سامحني.

ربت مازن على كتفه قائلاً:

- أنا لست غاضب منك لكي أسامحك... أنا أريدك أنت أن تسامحني أني تسببت في حرمانك من شيء طالما حلمت به.

رفع ماهر رأسه:

- لا تقلق... أنا معظم مايشغل تفكيري هو السفر حول العالم وهذا يمكن تحقيقه حتى بدون أن ألتحق بوزارة الخارجيه أو العمل الدبلوماسي.

ابتسم زياد وهو يتابع كلماتهم المتبادلة.. ليتم:



## العودة

- أرجوك يا زياد..أمي ستفرح كثيراً عندما ترانا جميعاً عائدین لتناول الغداء معها..أرجوووووووووك.

نظر زياد لمأزن الذي ابتسم له فقال:

- حسناً .. هيا بنا.

جلست ياسمين على طرف فراش زهرة التي تمددت عليه قائلة:

- إذا فقد حاول الاتصال بكِ.

- نعم...ولم أجب عليه.

- أحسنتِ ... دعيه...سيقتله التفكير...وسيحاول أن يبحث عن تفسير لذلك...وسيزداد قلقه بغيابك وعدم ظهورك في النادي.

- وماذا لو التقى بكِ..وسألك عني؟.

- سأجيبه بمنتهى البرود... أنك بخير... ولا ترغبين في المجيء للنادي هذه الأيام.

لم تعلق زهرة ،همت ياسمين بالوقوف فأوقفها زهرة:

- انتظري إلى أين أنتِ ذاهبة؟.

- سأغادر.

- لم...؟!... أبقى وتناول الغداء معنا.

- ولكن.

## العودة

- لا أحد هنا سوى أنا وأمي... ولا أعلم هل سيحضر ماهر أم لا... وأنتِ أباك وأخاك في عملهما.. فابقي معي.

فكرت ياسمين قليلاً:

- حسناً.

خرجت مع زهرة من حجرتها وبينما هما في طريقها للردهة فُتح باب المنزل ليدخل ماهر مسرعاً:

- أمي... لقد عدنا... ها قد عدنا جميعاً كما وعدتك.

أسرعت الأم التي كانت في غرفة الطعام ليستقبلها ماهر:

- ها نحن يا أمي... زياد ومازن... وأنا.

ابتسمت له الام ثم نظرت لزياد نظرة عتاب فابتسم لها وقد وجه لها نظرة ذات مغزى أما مازن فقد أطرق رأسه وقد تجهم وجهه فاقتربت منه الأم ثم مدت يدها لتحتضن كفه قائلة:

- مرحباً... لا تكرر ذلك مرة أخرى.

رفع مازن رأسه لها ليجدها تنبسم له في حنو افتقده كثيراً:

- سامحي... أعلم أنني كنت قاسية عليك... ولكن لا بأس... زياد معه حق... أنت منا ويجب أن تبقى معنا... لن يفارق أياً منا الآخر... حتى بزواجكم.

ابتسم مازن لها، وقفت زهرة وخلفها ياسمين يتابعان ما يحدث من أعلى وقد اندهشت ياسمين كثيراً رأهما ماهر فقال:



## العودة

- مرحبا... ياسمين هنا... هذا رائع... هل ستنضمين للغداء معنا?... لقد ذهبت للمكتب  
بنفسي لأحضر مازن وزياد..ولو كنت أعلم بوجودك لأحضرت ياسر أيضاً.

ابتسمت ياسمين قائلة:

- لا بأس... أشكرك.

لم تعلق زهرة بشيء..ولم تستطع ياسمين أن ترى نظرتها الباغضة لمازن وإن كان ما شغل  
تفكير ياسمين....

"... لم يتحدثوا كما لو كان مازن تركهم ثم عاد لهم... يبدو أن هناك شيء ما حدث بينهم... لا  
شأن لي... فلكل بيت أسراره."

فوجيء الجميع بوجودهما لكن لم يبدو عليهم شيء، بعد لحظات اجتمع الجميع في غرفة الطعام،  
لم تكن الامور طبيعيه.. هذا ما شعرت به ياسمين..وتأكدت أن هناك شيء لا تعرفه  
يجري..وتمنت لو لم تنضم لهم.... فيبدو أنهم لن يتكلموا بسببها لذا قررت أن تأكل أي شيء  
وتغادر في الحال، وأتاها صوت الام:

- كلي ياسمين..أنت لست غريبه..أم أنا وجود الشباب يضايقك.

- لا... لا أبداً.

قال ماهر مازحاً:

- ماذا تقصدين يا أمي؟..نحن نضايق الآخرين..نحن لسنا غرباء لها...ياسمين... انظري.. لا  
أحد سوى زياد ومازن..وماهر الذي هو أنا... ما المشكله!؟

# العودة

ابتسم الجميع ماعدا زهرة التي كانت شارده عنهم وقالت ياسمين:

- لا مشكلة.

دارت ببصرها لتلتقي عيناها بعيني مازن التي كانت تتطلع لها أطرقت رأسها في الحال  
وشعرت بارتباك غريب.

" .... ماذا أصابك ياسمين.. اهدائي.. الأفضل أن تغادري الطاولة الآن."

وقبل أن تنفذ سمعت مازن:

- كيف حال مشروع التجويد؟

لم ترفع عيناها إليه وقالت:

- بخير... الفضل يعود لله... ثم لك.

- كنت أريد أن أساعد.

قالها بهدوء وصوت رقيق، فلم تتمالك إلا أن تنظر إلى وجهه المبتسم إليها وإذا بقلبيها ينتفض  
وصوت يصدر من داخلها :

-... كم هو وسيم.

أسقطت الملعقة من يدها ثم انتفضت واقفه فنظروا لها في دهشة..وقالت زهرة:

- ماذا هناك!!!؟

شعرت ياسمين بالحرج الشديد وقد وضخ هذا للجميع عندما أحمر وجهها بشده ثم قالت:

- أسفه...لقد تذكرت شيئاً هام...يجب أن أغادر.

# العودة

أردت زهرة أن تقف. فقالت لها:

- لا..فلتكمّلوا طعامكم... أنا أعرف الطريق جيداً... زهرة سأتصل بك مساء... إلى اللقاء لكم جميعاً... كانت دعوة رائعة.

قالت الام:

- أنتِ لم تأكلي شيئاً.

- لا طبعاً لقد أكلت..إلى اللقاء.

غادرت مسرعة وتجنبت النظر لمازن الذي ظل يتابعها حتى اختفت في الخارج وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة باهتة.

قادت ياسمين سيارتها وكفاها يرتعشان وما أن ابتعدت مسافه كافيه عن البيت حتى أوقفت سيارتها لتلتقط أنفاسها:

-... ماذا أصابك ياسمين ؟ ..ماذا أصابك؟... كيف تتحدثي عنه بهذا الشكل... بل كيف

تنظرين له هكذا؟..... ولكني... تحدثت مع الكثير أثناء دراستي وانشطتي... لم أشعر بمثل

هذا الشعور من قبل... ما الذي يجري لي؟... ولم هذا الشاب بالذات؟!

هزت رأسها اعتراضاً على ما يقتحمه من أفكار، وقد أصابها الغضب من نفسها.. لقد

أطلقت نظراتها ونسيت أنها سهم من سهام الشيطان.

## العودة

جلست زهرة في شرفتها تتطلع للاشيء، شاردة تماماً، ولم تفيق إلا على لمسة كف حانيه  
على كتفها ورغم حنوها إلا أنها انتفضت فقالت الام:

- رويدك .... أنها أنا.

نظرت لها زهرة ثم قالت:

- أمي.. أسفة.

جلست جوارها:

- ماذا بكِ زهرة؟!...تبدين شاردة تماماً.

أطرقت رأسها:

- لا شيء أمي..أنا بخير.

- هل وجود مازن يضايقك بهذا الشكل؟!!

- مازن!! لم تقولي هذا؟!!

- لا أعلم..أشعر بذلك...زهرة حبيبتني... هل ستصدقيني إذا قلت أنني فعلاً سعيدة

بعودته... عندما رأيتهم أماًمي..ماهر وزياد ومازن... شعرت وكأن أبيك وعمك

معنا...وتضايقت من نفسي لم صدر مني، وأريدك أنتِ أيضاً أن تعاملي مازن بشكل أفضل.

- أمي أرجوك...أولاً أنا لا أفكر في مازن أصلاً...وحقيقةً.. أمره لا يعني..وبالتالي وجوده لا

يضايقني ولا ابتعاده يسعدني فالأمر سيان.

عقدت الأم حاجبيها:

- لا أحب أن تقولي هذا.

# المودة

- أمي أرجوك.

- ماذا بكِ إذا؟!

- لا شيء.

- لا تقولي لا شيء .... أنتِ لم تخرجي منذ أن عدت أمس وهذه ليست عادتك...فأنتِ تذهبي للنادي يومياً.

- نعم..ولقد تعبت من نفسي.... وأريد أن أرتاح ..هل في ذلك مشكلة؟

- هل حدث شيء في النادي؟!

- أمي أرجوك..لو كان هناك شيء لأخبرتك.

رفعت الام أحد حاجبيها متممة:

- أشك.

زفرت زهرة دون تعليق ثم أردفت الام:

- صحيح...ماذا أصاب ياسمين على طاولة الغداء.

سعدت زهرة بتغير الموضوع فقالت:

- لا أعلم... لم تذكر لي أن هناك شيء مهم في انتظارها.

ضحكت الأم فنظرت لها زهرة:

- لم الضحك؟!

-لا شيء..تذكرت إحمرار وجنتيها وخلجها الشديد بعد أن نظرت لمازن..وهروبها من المكان.

# العودة

- لا أفهم..ماذا يعني هذا؟!

ابتسمت الأم:

- ستفهمي يوماً..وإن كنت أشك أن الامر سيرضيك.

لم تفهم زهرة شيء وقبل أن تسأل قامت الام:

- سأتركك تعودى لشروذك..ولو شعرتى برغبه فى الحديث إلى أمك...تعرفين أين تجديني؟!

تابعها زهرة مفكره فى كلماتها عن مازن ولم تستطع تميز ما تقصده أمها ولكن سرعان ما قفزت لرأسها فكرة ما فشهمت:

- مستحيل ياسمين...ومازن... مستحيل...بالتأكد مستحيل.

مرت عدة أيام بعد عودة مازن وقد ساد المنزل الكثير من الهدوء والسعادة الجزئية حيث أن سوء علاقة مازن وزهرة كان السبب الرئيسي في بعض المشاكل أحياناً، فمع توتر زهرة نتيجة ما حدث لها وانتظاراً منها لترد الصاع صاعين للوعد التي تصورت نفسها تحبه كانت تتصرف بشكل غريب حتى أن ماهر طلب من مازن ألا يتعامل مع زهرة إلا فيما ندر لعل الامور تنصلح وحدها، أما مازن فحاول أن يتفادها فعلاً وركز اهتمامه بأخيه وزيناد وخالته محاولاً اكتساب ود الجميع.

مرت الفترة التي حددتها ياسمين لزهرة وها هي في انتظارها لترعلها ليذهبها إلى النادي معاً، لتأخذ ثأرها من هذا الحقير الذي تصورت أنه يعني لها شيء..وكم أفادها كونها بقيت في

## العودة

المنزل طوال الاسبوع حيث رتبت أفكارها وأصبحت مشاعرها أكثر وضوحاً ، فهي لم تحبه هو.. وإنما أحببت كلمة الحب نفسها، هو لا يعني لها شيء الآن... بل إنها لا تطيق رؤيته وكما تتمنى أن ترى وجهه بعد أن تُسمعه ما أتفتت عليه مع ياسمين، كانت تنتظر في الشرفه وما أن رأت سيارة ياسمين حتى أسرعرت لأسفل وكادت ترتطم بفريد الذي عاد للخلف بسرعة:

- مهلاً أنستي.

- أسفه عم فريد... أبلغ أمي أنني ذهبت مع ياسمين إلى النادي.  
قفزت للسيارة وانطلقا إلى النادي، وقالت ياسمين:

- مستعدة.

- تماماً.

- لن تتخاذلي.

- أبدأ... صدقيني ياسمين.. إنه لا يعني لي شيء... مرور هذه الأيام اقنعني بهذا... لم أشتاق له أبداً.

- هذا جيد.

تأملتها زهرة ثم قالت في امتنان:  
تأملتها زهرة ثم قالت في امتنان:

- أشكرك كثيراً ياسمين... لقد ساعدتني كثيراً.

ابتسمت ياسمين:

- لهذا خلق الأصدقاء.

# العودة

دخلتا إلى النادي وقالت ياسمين:

- حسناً فور أن يراك سيأتي ليحدثك.

- وأنا في انتظاره.

ما أن سارا في النادي للحظات حتى ظهر فجأة وأسرع ناحية زهرة قائلاً:

- زهرة..أين كنتِ؟!!

نظرت له زهرة قائلة في دهشة مصطنعه:

- أنا هنا...لم أتريد مني شيء؟

رمق ياسمين نظرة نارية ثم عاد للحديث مع زهرة:

- ماذا تقصدين؟!.. لقد حاولت الاتصال بك أكثر من عشر مرات...ولم تجيبي علي إطلاقاً.

- كنت مشغولة بعض الشيء.

قالتها زهرة بنبرة متعالية ، فعقد حاجبيه قائلاً:

- أريد أن أتحدث معك قليلاً بمفردنا.

فرفعت حاجبها:

- بمفردنا!... ولم؟... لا يوجد شيء يجبرني على أن أتحدث معك وحدي..إذا كان هناك شيء تريد أن تقوله فقله.

زادت دهشته:



# العودة

- ماذا أصابك زهرة؟..أنسييتني أم ماذا؟!

مطت زهرة شفثيها:

- اسمع أيها الشاب... يقولون عني أني أمل سريعاً..وهذا صحيح...فأنا أمرح قليلاً ثم سرعان  
ما أغير طريقي في المرح.... ولم أعد أمرح بوجودك...فهل لك أن تتركني وشأني.

حذق بها في ذهول:

- ما هذا الذي تقولي؟..... هل جننتي؟!

- تأدب وأنت تتحدث إلي .... ولا يوجد شيء يجبرني على الاستمرار في التواصل معك  
بأي شكل من الاشكال... لقد مللت... مللتك..أتفهم؟...مللتك.

احمر وجهه غضباً وزاد بعد ابتسامه السخرية التي ارتسمت على شفثي ياسمين فعرض  
شفثيه قائلاً:

- هكذا إذاً... يبدو أنك لا تعلمين من هذا الذي تتعاملين معه.... ستندمين زهرتي  
ستندمين.

ابتسمت زهرة في سخرية:

- لا وقت لدي للاستماع لمثل هذه الخرافات...هيا صديقتي..دعينا نذهب حيث نريد.

التفتت ياسمين معها لتغادرا وتركوه يشتاظ غضباً، وما أن ابتعدتا بمسافة كافية حتى  
انفجرت ياسمين ضحكاً:

- رائع زهرة..أجدتي الدور بشكل رائع.

## العودة

حاولت زهرة الابتسام لكنها لم تستطع فقالت ياسمين:

- ماذا بك؟!.. لا تقولي أنك نادمة.

- لا.. ولكنني خائفة.

- مما؟!..

- لقد غضب كثيراً وهددني.

- لا تخافي إنه جبان.. لن يستطيع أن يفعل شيء... لا تقلقي.

- سأحاول.

بدءتا انشطتها العادية هنا وهناك حتى انتصف النهار فجلستا معاً وقالت زهرة:

- ليس لي رغبة في تناول الطعام هنا.. ما رأيك أن نتناوله في البيت؟

صاحت ياسمين فجأة:

- لا.

نظرت لها زهرة في دهشه: كلمة اشعلت حُلماً

- لم الصباح.. كان مجرد اقتراح؟!!

ابتسمت ياسمين:

- أشعرُّ هذا؟!..

- لا تهربي... لم فرعتي هكذا؟!!

# العودة

- أنا لم أفزع.

- بل فرعتي...وهناك أمر آخر...فمنذ آخر غداء تناولتيه عندنا..وأنتِ لا تأتيين البيت..ودائماً  
تختلقين أعذار و تجبريني على أن آتي إلى بيتك.

- هذا ليس صحيح.... ثم أنتِ اعتادتي فعلاً على أن آتي أنا لكِ.. وأردت أن أغير من هذا  
قليلاً.

غمزت زهرة:

- حقاً...هذا هو السبب!؟

- بالتأكيد.... ولم سيكون هناك أي سبب آخر!؟.

- حسناً..أعتقد أنه من العدل بعد ابتعادك عن بيتنا أسبوع يمكنك أن تأتي اليوم...ولا  
تقلقي لن يكن أياً من الشباب هناك باستثناء ماهر وأعدك هذه المرة... ما رأيك!؟...  
تعالى.

صمتت مفكره ثم قالت:

- حسناً.... رغم أن وجود الشباب لا يؤرقني.

- قولي ما تشائى... فأنا لم أتعرف عليكِ أمس.

مطت ياسمين شفيتها وقامت معها إلى بيتها. وبالفعل وصلتا في الوقت الذي يعد فيه فريد  
مائدة الطعام فصاحت زهرة:

- في الوقت تماماً.

سمعت أمها:

# العودة

- ما هذا الرضا السامي... زهرة ياسمين معنا!؟

ابتسمت ياسمين وذهبت لتحية الام وبينما يجلسن على مائدة الطعام انضم لهن ماهر الذي  
حيّ ياسمين وشرعوا في تناول الطعام وبعد قليل دخل فريد قائلاً:

- ماهر..مازن يريدك!؟!

ما أن سمعت ياسمين الاسم حتى شعرت بالطعام يتوقف في حلقها فسعلت بقوة مما جعل  
الأخرين ينظرون لها فقالت الأم وهي تبتسم ناظرة لياسمين التي تجنبت النظر لأحد :  
- مازن..هنا.

- لا يا سيدتي.. على الهاتف.

تنفست ياسمين الصعداء ولامت نفسها على تصرفها كثيراً، قام ماهر مسرعاً للهاتف مردداً:  
- أنا قادم أخي..أنا قادم.

ابتسمت الام ثم نظرت لياسمين قائلة:

- محظوظ مازن كثيراً.

نظرت لها ياسمين فأردفت:

- سرعان ما يسقط الناس في حبه.

احمررت وجنتي ياسمين تلقائياً وأطرقت برأسها أرضاً، وشعرت أن الام أمكنها قراءة  
مشاعرها بسهولة ، نظرت لهما زهرة غير مستوعبه ثم قالت:

- ليس كل الناس أمي.... ليس كلهم.

# العودة

مطت الأم شفيتها قائلة:

- أعلم.... ما دُمتي أمامي.

- ماذا تقصدين أمي!؟

قالتها في غضب، فقالت ياسمين:

- لأنك متحامله دائماً على مازن.... وأنا حقاً لا أعلم سبب ذلك.

رفعت زهرة إحدى حاجبيها قائلة:

- هناك سبب حتماً.... ولا أظن أنه من مصلحتك معرفته.

عقدت ياسمين حاجبيها فقالت الام:

- زهرة..توقفي عن ذلك... والأفضل لك أن تكلمي طعامك.

بعد انتهاء الطعام أرادت ياسمين أن تغادر فأوصلتها زهرة لسيارتها التي ركبها ياسمين ثم نظرت لزهرة التي مالت لتدخل رأسها من النافذة قائلة:

- سأراك غداً في النادي. **كلمة اشعلت حُلماً**

- ربما لا... هناك أمور علي الاهتمام بها في المنزل... لم لا تأتي للمنزل غداً وتساعدني؟.

- أنا لا أساعد في منزلي.... سأساعد عندك.

- حسناً لا أريد منك شيئاً... هيا اذهبي لأغادر.

لم تخرج زهرة رأسها بل قالت:

# المودة

- صحيح... أريد أن أسألك سؤال.

تطلعت لها ياسمين فأردفت:

- ماذا يصيبك عندما تسمعين اسم مازن؟!

ارتجفت وجنتها قائلة:

- ما..ماذا...يصيبني... لا شيء؟!

أشارت لها قائلة:

- لا شيء كهذا الذي أنت فيه الآن؟!

- زهرة ماذا تقصدين؟!

مطت زهرة شفيتها وسحبت رأسها قائلة:

- لا شيء... هيا اذهبي.

لم تشاء ياسمين أن تعاند فهي تعلم أنها على حق فأدارت محركها ولوحت لها مغادرة بينما وقفت زهرة تحديق بسيارتها حتى غابت عن ناظرها.

رُبَّ كَلِمَةٍ اشْعَلَتْ حُلْمًا

وقف ماهر بجانب مازن يتطلعا إلى سيارة بيضاء أنيقة صغيرة الحجم وقال زياد الذي وقف بجانبها:

- أحقاً تعجبك يا مازن... نشترها إذا؟!

أوماً مازن برأسه بينما قال ماهر:

## العودة

- فكر قليلاً يا أخي... إنها صغيرة رغم أناقتها... لم لا تشتري سيارة كبيرة كالتي يقودها زياد؟.. هذه السيارة يمكن لزهرة أن تركبها أما أنت تحتاج لما هي أكبر.

- ليس تماماً... رأيت كثير من الشباب يقود مثل هذه السيارة ، كما أن هناك من الفتيات من يقود سيارة كسيارة زياد... لا فرق كبير.

- لكنني لا أريدك أن تشتري مثل هذه السيارة.

اقترب زياد:

- توقف عن هذا يا ماهر... هو الذي سيقودها وليس أنت... حسناً مازن سنشتريها.

ابتسم له مازن ممتناً ثم قال لأخيه:

- عندما تشتري لنفسك سيارة اشترى ما تريد.

- ومن قال أنني أريد سيارة... أنا سأشتري دراجة بخارية.

ابتسم زياد:

- لن يكن الان.

قاد مازن سيارته وركب معه ماهر بينما تقدمها زياد بسيارته وصلوا للمنزل ليترجلوا من السيارتين وما أن دخل ماهر حتى صاح:

- أمي ..أمي... تعالي لترى سيارة مازن الجديدة.

خرجت الأم من غرفتها واتجهت للنافذة لترى السيارة فابتسمت قائلة:

- سيارة جميلة... لكنها صغيرة.

# العودة

صاح ماهر:

- رأيت !! هذا ما سيقوله الجميع عنها.

قال لمازن لأمه:

- أعلم أنها صغيرة.. لكنها أعجبتني.

تأملته الأم قائلة:

- منذ صغرك وأنت تحب الأشياء صغيرة الحجم... تصورتك تغيرت... ولكن هل استخرجت رخصة قيادة؟.

رد زياد:

- سنذهب غداً لاستخراجها.. هو يعرف القيادة لن يكن الامر صعباً.

صمت قليلاً ثم قالت:

- قدها بحرص أرجوك.

ابتسم لها وقال :

- لا تقلقي.. أشكرك أُمي كثيراً... وكذلك أنت زياد... تحققان لي أكثر مما أريد.

ربت زياد على كتفه قائلاً:

- أولاً.. لا تشكرنا.. نحن أخوة... ثانياً... هذا من مالك.

- مالي.

- نعم.... أم نسيت أن لك من الإرث الذي ننع فيه.. والذي حرمت نفسك منه سنوات.



# العودة

أطرق برأسه قائلاً:

- لم أفكر في ذلك يوماً.

التفتنا لماهر الذي قال:

- زهرة تعالي لقد اشترينا سيارة مازن الجديدة... تعالي لتشاهديها.

هبطت الدرج بتكاسل فمط زياد شفثيه ضيقاً منها أما مازن فلم يعد الأمر يعنيه كثيراً وإن كان أحياناً يتمنى أن تتعامل معه كما تفعل مع البقية وصلت للنافذة وما أن رأت السيارة حتى ضحكت في سخرية:

- هل هذه السيارة له.. أم لي؟؟... لقد أخبرتكم أنني لا أحب قيادة السيارات.

عقد ماهر حاجبيه:

- إنها له!!!

- حقاً... أي شخص سيرها سينتصرون أن فتاة تقودها... ألا تعرف كيف تختار السيارات؟

- توقفي زهرة.

قالتها الام في ضيق فقال ماهر:

- ماذا أصابك زهرة!؟

- لا شيء.

أرادت أن تغادر لكنها توقف ثم نظرت لمازن قائلة:

## العودة

- لا شأن لك برفيقتي ياسمين.... هي رفيقتي منذ سنوات...لن أسمح لك إطلاقاً أن تفسد ما بيننا..أتفهم؟!

عقد مازن حاجبيه وتطلع لهم الباقي في دهشة إلا الأم التي ضاقت عينها متابعة ردت فعل مازن الذي قال:

- وما شأنني برفيقتك؟!!!

- أنت تعلم جيداً ما أقصد... ولا داعي أن أخبرها عنك... فأنت تعلم النتيجة.

- زهرة هل جننتي؟!!

قالتها الأم في ضيق فلم تعلق زهرة بل انسحبت عائدة لحجرتها لم يبق مازن طويلاً حيث صعد لغرفته هو الآخر معتذراً عن تناول العشاء الذي اعتذر عنه الجميع ولم يبق في الردهة سوى زياد وأمه فقال زياد:

- لم تصر زهرة على إفساد أي فرحه له؟!!

- ليتني أعلم.

- وماذا تقصد بكلامها عن مازن وياسمين..هل حدث شيء لا أعلمه أمي؟!!

- لا أعتقد ذلك... وإن كنت لن أنكر أنني أشعر بشيء طيب من ياسمين تجاه مازن....لكنه لا يهتم بالامر...يبدو لي لا يهتم.

- حقاً..هل ياسمين محتمة به؟!!!

- هي لم تبدي أي اهتمام حقيقي... ولكن يمكن أن نقول أنها الحاسة السادسة التي تملكها المرأه عادة فتري ما لا يراه الآخريين.

## العودة

- ولكن يبدو أن هذا لن يسعد زهرة... هل تظني أُمي أنها حقاً قد تخبر ياسمين بماضي مازن؟

- لا يمكن أن تفعل ذلك... وإن فعلت سأقتلها.

ابتسم زياد:

- أتمنى ألا تسوء الأمور.

- تحدث مع مازن قبل أن تنام... لقد ضايقته أختك كثيراً.

- سأفعل أُمي... وإن كنت أعتقد أنه اعتاد على هذا.

أفترش مازن سريره استعداداً للنوم إلا أنه اعتدل بعد سماع طرقات على الباب:

- ادخل.

قالها مازن ليدخل زياد لغرفته:

- كنت أخشى أن أجذك نائماً.

- لا لم أتم بعد. رَبُّ كَلِمَةٍ اشْعَلَتْ حُلُمًا

جلس زياد على كرسي مكتب مازن قائلاً:

- هل أنت سعيد بالسيارة حقاً؟.

- بالتأكيد... لا تقلق... لم يؤثر كلام زهرة في اقتناعي بها.

ابتسم زياد قائلاً:

# العودة

- بخصوص كلام زهرة بشأن ياسمين... ما الذي كانت تعنيه؟!

اعتدل مازن قائلاً:

- في الحقيقة لا أعلم.... وليس لدي أي فكرة.

رفع زياد إحدى حاجبيه:

- متأكد.

قالها بطريقة لم تعجب مازن فمال للأمام:

- ماذا تعني أنت الآخر؟!

ضحك زياد وقام متجهاً إليه:

- اهدأ..أنا فقط أفكر معك بصوتٍ عالٍ.

زفر مازن مضيئاً:

- أنا لم أعد أفهم زهرة.... فسر لي أنت ماذا كانت تقصد؟.

جلس زياد أمامه قائلاً:

- هل تشعر بشيء تجاه ياسمين؟!

ضحك مازن مندهشاً:

- ماذا أصابك؟!... سألتني هذا من قبل وقلت لا.

- وهي..هل تشعر أنها محتمة بك؟!

- وكيف لي أن أعلم...لم ألتق بها كثيراً...

# المودة

مط زياد شفثيه قائلًا:

- حسناً... ربما الأيام القادمة ستجيبنا على هذا السؤال.

- أنا لن أسمح لنفسي بالشعور بشيء تجاهها.

- ولم؟! انها فتاة ممتازة.

- بالتأكيد... ولكنها ليست فتاتي.

عقد زياد حاجبيه:

- ماذا يعني هذا؟!

عاد لافتراض سيره قائلًا:

- يعني أنها ليست فتاتي.. ويعني أيضاً.. أننا يجب أن ننام كي نستيقظ باكراً لاستخراج

رخصة القيادة والذهاب للعمل.

- أنت تطردني.. حسناً كما تشاء.. عمت مساءً.

- عمت مساءً.

رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا

تتابع الأيام ولم يعد مازن يضيق من شيء بل بدا له وكأن كل حياته تبدلت تناسى كل

ماضيه وأجبر نفسه على ذلك ، أصبح سعيداً بأمه وأخيه وزياد ، حتى زهرة قرر أن

يتقبلها بكل عيوبها ، شيء واحد من ماضيه لم يستطع أن ينساه ..... سلمى....

شرد على مكتبه يفكر فيها .... يفكر في آخر ما سمعه منها....

# العودة

"... اهرب .. اهرب .. لا تقف هكذا..."

...لو هربت لن أعد...

..هذا أفضل من أن تضيق إلى الأبد...

...سامحيني...لم أكن أقصد...

...سأظل أحبك دائماً..

...وأنا أيضاً سلمى...سأظل أحبك دائماً..."

تهنئ بجراره مردداً:

- نعم...سلمى...سأظل أحبك دائماً... أعدك... هذا أقل ما أستطيع أن أقدمه لك بعد أن تسببت لك في كل هذا الألم.

ظهرت أمامه صورة ياسمين التي لم يرها لفترة وتذكر كلام زهرة:

- ترى ماذا كانت تقصد بكلامها؟؟...هل تشعر ياسمين نحوي بشيء أم زهرة تتخيل أنني أنا من أشعر نحوها بشيء؟.

هز رأسه ليتوقف عن التفكير دخل مكتبه ياسر قائلاً:

- هل اتصلت بالسيد شاكراً؟!

عقد حاجبيه:

- السيد شاكراً!!!

# العودة

- نعم... ماذا أصابك؟.... ألم تخبرني أنك ستنتصل به ليرى موقع العمل؟.

ضرب رأسه قائلاً:

- أه صحيح...نعم..لقد اتصلت به.

- ما الذي يشغلك هكذا؟!

- لا شيء..لا شيء..

هز كتفيه وأراد الجلوس فتعالى رنين هاتفه الخليوي فأجاب:

- السلام عليكم... نعم ياسمين.

وجد مازن نفسه يعتدل مستمعاً لحواره.

- لا ياسمين أنت قلتي أنك ستتولي هذا الأمر... أيجب أن تذهبي لزهرة الآن...حسناً..حسناً... سأتولاه أنا.

ضحك ياسر قائلاً:

- نعم أنتِ مدينه لي بالكثير.... إلى اللقاء عزيزتي.

أغلق الهاتف ثم قال:

- لا يمكنك الاعتماد على الفتيات كثيراً.

ابتسم مازن قائلاً:

- ليس دائماً.

ضحك ياسر جالساً فقال مازن:

# العودة

- لم تستطع ياسمين أن تُأثر في زهرة لتكون مثلها؟!

عقد ياسر حاجبيه قائلاً:

- ماذا تقصد؟؟

- أعني.. انها تبدوان مختلفتان... سواء في الملبس أو طريقة الحديث.. أو حتى الاهتمامات... لا أعرفها جيداً لكن هذا ما أشعر به.

- امممم... فهمت... زهرة وياسمين كانتا متشابهتان كثيراً... على الأقل في مظهرهما.

- حقاً... من كانت تشبه من؟!

- ياسمين كانت ترتدي مثلما ترتدي زهرة حالياً.

- لم أتوقع ذلك.

- اختي التزمت بالحجاب منذ عام واحد.

- لم تفعل زهرة المثل؟!

صمت ياسر قليلاً ثم قال:

- لأن زهرة لم يصبها ما أصاب ياسمين.

عقد مازن حاجبيه:

- وما هذا الذي أصابها؟!

نظر له ياسر بحزن ولم يجب فأردف مازن:

- أسف.. لا أقصد التطفل.



# المودة

ابتسم في حزن:

- لا بأس، الأمر ليس سراً.... لقد كانت مرتبطة بأمي كثيراً... وفقدتها دون سابق انذار....  
انهارت ياسمين كثيراً، أكثر من الجلوس وحدها والحديث مع الله... ثم استوعبت أن أي  
عمل صالح أو دعاء يمكن أن تقوله قد ينفع أمنا كثيراً... فقررت أن تفعل كل ما يرضي الله  
قدر المستطاع لترفع درجة أُمي في الجنة وتدعو بأن يعيذها الله من العذاب... خاصة أنها  
خشيت أن تعذب بسبب عدم التزامها كابنتها بالدين وأن الله قد يسألها لم تحسن تربيتها  
دينيًا.. ومنذ ذلك الحين وهي ترتدي الحجاب وتتعلم الكثير من أمور الدين وقد حاولت  
كثيراً مع زهرة.... ولكن.... إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء.

- صحيح.

دخل زياد صائحاً:

- مازن هل أعطيتك أي تصميات هذا الصباح؟!

وقف مازن قائلاً:

- لا لم تفعل؟!

- يا إلهي هذا يعني أنني نسيتها في البيت... والعميل هنا... ياسر هل يمكنك أن تبقى معه  
حتى أحضر التصميات؟!

أوماً ياسر برأسه:

- بالتأكيد.

أسرع مازن:

# العودة

- لا داعي أن تتركه.... سأذهب لأحضرها أنا... فقط قل لي أين هي؟

- سيكون هذا أفضل.... إنها على مكثبي... لا يوجد غيرها.

- حسناً سأذهب فوراً.

أسرع مازن لسيارته وانطلق بها محدثاً نفسه:

-... ترى هل وصلت ياسمين للبيت؟!... أتمنى أن أفهم ماذا كانت تقصد زهرة؟... علي أن

ألاحظ تصرفات ياسمين جيداً لعلني أفهم.. لقد تملكني الفضول تجاه تلك الفتاة.

وصل للمنزل واتسعت ابتسامته عندما رأى سيارة ياسمين تقبع أمام الباب قفز من سيارته

ليقف أمام سيارتها قليلاً، ثم عقد حاجبيه محدثاً نفسه:

"مازن ماذا أصابك؟!... هل ستتطارد الفتاة أم ماذا؟.. ألا تخشى أن تنسى سلمى"

هز رأسه مردداً:

- لا مستحيل.. لن أنساها أبداً.. سأحضر التصميمات وأغادر في الحال.

واتجه للباب فوجده ليس مغلق، دلف للداخل ليرى ياسمين تقف مولية ظهرها للباب

تحدث لفريد الذي ابتسم له:

- سيد مازن ما هذه المفاجأة؟!

ابتسم له مازن قائلاً:

- أشكرك....

## العودة

تسمرت ياسمين ولم تستدر حتى لتنظر لها بينما تركها فريد عائداً للمطبخ، ولم يقف مازن أيضاً أسرع للمكتب ليحمل التصميمات وبينما يخرج لاحت منه التفاته لها ليجده تنظر له بظرف عينيها فابتسم بهدوء قائلاً:

- كيف حالك أنسة ياسمين!؟

- أأ... بخير... اشكرك؟

وقف يتطلع لها محتفظاً بابتسامته مما أربكها أكثر:

" لا تنظري له ياسمين... ابتعدي قبل أن تفضحي نفسك."

قالتها لنفسها ونفذت ما تريده فأسرعت تعدو من أمامه إلى غرفه زهرة التي كانت تراقبها من أعلى حتى أنها مرت من جانبها بسرعة دون أن تعلق بشيء فعقدت زهرة حاجبها وهو تحديق بمازن الذي مازال مبتسماً لكن ابتسامته اختفت عندما قرأ في عيني زهرة الكثير من الضيق والغضب، فأشاح بوجهه بعيداً ليلتفت مغادراً، أسرع زهرة لتلحق بياسمين فدخلت غرفتها لتجدها تقف عند النافذه ثم شعرت بجسد ياسمين ينتفض وهي تنظر للشارع فاقتربت لترها تتابع مازن الذي ركب سيارته البيضاء وقادها عائداً للعمل، مدت يدها لتضعها على كتف ياسمين التي انتفضت ملتفتة لها فقالت زهرة:

- ماذا أصابك ياسمين... ماذا أصابك!؟

حدقت ياسمين في وجهها للحظات ثم جلست على طرف الفراش قائلة:

- لا أعلم.... لا أعلم ما أصابني.... لكن اعذريني... أنا لا أستطيع أن أزورك مرة أخرى...

يكفي ما أشعر به.... سنلتقي في النادي أو في منزلي.

- كل هذا من أجل مازن.

# العودة

نظرت لها في حرج ثم أشاحت بوجهها بعيداً فأردفت زهرة:

- لا أصدق.... مازن ياسمين...مازن.... مستحيل.... إنه لا يليق بك أبداً.

عادت تنظر لها في دهشه:

- ماذا تقصدين؟!!

صمتت زهرة قليلاً ثم قالت:

- أقصد.. إنه ليس بالنوع المفضل لك...فهو ليس متدين بالمرّة... إنه حتى لا يصلي.

- حقاً.

- نعم.

- لم لا تساعدونه إذا؟!!

- لأنه لا فائده فيه.

- زهرة أنتِ تكرهينه.. ومن الظلم أن أسمع رأيك فيه...لأنه بالتأكيد لن يكن إيجابياً.

- عزيزتي أنا أعلم عنه كل شيء... أما أنتِ فلا.

- أرى أنه مهذب.

لوح زهرة بيديها قائلة في عصبية:

- مهذب.... هل هناك شخص يسرق ويقتل ويقضي عمره بين المجرمين ويكون مهذب.

شهقت ياسمين وهو تحديق بها:

- ما!... ماذا؟!...ماذا قلت؟!!

# المودة

تسمرت زهرة للحظة لكنها لم تستطع التوقف:

- ما كان يجب أن أقول ذلك... فلا أحد يعلم بهذا الأمر سوانا ..العائلة.... حتى ماهر لم يعرف إلا منذ عدة أيام، مازن لم يكن مسافر كما أوهمنا الجميع، مازن عندما كان فتي لم يصل للمراهقه بعد سرق سيارة وقادها بتهور وتسبب في قتل رجل عجوز ونتيجة لذلك حكم عليه بالبقاء برعاية الأحداث لمدة عام، خرج بعدها ولم يعد لنا بل فضل أن يبقى مع رفاق السوء وفجأه بعد تسع سنوات عاد ونحن لا نعرف لم عاد... ولا ما يخفي .... أعلم أنني صدمتك..ولكنك رفيقتي وكما حميتني من حبٍ وهمي أردت أن أحميك.

شعرت ياسمين برأسها يدور وبقلبها يهوي بينما أردفت زهرة:

- هو وسيم.... لكن داخله...لا أعتقد أنه يحوي أي جمال.

- كفى.

قالتها ياسمين بصوت محطم، جاهدت لتقف على قدميها :

- يجب أن أغادر الآن.

- ياسمين ..ساحيني.... هو لا يعني لي الكثير..ولكنك تعنين لي كل شيء.

لم تُرد ياسمين أن تنظر لها كي لا ترى عبارتها التي بدت في مقلتيها، لكنها تحركت ببطء إلى الباب وعندما أرادت زهرة أن تتبعها قالت:

- لا تفعلي... أنا أعرف طريقي... ولا داعي أن يعرف أحد أننا تناولنا هذا الموضوع.

بقت زهره مكانها- حتى غادرت ياسمين- وشيء ما داخلها:

## العودة

"... يا القسوتك... لم فعلتي ذلك... أنت تعلمين أن مازن ليس بسيء... اعترفي... أنتِ كرهتي أن تكون رفيقتك في حاله حب مع مازن... وأنتِ لا."

هزت رأسها بعنف:

- لا... هذا ليس صحيح... أنا لست كذلك.

"... أنتِ من يستحق المساعدة وليس ياسمين... ولا مازن... السواد الذي يملأ قلبك يجب أن يعالج."

عقدت حاجبها في ضيق مردهه:

- لقد فعلت الصواب... نعم فعلت الصواب.

لم تدر ياسمين كيف كانت تقود سيارتها وقد أغرقت الدموع وجهها:

- .... لماذا تبكي أيتها الغبية... لماذا تبكي!!؟

أوقفت سيارتها لتمسح دموعها، التي لم تتوقع هطولها بهذا الشكل؟.. ولا تستوعب حتى لم تبك بهذه الطريقة؟... ما الفرق الذي يصنعه معرفة ذلك عن مازن؟... هل تعلقت به فعلاً؟!... ولكن هل هي بتلك السطحية حقاً.. لتتعلق به لوسامته فحسب.. لا الامر ليس كذلك، أخيها يذكره بخير الكلام وكذلك زياد وماهر.. بل موقفه معها ومساعدتها في تنفيذ مشروعها... معقول أن يكن كل هذا فعل شخص مجرم كما تدعي زهرة... الآن فقط فهمت الكثير من الغموض الذي أحاط ظهوره بينهم...

وضعت كفها على صدرها مردهه:

## العودة

- لم أشعر وكأن قلبي تمزق... أو سقط في هوة عميقة... أنا من فعل هذا بنفسني... اغفر لي يا رب.

دخلت بيتها ومازلت عبراتها أنهاراً ووجدت أبيها أمامها ينظر لها ذاهلاً فألقت نفسها بين ذراعيه باكية أخذ يربت عليها:

- ياسمين حبيتي...ماذا حدث؟!... ماذا أصابك!؟!

لم تقل شيء..بل ظلت دموعها هي الشيء الوحيد الذي تخرجه من داخلها فعاد أبيها يسألها ويلح في سؤاله، تمنّت أن تخبره لكنها لم تستطع فآكثفت أن قالت:

- أفتقدها يا أبي...أفتقدتها كثيراً.

- من يا بنيتي.

- أمي..أمي.

قالتها وقد زاد بكائها، بينما شعر أبوها بمرارة شديده في حلقه:

- كلنا نفتقدها عزيزتي... ولكن هل قصرت معك في شيء... أعلم أنني لن أعوضك إياها...أرجوك توقفي عن البكاء فهذا يمزق قلبي.

رفعت رأسها إليه:

- أنت لم تقصر في أي شيء يا أبي..وأنا لا أعني هذا مطلقاً... فمنذ أن فارقتنا..وأنت لنا كل شيء... الأب والأم.....سامحني.

- فيما البكاء إذأ؟

# العودة

هزت رأسها:

- لا عليك أبي..لا عليك..هل تسمح لي أن ادخل لأنام... فرأسي يؤلمني.
- حسناً سأتركك.... على أن تحدثني بعد ذلك.
- إن شاء الله..... يا أبي..... إن شاء الله.

بقيت زهرة في حجرتها إلى المساء تأنب نفسها أحيانا وتدافع عنها أحيانا أخرى، حتى سمعت صوت محرك سيارة مازن تقف عند الباب لتجد مازن يقفز منها داخلاً المنزل بينما زياد في سيارته يتحدث في الهاتف، رأت مازن يدخل المنزل فأسرعت الخطى للردهة، حتى وقفت أعلى درجات السلم ناظرة لمازن الذي رمقها بنظرة سريعة وأراد الصعود لحجرته وصعد إلى أن مر جانبها فقالت:

- انتظر.

توقف مكانه وقد أصبح ظهره لها فالتفت إليه لكنه لم يفعل فحدقت في ظهره فقال:

- ماذا تريدي زهرة؟!... أنت لا تتحدثين إلي منذ مدة.... فماذا حدث؟!!

- أردت أن أخبرك فقط أن تتوقف عن هذا الوهم الذي تعيش فيه.

رسم على وجهه ابتسامة سخرية لم يتسن لها رؤيتها قائلاً:

- وهم.... أي وهم هذا؟!!

- ياسمين.

اختفت ابتسامته عاقداً حاجبيه ومردداً:



# العودة

- ياسمين!!... ماذا تقصدين بهذا!؟

- أقصد أنني لن أسمح لك أبداً أن تسبب لرفيقتي هذه أي ألم... هي بالنسبة لي الكثير أما أنت فلا شيء.

- أشكرك.... وعلى كل حال أنا لم أتعرض لها بإذى.... فهي أفضل من عرفت من الفتيات في هذا المنزل.

عضت على شفيتها عندما علمت أنه يقصدها بهذا فعقدت حاجبها في غضب قائلة:

- توقف عن اظهار نفسك ملاك.... فهي عرفت حقيقتك.

عقد حاجبيه بشده ولم يعلق فأردفت:

- أخبرتها عنك كل شيء.... كل شيء.... علمت حقيقة هذا الوجه الملائكي الذي يظهر أمامها دائماً.... علمت حقيقة هذا السارق القاتل الصغير...الذي فضل العيش في الشوارع والطرقات عن البقاء مع أسرة رعته أفضل رعاية...وبدلاً من أن يرد لهم الجميل ابتعد عنهم سنوات طويلة ليبقى مع مجرمين أمثاله....

استمرت في كلماتها الجارحة التي صمت لها مازن وشعر بقلبه يخفق بقوة شديده واشتعل الغضب داخله حتى أنه أصبح يتنفس بصعوبة فلم يشعر إلا وهو يدور على عقبيه ليصفع وجهها بقوة رطمت رأسها في حاجر الدرج صارخه بقوة:

- أيها الوحش..أيها السافل.... كيف تجرؤ وتضربني؟

## العودة

خرجت الام من حجرتها عند سماع صراخ ابنتها وتطلعت لأعلى وقبل أن تستوعب ما يحدث أراد مازن أن يرفع يده ليضرب زهرة مرة أخرى لكن يده تعلقت في الهواء إثر سماع صوت زياد:

- مازن..ماذا تفعل؟!.... هل جنت؟!!

أسقط يده جانبه والتفت ناظراً لزياد الذي عاد خطوة للوراء فللحظة تصور أنه لا يرى وجه مازن الذي يعرفه بل كان وجه غطاءه سواد الغضب وعينان اشتعلتا كجمرتان. عاد مازن ينظر لزهرة التي شعرت بقلها يسقط بين قدميها وإذا بها تلمم نفسها مرددة:

- لا تضربني ثانية..لا تضربني.

عقد مازن حاجبيه وشعر وكأنه يفيق من غيبوبة ما وهو يسمع ما تردده فأولاها ظهره في بطء شديد متجهاً إلى غرفته ظل الكل يحدق به للحظات ثم انتفضت زهرة من مكانها وهبطت الدرج بسرعة وأسرعت لأمها وهي تبكي:

- رأيتي أمي...لقد ضربني...وحتى رأسي اصطدم بجازر السلم....هذا مؤلم كثيراً...لم يضربني أحد من قبل...لم أضرب في حياتي أبداً أمي.... هذا المجرم....ها هو ظهر على حقيقته...أريتما حقيقة هذا الملاك الذي أردتاني أن أحسن إليه.... ها هو يتصورني إحدى فتيات الشارع الذي جاء منه....

صاح بها زياد:

- كفى يا زهرة.

حدقت به زهرة وأمها تربت عليها لتهدئها:

## العودة

- ماذا؟!.. أنا من ضرب... أنا من أهين.... أنت أخي الأكبر وأنت مطالب برد حقي لي...  
أنا لا أريده أن يعيش معنا... خذه بعيداً عنا... قبل أن يقتل أحداً منا.

- ماذا قلت له ليغضب بهذا الشكل!؟

- أنا لا أصدق ما أسمع... أهذا كل ما يهملك.... أي شيء هذا أقوله ليسمح لنفسه أن  
يضرني!؟

- أنا أسألك!!!...

- وأنا لن أجب.... اذهب إليه واسمع منه.. فأنت لم تعد تستمع لأحد سواه... يا أخي الكبير.

قالتها وعادت تنخرط في بكاء حار في صدر أمها التي ضمتها لها بقوة ناظرة إلى زياد بعتاب  
وغضب.

أشاح بوجهه ثم صعد لـحجرة مازن :

- مازن.. هل تسمح لي بالدخول؟

لم يتلق رد فطرق الباب عدة مرات، ثم قال:

- سأدخل يا مازن.

وبالفعل دخل له ليجده جالساً على طرف فراشه موالياً ظهره للباب فاقترب منه وأراد أن  
يضع يده على كتفه لكن مازن انتفض فعقد حاجبيه:

- ماذا أصابك!؟

لم يجب مازن فوقف زياد أمامه ثم سحب كرسي المكتب ليجلس قائلاً:

- ماذا حدث يا مازن... ماذا قالت لك زهرة لتفعل بها هذا؟

# المودة

ظل الصمت هو إجابته الوحيدة:

- مازن... يجب أن تتكلم معي.... أنت لم تركيف كان وجهك... لو رأيته لفرعت من نفسك... مازن تكلم ماذا حدث؟... لقد ضربت أختي.... وكدت أن تفعلها ثانية لولا أن أوقفتك.

ولكن مازن ظل صامتاً، حدق به زياد قليلاً ثم عقد حاجبيه في غضب قائلاً:

- هكذا..لا تريد أن تتكلم.... حسناً.

وقف زياد قائلاً في حزم:

- احزم حقائبك.... سأخذك لشقتي الخاصة وستبقى فيها.... إلى أن تهدأ الامور.

لم ينتظر أي رد فعل بل لم يكن يتوقع فاتجه للباب مردفاً:

- أمامك ١٥ دقيقة.. أظنها تكفي.

جلس زياد في الردهة في انتظار مازن والذي لم يستغرق المدة التي حددها له بل تبعه بعد عشر دقائق حاملاً حقيبة صغيرة وقف زياد متجهاً للخارج وخلفه مازن في صمت ، ظهر ماهر أمامها فجأه قائلاً:

- زياد...مازن إلى أين أتما ذاهبان؟

أطرق مازن برأسه دون أن يجب بينما تطلع له زياد قائلاً:

- سنذهب لشقتي الخاصة.

عقد ماهر حاجبيه بعد أن لاحظ الحقيبة التي يحملها أخوه فقال:

# العودة

- ماذا يجري هنا؟!... وما هذه الحقيبة التي تحملها مازن؟

لم يجب مازن فقال زياد:

- خلاف بينه وبين زهرة.. رأينا أنه من الأفضل أن يفترقا قليلاً.

- الخلاف بينهما قائم منذ أن عاد مازن.. ما الجديد؟!!

زفر زياد:

- لا جديد يا ماهر.... لا جديد.

أراد زياد أن يتحرك لسيارة مازن فلم يعترضه ماهر لكنه اعترض مازن قائلاً له:

- مازن.... الأمر يمكن علاجه... لا داعي أن تباعد.... ألم نتفق على ألا نفترق ثانية؟.

نظر له مازن بحزن ورسم على وجهه ابتسامة باهته وربت على كتف أخاه تارك إياه وركب

سيارته التي جلس أمام عجلة قيادتها زياد وانطلق بها فور استقرار مازن داخلها ، مما ضايق

ماهر فالتفت دالفاً إلى المنزل فلم يجد أحد في الردهة فاتجه لغرفة أمه ليجد زهرة معها وهي

مازالت تبكي وسمع أمه تقول:

- كفي عن ذلك زهرة.... إلى متى البكاء؟!!

فقال :

- ولم هي تبكي؟!!

التفتت له فقالت زهرة :

- رأيت ما فعله بي أخوك.

# العودة

لاحظ ماهر بقعة حمراء على جبهتها فقال في دهشة:

- ما هذا؟ ماذا أصابك؟!

قالت الأم بسرعة:

- لا شيء..أثناء خلافهما ارتطمت رأسها.

- ماذا يا أمي؟.... ارتطمت رأسي وحدها...إلى متى ستعاملون ماهر كطفل؟!

زفرت الأم:

- زهرة بالله عليكِ توقفي.

- ماذا حدث يا أمي أريد أن أعرف؟!

قالها ماهر في ضيق فقالت زهرة في عصبية:

- إنه أخاك...لقد صفعني بقوة...بل لطم وجهي فارتطمت رأسي بعنف.... كان ممكن أن

أصاب في رأسي.

قال في دهشة:

- مازن ضربك.... هل فعل هذا يا أمي؟!

- أكاذبة أنا!!!

صاحت زهرة ، فقال ماهر:

- أمي.

أومأت الأم برأسها إيجاباً، فهز ماهر رأسه:

# العودة

- مستحيل..لم فعل ذلك!؟

قالت:

- لا أحد يعلم... سوى زهرة وهو.

فنظر لزهرة فوقفت :

- لا تسألني أنا لا أريد أن أتحدث في الأمر.

ثم أسرعت مغادرة الغرفة.

أوقف زياد السيارة أمام المبنى السكني وخرج منها وكذلك مازن الذي حمل حقيبته فقفذ له زياد بمفاتيح السيارة وكذلك مفاتيح الشقة:

- لكل شخص قدرة تحمل مازن.... وأنا أشعر أن قدرتي على التحمل قاربت على الإنهاء....أتفهم!؟

ظل ينظر له دون تعليق فهز زياد رأسه مستطرداً:

- أرجوا أن تفكر قليلاً فيما قلت.

التفت مازن دالفاً إلى المبنى وما أن دخل الشقة حتى ألقى الحقيبة التي يحملها وكذلك ألقى جسده على الأريكة مستلقياً عليها ، كان يحرق في السقف بوجهٍ واجم ثم أغلق عينيه بعنف عندما بدأ هذا المشهد يظهر أمامه المشهد الذي تمنى طويلاً أن يمحي من حياته، بل أن تمحي حياته نفسها. ولكن هيات فالمشهد ليس أمام عينيه بل هو يتكون داخل عقله وهو

# العودة

ما نسميه بالذاكرة التي يملكها كل انسان وهي التي تعيد له الكثير مما يحبه أو يمقته...  
وتهافت الاصوات لتملاً رأسه....

"راه يضرب سلمى، وهو لم يكن يحتمل أن يترك أحد ليضرب سلمى.. ولكن هذا الحقير  
يضربها بقوة... ويبدو أنه لن يتوقف....

.... فصرخ به .... توقف ستقتلها أيها الحقير..... وشعر بجسده يشتعل.... أسرع يكبله من  
الخلف ويدفعه عن سلمى وانهاال عليه ضربا وركلا بقوة وعنف شديدين ودون أن يشعر  
وجه ركلات بقوة لوجهه مما فجر الدم ليملاًه كله ...  
...فصرخت سلمى.... يا إلهي ستقتله..توقف...

...لم يشعر مازن أنه سمعها فاستمر في الركل والضرب حتى كبله أحداً من الخلف  
صائحاً....ماذا تفعل أيها التعس.... أتريد أن تصبح قاتلاً.

كان محدثه قوي البنية فاستطاع أن يرفع مازن من فوق الجسد الذي سكن تماماً فأردف  
قائلاً...يا إلهي إنه لا يتحرك....لا يتحرك...

أفاق مازن على صياح.... هل قتلته؟...هل قتلته أيها الأحمق؟....  
...بيننا صاحت سلمى.... أهرب...أهرب...ولا تعد إلى هنا أبداً..."

اعتدل مازن على الاريقة وقد أحاط رأسه بكفاه وهو يبكي:



## العودة

- يا الهي..يا الهي.... هل كنت سأفعل المثل مع زهرة.... هل تحولت لألة قتل عند الغضب!؟

أسقط نفسه أرضاً واضعاً وجهه على الأرض:

- لم لا أموت... لم لا أموت.... لم لا أريح الجميع.

رفع رأسه وهو يمسخ دموعه عن وجهه عاقداً حاجبيه:

- لن تموت بالكلام... أنت قاتل.... والقاتل يُقتل.... أفعلا بيدك... أفعلا بنفسك قبل أن تفعلها بأحدٍ منهم.

وقف متجهاً إلى المطبخ، وفي رأسه فكرة واحدة فقط.

ظل زياد مستنداً على سيارة مازن أمام مبنى شقته كان يحدق في لا شيء:

- لم يا مازن لا تريد أن تفتح قلبك؟..ماذا يجب أن أفعل لثيق بي.... ياالهي لا يمكن أن أنسى هذا الوجه الذي رأيته...لم يكن وجه شخص عادي...بل وجه شخص يمكنه أن يدمر كل ما حوله دون أن يشعر... لن يمكنني أن أحتمل أكثر من ذلك..يجب أن أفهم...سأجبرك على أن تتكلم يا مازن سأجبرك.

أخذ نفساً عميقاً وعاد أدراجه ليصعد لثيقته فتح الباب دون أن يطرقة وما أن دخل للثيقه حتى شهق فزعاً وصاح:

- ماذا تفعل أيها التعس!!؟

## العودة

أسرع ناحية مازن ليلقي من يديه سكين صغير قد وضعه على رسغه، نظر له مازن بعينين زائغتين، فهزه زياد بعنف:

- هل جنت...هل جنت...تريد أن تقتل نفسك،....تريد أن تموت كافراً، ألا أعني لك أي شيء...ألا يعني ما أفعله لك أي شيء؟! أتقي الله في.

دفعه بعيداً مردداً:

- اتقي الله في.

نظر له بعينين مليئة بالدموع:

- بل أنت تعني لي الكثير...وحياتي لن تزيدك إلا هما...لو هربت مرة أخرى ستبحث عني وتفكر في اليوم الذي أعود فيه، الحل هو موتي...فبالموت ستعرفون دائماً مكاني ولن تنتظروا عودتي...أريد أن أرتاح واريحكم.

- اصمت..اصمت...

جذبه من ذراعه وأجلسه على الارض:

- مازن..لن أصبر أكثر من ذلك..لن أستطيع الأستمرار في مساعدتك وأنا أجهل كل ماضيك..أريد أن أعرف والآن..كل ما حدث لك طوال غيابك عنا...أتفهم كل شيء؟!ولن أقبل منك أي صمت أو هروب من جديد...كلي أذان صاغيه.

جلس أمامه محققاً فيه ، نظر له مازن قليلاً فأردف قائلاً:

- لا تحاول..لن أرحل هذه المرة إلا إذا عرفت كل شيء...كل شيء مازن.

زاد صمت مازن ، لكن زياد ظل يتطلع إليه في إصرار فبدا الأستسلام على مازن:

## العودة

- حسناً... سأخبرك بكل شيء... لعلني أرتاح بعد أن أشارك أحد كل همومي ومخاوفي...  
ولكن أرجوا أن تحتمل كل ما تسمع ولا تندم على مشاركتك إياه.

قال في اقتضاب:

- إني أسمع.

أخذ مازن نفساً عميقاً ليعود بذاكرته للوراء متذكراً أهم ما أصابه طوال عشر سنوات.

" قبل أن أخرج من رعاية الأحداث كنت قررت ألا أعود إليكم وقد شجعني على هذا القرار اثنان ممن تعرفت عليهم في رعاية الأحداث بينما ثالثهم كان يحثني على العوده.

- مازن.. اذا عدت إليهم لن تجدهم كما تركتهم، ستظل في نظرهم المجرم الصغير... لن تعامل بطريقه عادلة مع من حولك.

- شوقي على حق... استمع لنا.. لا تعد إليهم... تعال إلينا... سنخرج قبلك ولكننا سنخبرك أين تجدنا إذا فكرت في الهجاء إلينا.

نظر لهما مفكراً فيما يقوله، إلى أن قال بنديق:

- أنا لست معهم... عد لأهلك يا مازن.. أنت من عائلة ميسورة الحال... مهما أساءوا لك لن يكون كالعيش في الشارع، شوقي وطويل عاشا هذا الحياة منذ البداية أما أنت فلا... لن تقدر، لن يكن الامر سهلاً.

عقد شوقي حاجبيه:

## العودة

- اصمت أنت..أي شارع هذا الذي سنعيش فيه..نحن لدينا مكان نعيش فيه ..وسنذهب إليه...يرعانا فيه الزعيم... أنا واثق أنه سيعجب بك... وستكون قريباً منه سريعاً.

حدثني شوقي كثيراً عن الزعيم..وكذلك طويل...أنا وبنديق فقط من لم نكن نعرف عنه شيء، كان يبدو لي الحاكم بأمره...ويعمل لديه من يسمون بأطفال الشوارع وفي المقابل يقدم لهم المسكن والملبس والمشرب، لكنهم لم يحدثونا أبداً عن نوع هذا العمل..فقط يقولون نساعد في أعماله فهي كثيرة.

وفعلاً لحقت بهم بعد خروجي دون تردد، ذهبت إلى الزعيم، كان رجلاً في العقد الأربعين من عمره يحمل وجهه الكثير من ملامح القسوة والشدة، تهابه من النظرة الأولى.

- يا زعيم..ها هو مازن الذي حدثتك عنه، كنت واثق أنه سيلحق بنا...جاء ليكون تحت رعايتك.

قالها شوقي وهو يقدمني له، نسيت أن أخبرك أن شوقي كان يكبرني بعامين..مثلك..أما بنديق فقد كان يصغرنى بعام واحد.

تفحصني الزعيم قليلاً ثم ابتسم مرحباً:

- أهلاً بك معنا...تبدو من عائلة محترمة فعلاً...أحب التعامل مع هذا النوع من الشباب.

## العودة

لا أعلم لما أسعدني أنه قال عني شاب، وأنه لن يعاملني كطفل. تعرفت على معظم الفتيان والشباب الذين كانوا هناك... تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثلاثون... وإن كان صغار السن أكثر، لم أفهم في البداية ماذا يفعلون بالضبط، فلقد شاركت بندق واثنان آخران غرفتهم، فلقد كان الزعيم يملك منزل كبير في أحد الأحياء المعزولة وفي كل غرفة يوجد ما بين ٣ إلى ٥ أفراد حسب حجم الغرفة... المهم..مرت عدة أيام وأنا لا أغادر غرفتي تقريباً إلا بعد إلحاح من شوقي أو بندق...وفي يوم طلبني الزعيم وكانت المرة الأولى التي أراها فيها...رأيت أنها في سن زهرة تقريباً...كانت جميلة جداً..وكانت المرة الأولى التي أرى فيها فتاة منذ دخلت هذا المنزل.

ابتسم الزعيم وهو يراني أتطلع لها:

- إرفع عينيك عن ابنتي.

نظرت له مندهشاً.... ابنته!!... لكنها لا تشبهه إطلاقاً...هل هي حقاً ابنته...فقد كانت تحمل ملامح شبه أوربيه.

يبدو أنه فطن لحديثي لنفسي حيث قال:

- أعلم أنها لا تشبهني...في الحقيقة هي تشبه أمها...فلقد كانت يونانية..رحمها الله..ماتت بعد ولادتها ب ٣ أعوام فقط...ومنذ ذلك الحين وأنا اتولى رعايتها...والآن قل لي لم تجلس نفسك طوال الوقت ألا تريد أن تندمج معنا!؟

- لا شيء...أنا فقط أتأقلم على المكان.

- وكيف ستتأقلم وأنت لا تخرج من غرفتك أبداً، يجب أن ينتهي هذا فأنت ستبدأ في العمل معنا..وطبعاً في البداية ستراقب فقط..للتعلم ثم تعمل مثل زملائك.

# المودة

- أراقب ..أراقب ماذا!؟

- ستعرف كل شيء...بداية ستغير اسمك...فنحن لا نستخدم الاسماء الحقيقية هنا...وبالنظر لك ولطبيعتك..أرى أن اسم هادي مناسب تماماً لك.

قلبت شففتاي ..فلا اسم لم يعجبني ، فضحك الزعيم:

- ستعتاد عليه مع الوقت.

ثم صاح منادياً:

- عبده..عبده...ستتولى أمر هادي منذ الان...سيعمل معكم...دعه يخرج معكم للمراقبة فقط...حتى يتعلم...ثم بعد ذلك جربه.

- حاضر زعيم..هيا بنا.

أشار لي فتبعته وأنا لا أفهم...ماذا سنعمل بالضبط!؟..ذهب بي إلى غرفته وكان فيها ٣ آخرين ولكن ما أثار دهشتي هو ما كانوا يرتدونه...فلقد كانت ثياب غاليه الثمن..بل وبعلاوات تجارية عالمية أيضاً، وشرع عبده في ارتداء ثيابه هو الاخر وأخرج لي أنا أيضاً قائلاً:

- هيا ارتد هذا وهندم شعرك...لا أعتقد أن الامر صعب عليك..فأنت من هذه الطبقة على كل حال...فقط كن ما أنت عليه.

## العودة

قالها ضاحكاً وكذلك رفاقه. خرجنا بعد أن استعد الجميع كانوا يتحدثون بكلام عادي عما يحدث لهم يوماً وأنا كنت استمع فقط. أوقفوا سيارة أجرة طالبين منه التوجه لأحد أكبر الاسواق التجارية الحديثة وبالفعل دخلنا إلى المبنى الضخم. كنت اتبعهم دون أن أسأل أين سنذهب، ثم توقفوا ناظرين إلى أحد محال الساعات في نهاية الممر وكان به بعض الزبائن وأكثر من بائع، ثم قال عبده:

- سيغادر البائعون بعد ربع ساعة لتناول الغداء، وسيبقى صاحب المحل وحده، فمن جشعه لا يريد اغلاق محله ولو لنصف ساعة..وسيدفع الثمن غالياً.

قالها مبتسماً وكذلك رفاقه، نظرت لهم مندهشاً فقال أحدهم:

- ستفهم الان.

ظلوا يراقبون حتى غادر البائعون بالفعل ولم يبق سوى صاحب المحل، فتحركوا ناحية المحل وطلبوا مني اللحاق بهم على أن أبقى خارجاً وكأني أشاهد ماعرض من ساعات في الخارج، وأن أراقب ما يفعلون دون أن ينتبه أحد لذلك، دخلوا المحل وتبعتهم ووقفت خارجاً.

رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا

ضحك أحدهم وهو يقول لصاحب المحل:

- هذا عريس جديد..نريد له أفضل ساعة عندك على أن يكون لها نسخه نسائيه لترتديها العروس يوم الزفاف، وولا تهتم بالسعر المهم أن تكون أفضل علامة تجارية.

ابتسم الرجل وقد برقت عيناه:

# العودة

- بالتأكد...هل تفكر في علامة معينة!؟

قال عبده:

- ربما رادو.. أو ..بالمان.

زادت ابتسامة الرجل:

- أنت محظوظ حقاً..فلقد وصلاني بالأمس مجموعة ساعات رائعه من بالمان وهي زوجية منها للرجال ومنها للنساء ستعجبك جداً...لكنها في الداخل سأحضرها حالاً، وما أن دخل صاحب المحل حتى أسرع أحدهم للبعض الساعات الذهبية والماسية التي تقدر بعشرات الألاف وترقد في هدوء في ركن من أركان المحل وحمل بعضها وقذف بها في الحقيبة وعاد مكانه سريعاً وهو يشير لإحدى الساعات:

- هذا النوع من الساعات رائع ..ما رأيك أن أشتري أنا أيضاً واحدة.

عاد صاحب المحل ليسمع آخر كلمتين فابتسم:

- ذوقك رفيع حقاً فهي ساعات راقية...تفضل هذه المجموعة التي حدثتك عنها.

أبدوا اعجابهم بها وبالفعل قاموا باختيار ساعتين وأخبرهم أنها تقدر ب ٦ الاف جنية، أخرجوا له المال فعلاً وأعطوه إياه وقال عبده:

- أرجوا أن تعدها سريعاً...فوراءنا الكثير لنشتريه.

حاول الرجل أن يعدها بأسرع ما يمكن وما أن انتهى حتى أضاف:



# المودة

- مضبوط صحيح يجب أن نذهب.

بدا أنه غير متأكد، فقال عبده:

- سندخل في المحل الذي يليك عدوم مرة أخرى وتعالى إلينا إذا وجدت شيئاً ناقص...هيا بنا.

مروا بجانبى وكأنهم لا يعرفونى فابتعدت أنا أيضا ووقفت أراقب من بعيد، فوجدتهم قد دخلوا المحل الذي يليه فعلاً وظل صاحب المحل يحصي المال مرة أخرى...وفوجئت به يسرع خارجاً وكأنه يبحث عن شيء ما لكنه يأس فدخل المحل الذي يليه فأسرت خلفه فوجدته ينادى على عبده:

- يا أستاذ...هناك خطأ ما النقود ناقصة.

قال عبده مندهشاً:

- حقاً..كم؟!!

- مائتين جنيه.

- أسف جدا أسف...تفضل.

أخرج من جيبه المائتان وأعطاه إياها وكرر اعتذاره، ابتسم الرجل وأسرع عائداً للمحل وهنا أسرعوا جميعاً خارج المحل وأشاروا لي وكانوا يسرون بسرعة حتى خرجنا فأوقفوا سيارة أجرة وانطلقنا عائدين... طبعاً لم يتكلموا فيما حدث بل ظلوا يثرثرون في أشياء عادية، وكل ما أفكر فيه أنا:

# العودة

- هل هذه طريقتهم في السرقة أم ماذا؟ هل هذا هو عملهم الذي يتحدثون عنه؟

عدنا لمنزل الزعيم، فأسرع عبده إليه ليسلمه الغنيمة هكذا أسأهاها:

- هذه غنيمتنا لهذا اليوم يا زعيم....مجموعة ساعات تقدر بعشرات الآلاف.

ابتسم الزعيم وهو يتأمل الساعات وقال:

- كيف سارت الخطة؟

- كما علمتنا بالضبط.... اغريناه بما سندفعه واخذنا ما نريد ودفعنا المال ولكن أنقصنا منه مائتان فأسرع خلفنا تاركاً المحل وحده ليأخذ المائتان، وسيعود ليكتشف السرقة...وسيظل يضرب نفسه...متمنياً لو أنه ترك المائتان ولم يترك المحل.

قلت سريعاً:

- وماذا لو شك فيكم أتم..وأن الامر كله خطة.

نظروا لي قليلاً فقال عبده:

- لقد دفعنا له ٦ آلاف جنيه... حتى لو شك بنا لن يستطع العثور علينا ابداً..والشرطه ستلومه لأنه هو من ترك المحل وحده....والقانون لا يحمي المغفلين.

لم أجد شيء أقوله فعدت إلى غرفتي ولم أخرج منها لبقية اليوم وبقيت أحدث نفسي:

"هل هذا هو مستقبلي هنا...هل هذا ما أراده أي لي؟!...ماذا فعلت بنفسك يا مازن...ماذا فعلت بنفسك؟!..."

# العودة

سأتحول إلى محتال وسارق... لا... لا... لا... يجب أن أغادر هذا المكان..."

وقررت بيني وبين نفسي أن أعود إليكم مهما كانت النتائج وقبل أن يحل المساء دخل علي شوقي:

- لقد علمت أنك لم تغادر غرفتك منذ أن عدت... ماذا هناك؟!

نظرت له في غضب:

- لماذا لم تخبرني أن عملكم هو السرقة والاحتيال؟!!

- وما الفارق الذي سيصنعه هذا؟!

صحت به:

- ما الفارق؟!! هل هذا هو العمل الذي تريدني أن أعمله لبقية حياتي... مستحيل أنا لن أكون سارقاً؟!

- نحن لا نسرق... إنما نأخذ حقنا الذي منعونا إياه؟!

- ماذا...؟ عما تتحدث؟!

- أتحدث عن أمثال هؤلاء..الذين كنا إذا اقتربنا منهم بملابسنا الرثة طالبين منهم ولو جنية واحد يغلقون زجاج سياراتهم الفارهة ويشيحون بوجوههم بعيداً عنا وكأننا نحمل الطاعون على وجوهنا، وقد تناسوا أن لنا ولو حق يسير في ما لهم الكثير. وبما إنهم رفضوا إعطائنا إياه قررنا أن نأخذه رغماً عنهم.

## العودة

- هذا هو الكلام الذي يخدعكم به زعميكم... إنه يستغلكم ليس إلا... يستخدمكم.

- ربما ما تقوله صحيح.. ولكنه على الاقل يقدم لنا أساسيات الحياة... فلم نعد ننام في العراء أو في أقسام الشرطة ونأكل وقتما نريد ونشتري ما نريد، كما أنه يقدم للكثير من أولاد الشوارع ما يريدون حتى دون أن يعملوا معنا.

- يالكرم.... إنه رجل شهيم.

ابتسم شوقي:

- أعلم أنك تسخر... ولكن لا يهم... هذا ما اعتدنا عليه وءامنا به؟! سنأخذ حقنا منهم برضاهم أو دونه...

رأيت في وجهه كل حقد وكره الدنيا وهو يقول:

- سأنتقم من كل من حرمننا.. فهذه الطبقة البرجوازية اللعينة... تدين لنا بالكثير لن أنسى معاملتهم لي أبداً.

قالها بكل حقد حتى أن نظرت عينيه أخافتني، ولكني تماسكت:

- لكني لست بجاهه لكي أنتقم منهم.... لن أسرق أحد.

نظر لي قليلاً ثم قال:

- نحن لا نسرق فقراء... نحن نسرق ممن ينفقون على ملذاتهم الشخصية ضعف ما ينفقه موظف بسيط على أسرته طوال حياته... أي أننا لا نقتلهم من الجوع كما فعلوا هم بنا... بل نحن أكثر رحمة بهم مما هم علينا، فلا تقلق... لن يصيبهم مكروه.

# العودة

قلت في عند:

- قل ما تشاء هذا لن يقنعني.... ماذا لو أجبرتوني يوماً على سرقت أهلي.

رفع إحدى حاجبيه:

- لو كانوا ممن يسيئون لنا... فهم يستحقون ما نفعله بهم.

- ما هذا الكلام الفارغ؟... اسمعني جيداً شوقي... لقد أخذت قراري... لن أبقى هنا بعد الآن.... سأغادر.

ابتسم قائلاً:

- تغادر؟!... إلى أين؟! إلى أصحاب الطبقة البرجوازية... لقد تصورت أن بقائك معنا عام في رعاية الأحداث سيجعلك تشعر بنا... ولكن يبدو أنك مثلهم.... لا تشعرين إلا بأنفسكم... ولا تهتمون إلا لأمركم.

- أنا لن أكون سارقاً.

اقترب مني فجأة:

- اسمعني أنت جيداً... أنت لا تعرف زعيمنا... لقد أصبحت منا شئت أم أبيت... فالأفضل لك أن تبقى برضاك..والا...

لم يكمل ولكنه فعلاً أشعرتني بالخوف، تركني ليفتح باب الغرفة قائلاً:

- عودتك لهم لن تسعدهم كما تتصور... ولن تسعدك أنت أيضاً.

## العودة

وفجأة تناهي إلى مسامعي صوت صراخ أستطعت تميزه بسهولة فصحت وأن أعدو باتجاه الصوت وخلفي شوقي:

- بندق...ماذا يحدث له!؟

- أعتقد إنه سيعاقب.

لم أفهم ماذا يقصد وما أن وصلت لساحة المنزل حتى رأيته وقد كبله اثنان من الشباب في سارية في منتصف ردهة المنزل فأسرعت نحوه:

- بندق..ما هذا الذي تفعلونه...لم تقيدوه؟

- ابتعد.

جاء الصوت من خلفي فالتفت فزعاً فرأيت الزعيم، فقلت:

- ماذا يحدث هنا؟!... ماذا ستفعلون به!؟

جرني شوقي بعيداً:

- ابتعد وإلا ستعاقب مثله.

رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا

وقفت أراقب ما يحدث وكان بندق يرتعد خوفاً وبدأ يتوسل للزعيم:

- سامحني..أرجوك..أعدك أن هذا لن يتكرر.

فمال ناحيته وقد أحمر وجهه غضباً:



## العودة

لم يسمح له بالمزيد فقد باغته بالسوط على ظهره وانهال عليه ضرباً، وبندق يصرخ بقوة..كان الجميع يراقب..ولا أحد يتحرك لم أتحمل وجدت نفسي أسرع لأقف بينهما :

- أرجوك كفى ..لا تضربه.

فنظر لي بغضب شديد ودون سابق انذار رفع السوط وضربني ضربة ألقت بي أرضاً وشعرت بنار تلهب ذراعي الذي أدمى سريعاً بهذه الضربة وسمعتة:

- هذه الضربة ستذكرك ألا تقف بيني وبين سارية عقابي.

كان الألم فظيع انهمرت الدموع من عيني وأنا أحرق به مذهولاً، فعاد يكمل ضرب بندق حتى سمعت صوتها:

- أبي أبي...ارجوك لقد عوقب أتركه من أجلي.

التفت لأجد الفتاة التي قال أنها ابنته تقف في الاعلى تنظر...والذي لفت نظري أنها كانت تبكي أيضاً، وفوجئت به يتوقف فعلاً ناظراً لها:

- ألم أخبرك مسبقاً ألا تخرجي عندما أعاقب أحد؟!...عودي لغرفتك.

- أبي ...أرجوك...سأعود فقط دعه.

نظر لها قليلاً:

- حسناً...حرروه...وداوا جرحه...حسناً سلمى عودي الآن.

وعادت لغرفتها فعلاً وحرروا بندق فأخذه شوقي وساعدني على النهوض أنا أيضاً وعاد بنا للغرفة وطلب من أحدهم أن يداوي جرح بندق بينما داوى هو جرحي "



تطلع زياد لمازن الذي كانت الدموع تهمر من عينيه وقد صمت عن الكلام، فقال:

- هل خشيت أن تعاقب برغبتك في العودة فبقيت!؟

مسح عينيه قائلاً:

- أعتقد ذلك... لقد خشيت أن أكون أنا التالي... ولكني أيضاً شعرت بالاسى على بندق... فقد كنت أعتبر نفسي مسئولا عنه منذ أن عرفته، ولا تسألني لماذا... وبالفعل قررت البقاء... وبقيت... أصبحت منهم... سرقت معهم... احتالت على الناس معهم... وبمرور الوقت... علمت أن هذا ليس النشاط الوحيد لهم... الأمر أشبه بمنظمة... كل مجموعة مسئولة عن نشاط ما... فلقد كان شوقي وآخرين يعملون على سرقة السيارات والتصرف فيها.. وهناك أيضاً من يعملون على سرقة المنازل الفخمة، ولكن كانت هناك مجموعات أخرى لم نكن نعلم نشاطها بالضبط وكانوا جميعاً في أعلى المراحل العمرية بيننا.. وعندما كنت أسأل شوقي عنهم يقول أنه هو أيضاً لا يعلم نشاطهم بالضبط وأن الزعيم يرفض الحديث عنهم مع أحد عملاً بمبدأ لا يحق لك أن تعرف أكثر مما تحتاج... وبقيت أن وبندق وآخرين نعمل على النصب والاحتيال.... وهذا ما كنت أفعله خلال السنوات الماضية... عرفت الان لما لم أرد أن أحكي لكم عنها شيئاً.

صمت زياد قليلاً ثم قال:

- يا الهي .. لا أصدق ما أسمع... هل يوجد مثل هذه الأمور عندنا فعلاً... تبدو وكأنك تتحدث عن منظمة إجرامية وليست عصابة عادية... وهل حقاً قضيت المدة السابقة في السرقة والاحتيال!؟... كيف استطعت أن تفعل ذلك... كيف؟

# العودة

عض مازن على شفتيه:

- أنت لم ترى ما رأيت؟!... لم تضرب بالسياط من قبل...لم تشعر بأنه لم يعد مكان لك على هذة الارض..ولا تسألني لم لم تعد؟!.. فكلام شوقي..وحديث نفسي كان دائماً ضد هذا.... ولم يكن هذا فقط سبب بقائي...فلقد ارتبطت هناك بأمر آخر.

- ما هو؟!!

- سلمى..

- ابنته؟!!

صمت مازن قليلاً:

- نعم..ابنته...لا أعلم لم اختارتي.... فلقد كان الجميع يتمنى فقط أن تنظر له أو تتحدث معه...ولم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منها...فهي ابنة الزعيم...وهو يعاملها معاملة خاصة جداً...بل أحياناً إذا أراد أحد شيء فيكفي أن يجعلها تتوسط للزعيم ليناله، كنت ألاحظ مراقبتها لي من حين لآخر...لكن أول حديث بيننا كان بعد ٦ أشهر من انضمامي لهم .... شعرت براحة غريبة وأنا أتحدث معها ..تكرر حديثنا بعدها حتى أصبح شبه يومي .... وتأكدت أنها أصبحت تعني لي الكثير.... أحببتها فعلاً...أصبحت البسمة الوحيدة في حياتي والنور الذي يشع لي ما تبقى من أمل في المستقبل وربما شعوري هذا هو أحد أسباب توقفي عن التفكير في العودة أو الابتعاد عن المكان، حتى بعد أن مرت سنوات ..أذكر أنها طلبت مني أن نهرب معاً...فلم تكن تحب ما يفعله أباه وأرادت أن نبدأ معاً حياة جديدة..ولكني حينها كنت فقدت كل ثقته حتى في نفسي ولم أستطع أن أوافق على طلبها حتى إنها غضبت مني وقاطعتني لعدة أيام.

- وسمح لك أبوها أن تتقرب منها.

## العودة

- بالطبع لا... فلم يكن أحد يعلم بأمرنا سوى بندق وشوقي وعبير صديقة سلمى...  
والمفترض أنها صديقة شوقي... فلقد كانت تحبه كثيراً بينما لم أشعر من شوقي بأي شيء  
نحوها.. كان يتسلى بها فقط... المهم أن الامر بقي بيننا.

- حسناً... وما الذي تغير؟!... لما تركتهم وعدت لنا؟!!

ارتبك مازن وفتح شففيه لكنه أطبقها دون رد، فقال زياد:

- مازن... قلت لن أتركك حتى أفهم كل شيء.

هز مازن رأسه:

- ألا يكفي ما عرفت؟... لقد تعبت.

اعتدل زياد:

- وأنا أيضاً تعبت... تعبت من عدم الفهم.... أكمل.... لا أعتقد أن الباقي أطول مما سبق.

ابتلع مازن ريقه ثم أطلق زفرة حارة:

- حسناً.. حسناً.

" كانت الامور تسير بشكل طبيعي.. على الأقل بالنسبة للاجواء هناك، حتى حدث ما لم  
أتوقعه، التقيت بسلمى في المكان المعتاد ولكنها لم تكن طبيعة كانت تبكي فسألتها:

- ماذا حدث؟! لم تبكين؟!!

- أبي... أبي... يريد أن يزوجني.

- ماذا قلتي؟!... يريد تزوجيك.... مستحيل... هذا مستحيل.

## العودة

- نعم.. نعم... هو حتى لا يريد أن يعرف رأيي.. أنه فقط يخبرني أنني سأتزوج فقط.

شعرت بصدمة لم أعرف فيما أفكر ولا ماذا أفعل، حدثت بوجهي:

- لم أنت صامت هكذا تكلم؟!... ماذا سنفعل!؟

نظرت لها بعينين زائغتين:

- لا أعلم.... ماذا سنفعل؟

- ماذا؟!.. هل هذا كل ما تستطيع قوله.... عليك أن تفكر معي.. وحتى أن لم تفعل....

سأدافع عن حقي وحدي.

أرادت أن تبتعد فأمسكت بها:

- انتظري... ماذا تقصدين؟!... إنه لن يرحمك... فهو لا يقبل أن يعترضه

أحد... سيضربك... سيؤلمك.

- لا يهم... لن أتزوج إلا بك... فهل أنت معي أم ستتركني وحدي.

- بالتأكيد معك حبيبتي... ولو كان الثمن حياتي... لن أتنازل عنك.

نظرت لي بعينين دامعتين:

- وأنا أيضاً... لن أتزوج غيرك... لا أتخيل نفسي مع شخص آخر.

- لن تكوني لشخص آخر... أنتي زهرتي البيضاء... لن يركبك سواي.... ولن يسقيك

سواي.

## العودة

كم تمنيت حينها أن أضمها لصدري وبقوة...كم تمنيت أن أخفيها عن العالم....هي لي أنا فقط، ولكن إلى أين أذهب بها..لا أريدها أن تتعذب معي..لهذا قررت مواجهة الزعيم، معتمداً على حبه لها وأنه ربما عندما يجدها متمسكة بي يرضخ لرغبتها ولذلك عدنا للمنزل ووجدناه يجلس في الردهة يتحدث مع بعض الفتيان فاقتربنا منه فلمحنا لكنه أكمل حديثه مع الفتيان حتى انتهى ثم التفت لنا:

- ماذا هناك!؟

ابتلعت ريقى وقبل أن أتكلم قالت سلمى:

- هناك أمر هام نريد أن نحدثك به.

- ما هو؟

التفتت لي فنظرت للزعيم قائلاً:

- في الحقيقة...أنا وسلمى...كنا...أقصد.

لم أستطع النطق فقالت:

- أنا وهادي نريد أن نتزوج.

ظل يحدق في وجهنا للحظات ثم انفجر ضاحكاً ثم قال:

- ماذا قلتي؟!... لقد اضحكيني حقاً.

تماسكت قليلاً قائلاً:

- ما المضحك فيما قالت يا زعيم؟..أنا أحب ابنتك سلمى وأريد أن أتزوجها حقاً.

اشار لي بيده:

# العودة

- أنت تريد أن تتزوج ابنتي ... أنت... يبدو أنك لا تعرف من هي ابنتي.  
وقف واتجه ناحيتي:

- ابنتي لن تتزوج منكم ابداً.... ابنتي ستتزوج بمن يستحقها.  
- لكنني لن اتزوج إلا هادي.

نظر لها وقد بدأ وجهه يشتاظ غضباً:

- كيف ومتى حدث ذلك؟!... كيبيبيبيف؟!

صرخ بكلمته الاخيرة في وجهي، عدت خطوة للوراء وقد تسرب الخوف إلي فعلاً فقلت:

- يا زعيم أعدك أن أحسن معاملتها... لن تندم.

- اصمت أيها الاحمق... قلت ابنتي لن تتزوج منكم قط.

- ولكنني قلت أنني لن أ....

قطع كلماتها صفعه قوية نزل بها على وجهها، ألقت بها أرضاً، فنظرت له مذهولاً إنها المرة

الاولى التي أراه يضربها فيها فأسرعت إليها قائلاً:

- أرجوك يا زعيم لا تضربها... هل لم تفعل شيء؟!

أمسك بياقة قميصي وجذبني إليه:

- أنا لم أنتهي منك بعد.... كيف تجرؤ وتتقرب لابنتي وأنت تعلم أن هذا محظور عليكم

جميعاً.... كنت تعلم أنني لن أرض بهذا ومع ذلك فعلته.... وستدفع الثمن غالياً.

# العودة

فهمت ما يقصد طبعاً فاتسعت عيناى فزعاً، وصاحت سلمى:

- لا يا أبى أرجوك... لا تؤذيه... أرجوك.

صاح بأعلى صوته:

- شااهين.... عاادل.. تعالا إلى هنا.

جاء فعلاً فأردف:

- قيده بالسارية.

لم يفهما لم لكنهما لا يسألان أبداً لم.... فهذه وظيفتهما... السارية... سارية العقاب.

صمت مازن وقد أغلق عيناه متذكراً الألم الذي سببته هذه الضربات، شعر زياد بالأسى من أجله فقال:

- أكانت المرة الاولى منذ أن بقيت معهم؟

ابتسم في تهكم:

- المرة الاولى.... بالتأكيد لا... بل عُقت عليها كثيراً.... هذه السارية كانت العدو النفسي للجميع... الكل كان يخشاها... والكل ذاق عقابها.

مسح بيده على جسده قائلاً:

- لقد رأى ماهر آثار الضرب على جسدي، فلم استطع أن أعطيه تفسير منطقي.

- لم يخبرني بذلك.

# العودة

- طلبت منه ألا يفعل.

- لقد كنت تعذب إذاً.

- كلنا كنا نعذب لم أكن الوحيد.

هز زياد رأسه في حزن وهو يتطلع له، فأخذ مازن نفساً عميقاً ليكمل:

" ضرباته كانت عنيفة جداً أكثر من أي مرة مضت، كنت أسمع صراخ سلمى وتوسلاتها له بالتوقف، لكنني فقدت الوعي... علمت بعد ذلك أن شوقي هو من أوقف الزعيم عندما حذره من أن أموت.

أفقت لأجد نفسي في غرفة ضيقة ومظلمة إلا من مصباح صغير جداً يضيئها قليلاً، فهمت سريعاً أنه تم حبسي فيها وأنتي ممنوع من الخروج والشخص الوحيد المسموح له بالدخول إليّ كان شوقي وعلمت منه أيضاً أن سلمى حبيسة غرفتها هي الأخرى وأنها تتعرض للضرب بسبب اصرارها على رفض الزواج، مرت عدة أيام وأنا في هذه الغرفة وشوقي هو فقط الذي يرعاني فيها وفي يوم تمكنت سلمى من الخروج والتسلل لغرفتي فوجدتها أمامي لترتمي بين ذراعي:

- حبيبي.... كيف حالك الان؟! هل أنت بخير؟

لم أصدق أنها هنا:

- سلمى .... حبيبتي...كيف استطعتي الوصول إلى هنا؟!!

جلست أمامي:



# العودة

- لا تقلق... لقد تسلفت من غرفتي... وقد علمت من شوقي أنك هنا، هل أنت بخير؟!

ابتسمت قائلاً:

- مادمت أراك.. فأنا في أفضل حال.

ابتسمت بدورها، لكنني لاحظت تورم حول عينيها فلمستها بأناملتي:

- ما هذا يا سلمى؟!

- لا عليك... هذا لا شيء بجانب ما تعرضت إليه أنت.

شعرت بالعجز أمام قوتها:

- سامحيني حبيبتي... لم أستطع مساعدتك... لن يهدأ أبوك حتى يزوجك بمن يريد.

- وأنا لن أبق حتى يفعل.

- ماذا تقصدين؟!

- سنهرب... هذا هو الحل الوحيد... يجب أن نهرب.

نظرت لها قليلاً:

- ولكن.. ولكن.. الزعيم لن يسمح بهذا.

- نتحدث وكأننا سنأخذ رأيه.. اسمعني يا هادي... هل تريد أن نعيش معاً أم لا؟!

- ما هذا السؤال؟!.. هل تشكين في حبي لك؟!.. لم أنا في هذه الغرفة إذا كنت لا أريد

ذلك؟!

- إذا سرحل من هنا... عبير وبنديق وشوقي سيساعدونا.

# المودة

- حقاً.

- نعم... سنرحل لمحافظة أخرى وسنغير شكلنا... سأغير لون شعري وعيناي وأنت كذلك... سنبدأ حياة جديدة معاً..حياة نظيفة تمنيتها طوال حياتي هنا...حياة ستكون أجمل مادمننا معاً.

- حسناً .... فلن فعل.

ابتسمت من جديد:

- رائع... أنا أو شوقي سنعود لك بالتفاصيل.

أحتضنت كفها في يدي:

- حسناً سأنتظرك.

منحتني نظرة حانية قائلة:

- يجب أن أغادر قبل أن يشعر بغيابي.

أوقفها قائلاً:

- توقفي عن معارضته كي يتوقف عن ضربك.

- حسناً سأفعل.

همت بالخروج من الغرفة لكن فور أن فتحت بابها إرتدت للوراء ورأيت الزعيم يقف أمام الباب وقد اشتاط غضباً فقلت فرعاً:

- الزعيم.

# العودة

دخل إلى الغرفة بينما تتراجع سلمى للوراء:

- ستهربين يا سلمى.. بهذه البساطة... ستتركيني... ستتركيني لتهربي مع هذا الحقير الذي لا يملك إلا ما أعطيه إياه بينما ترفضين الرجل الذي اخترته لك وهو يملك الملايين ولن يجعلك بحاجة لأحد.

توقفت سلمى عن التراجع:

- لا أريد... أخبرتك أنني لن أتزوج بمن تريد... أنت من أجبرني على هذه الفكرة... اقبل بهادي وسأبقى.

صرخ في وجهها:

- هادي...هااادي... ماذا فعل بك هذا الوغد لتتمسكي به هكذا؟!!

ثم التفت إلي بعينان يملاءهما الشر:

- ليت شوقي لم يأتي بك... أفسدت علي ابنتي.

عاد ينظر لها:

- لا يا سلمى... لن تتزوجي إلا بمن أريد... لقد حميتك من كل شيء لمثل هذا اليوم... لم أشركك في أيأ من أعمالي كي لا تخجلي من ماضيك أبداً... أردت أن أحافظ على براءتك كي لات...

- كفى.

صاحت به لتقاطعها:

## العودة

- أنت لم تفعل كل هذا من أجلي... بل من أجلك أنت .. من أجل أن تبيعي لمن يدفع أكثر... من أجل المال فحسب.... كل ما تفعله بحياتك من أجل المال فحسب.... لن تخدعني كما خدعتهم.... حولتهم إلى لصوص... واقنعتهم أنهم كروبن هود هذا الزمان... يسرقون من الاغنياء ليعطوا للفقراء... بينما أنت من تأخذ كل شيء وتلقي لهم الفتات... لقد سأمتك وسأمت هذه الحياة التي تجبرنا جميعاً على عيشها.

ظل يحدق بوجهها ثم قال:

- أهكذا تريني؟!... وكل هذا ظهر فجأة... أم فقط من أجل هذا..

قالها وهو يشير إلي، ثم اتجه نحوي:

- حسناً... سأريحك يا سلمى... سأريحك وأقتله.

قالها وأطبق على عنقي بقوة، فزعت وأنا أحاول التملص منه ولكن دون جدوى بينما صرخت سلمى وأسرعت تجذب ذراعه لكنها لم تفجح في تحريكه مطلقاً، فأخذت تصرخ:

- لا أرجوك.. لا!!!... سأفعل كل ما تريد... سأزوج بمن تريد.

لكنني شعرت أن الجنون قد أصابه فلم يكن يسمعها حاولت أن أنطق أنا ولكنني كنت أحارب كي ألتقط أنفاسي التي كانت تضيق أكثر فأكثر حتى شعرت بدوارٍ في رأسي ولكنه افلتنني فجأة وهو يصرخ:

- آآآآ.

فأريت سلمى تمسك بقطعة خشب قديمة وقد تلوثت بدماء رأسه بعد أن ضربته بها فالتفت إليها مذهولاً:

- تريدن قتلي.. لتدافعي عنه... كيف تجرؤين!؟

## العودة

التقطت أنفاسي بسرعة بينما اتجه نحوها وأمسك بالقطعة الخشبية وألقاها بعيداً ثم انهال عليها ضرباً كالمجنون شعرت أنه سيقتلها فلم أتمالك نفسي أسرع نحوه وركلته بقوة حتى سقط أرضاً وظللت أركله في كل مكان في جسده ورأسه واركل... واركل..."

أسرع زياد إليه ليضم جسده الذي ينتفض في عنف وهو يردد:

- واركل.. واركل..

- اهدأ.. اهدأ.

قالها زياد، فسكت مازن لكنه ظل ينتفض وعيناه مليئة بالدموع، ظل زياد يضمه إليه حتى شعر أنه هدأ تماماً لكنه سرعان ما أكمل:

- لم أشعر بنفسي وأنا أستمري في ركله... ولكنني أفقت عندما كبطني شوقي وهو يبعدني عنه، ورأيتنه يتفحص الزعيم الذي سكن تماماً.

نظر مازن لزياد قائلاً:

- لقد كنت أدافع عن حياتي وحياتها... أنا لست بقاتل... هذا كان دفاعاً عن النفس...

أليس كذلك؟!... دفاعاً عن النفس.

لم يعرف زياد بماذا يجيبه لكنه أغلق عينيه مطلقاً زفرة حارة:

- لقد مات اذا!!..

- لا أعلم... لقد هربت في لحظتها بعد أن صرخت سلمى في أن أهرب... ووجدتها تعود

لأيها مردده أي... أبي، وكذلك شوقي كان ينادي عليه ولكنني ابتعدت ولم أعرف هل

## العودة

مات فعلاً أم لا.... وبقيت أدور في الشوارع يومين كاملين... قبل أن أصل إلى المنزل في اليوم الذي رأيتني فيه.

حرق زياد في لا شيء بعد أن توقف مازن عن الكلام فنظر له مازن ومازالت الدموع تملأ وجهه:

- لم أنت صامت؟! لم لا تقول شيئاً؟!... هذا هو الماضي الذي أردت أن أمحيه من ذاكرتي ولكنك أصرت على معرفته... هل أنت سعيد الآن؟.

وضع زياد رأسه بين كفيه:

- لماذا يا مازن؟!... لماذا عذبت نفسك وعذبتنا معك؟!... وكل هذا للشيء... حرمت نفسك منا وحرمتنا منك... بدون سبب واحد... حولت نفسك إلى سارق.. بل وق...

قطع كلمته الأخيرة بعد أن نظر لوجه مازن قائلاً:

- لقد كذبت علي إذاً.... أخبرتني أن لا شيء من هذا الماضي قد يؤذينا... لقد كنت تكذب.

خفض مازن ناظره:

- ماذا كان يمكنني أن أقول؟... لا تقلق لن أجعل شيء من هذا الماضي يمسمك بسوء.

- مازن هل أنت أحمق؟... هل تتصور أن دخولك للسجن مرة أخرى أو تعرضك لأي ضررٍ كان لن يعين لنا شيئاً.

لم يعلق مازن الذي اشتد حزنه فصمت زياد قليلاً ثم قال:

# العودة

- ألم تلتقي بأحد منهم بعدها... ألم تعرف هل هذا الرجل حياً أم ميتاً؟!

هز رأسه نافياً:

- لم ألتقي بأحد منهم... كنت فقط أتابع الجرائد وأخبار الحوادث لعلني أجد شيء لكنني لم أعر على أي خبر عنه.

صمت زياد مفكراً:

- إذاً هو احتمال من اثنين... إما أنه مات فعلاً.. فدفنوه ولم يسأل أحد عنه ، أو أنه مازال حياً.

اتسعت عين مازن وهو يفكر في الاحتمال الثاني:

- الاحتمال الثاني هو الاسوء بالنسبة لي... فلو كان حياً... فهو حتماً سيبحث عني وسيسعى للانتقام مني... أنا متأكد.

وقف زياد قائلاً:

- يكفي ما سمعت... لدي شعور أن ماضيك هذا لن يتركنا وشأننا.. ولكن ما الذي يمكننا أن نفعله..... اسمع لا تأتي للعمل غداً.. ولتبقى ليومين... سأخبرهم أنك مريض.

التفت ليغادر لكنه توقف قائلاً:

- وإياك أن تكرر محاولتك السخيفة التي أردت القيام بها.

غادر بالفعل وترك مازن وحده مع بكائه وحزنه.

وصل زياد للمنزل فأسرع اليه ماهر:

# العودة

- هل حقاً قام مازن بضرب زهرة؟!

نظر له زياد قليلاً ثم قال:

- هل أخبرتك بهذه السرعة؟!

- لم فعل ذلك؟!

- لا أعلم.

- لا تعلم.... كنت معه طوال هذه المدة وتعود لتقول لا أعلم.

صمت زياد ثم اتجه للدرج ليصعد لغرفته فأوقفه ماهر:

- سأحدث أنا إليه إذاً.

- لا تفعل، في كل الاحوال هو لن يجب على هاتفه... اصعد لغرفتك الان يا ماهر...  
اتركه قليلاً... حتى تهدأ الامور.

قالها وصعد لغرفته بينما ظل ماهر في الردهة يفكر في أخيه مردداً:

- إلى متى ستعاملوني كطفل.. أريد أن أفهم.

رُبَّ كَلِمَةٍ اشْعَلَتْ حُلُمًا

دخل زياد لغرفته ليجلس على طرف فراشه، وهو يفكر في كل ما سمعه من مازن:

- يا الهي...هل يمكن أن يضيع مازن منا مرة أخرى...لكن هذه المرة ستكون للأبد.... ماذا  
يمكنني أن أفعل؟

نهض متجهاً إلى النافذة، ناظراً للسماء:



## العودة

- ساعدني يا رب... أريد أن أحافظ على هذه الأسرة... لا أريدها أن تمزق مرة أخرى... هذه المرة ستكون القاضية... ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني يا أبي... هل أبلغ الشرطة؟!

هز رأسه رافضاً الفكرة:

- ولكن هذا قد يعرض مازن للسجن... ربما من الأفضل أن أترك الأمر للقدر.

أطلق زفرة حارة صاحبتها دموع ساخنة من عينيه:

- ساعدني يا رب... ساعدني.

\*\*\*\*\*

جلس ياسر على مائدة العشاء مع أبيه فنظر لغرفة ياسمين:

- أين ياسمين؟!.. أئن تتناول العشاء؟!

- لا أعتقد ذلك... لقد عادت بأكيه اليوم.

اعتدل ياسر:

- ماذا.. بأكيه!! لماذا؟!

زفر أبوه قائلاً:

- لا أعلم.. لكنها قالت أنها تفتقد... أمها.

قال كلمته الاخيرة بصعوبة لشعوره بغصة في حلقه، شعر به ياسر فقال:

- لعلها رأت شيئاً اليوم ذكرها بأبي.. لا عليك يا أبي.

# العودة

- لا أعتقد ذلك... شعرت بأنها تريد أن تتكلم لكن ليس معي مع أمها.

- ماذا تقصد؟!

- أنا أعرف ابنتي... هناك شيء ما يؤرقها... تمنى أن تتحدث به مع أمها وليس معي..أو حتى معك.

- ربما... لكني لا أفهم بالضبط ما تقصد... سأذهب إليها.

طرق باب غرفتها برفق حتى سمع الاذن بالدخول:

- ياسميناتي العزيزة كيف حالك؟!

- أنا بخير.

قالتها بصوت هادي تماماً وحزين، فاقترب منها أخوها ليجس على طرف فراشها التي كانت مستلقية عليه ممسكه بالمصحف تقرأ فيه وقال:

- هل ستخفين على أخيك الوحيد... هيا تكلمي لما كنت تبكين؟!

- ألم يخبرك أبي؟!

- أخبرني... لكنه غير مقتنع... يشعر أن هناك سبب آخر.

- سبب آخر!!

- نعم... يقول أنك ربما تفتقدين أمانا لان لأن هناك شيء تمنيتي لو تحكيه لها لتساعدك.

حدقت به في صمت:

"...يا لذكاءك يا أبي..."

# المودة

- ياسمين... هل هذا صحيح؟.

صمتت قليلا ثم قالت:

- ربما... نعم تمنيت أن تكون هنا.. لأتحدث معها.

- هل نحن لا نستطيع أن نسمعك؟.

هزت رأسها:

- لا.. لا ... الامر فقط... أنه... أقصد...

زفرت ولم تكمل فقال ياسر:

- هل الامر معقد لهذه الدرجة؟.

- لا... أنا بخير.. لا تقلقا علي... لا تقلقا أبداً.

تأملها ياسر قليلاً:

- حسناً... نحن نتق بك دائماً وبتق في قراراتك... لو غيرتي رأيك وأردتي أن تتحدثي...

تعرفين عنوان غرفتي.

ضحكت ضحكة قصيرة:

- نعم.. أعلمها طبعاً.

وقف قائلاً:

- قومي إذا لتناول العشاء معنا.

- أنا لست جائعه صدفتي... كما أنني تناولت شيء منذ قليل... كُلا اتما.

# العودة

- حسناً كما تريدین.. المهم في الصباح أريد أن أرى ابتسامتك المعهودة.  
- بالتأكد.

تركها وغادر الغرفة، فعاتت تقرأ في مصحفها لكن صوت رنين هاتفها الخلوي تصاعد بجانبها  
فأمسكت به وظلت تنظر لاسم الطالب وأخيراً قررت أن تجيب:

- السلام عليكم

- .. وعليك السلام... ياسمين كيف حالك!؟!

- بخير... الحمد لله.

- سامحيني... أرجوك.. لا أعلم لم تحدث معك بهذه الطريقة.

- لا عليك زهرة... لا عليك... أنت لست مدينه لي أنا بالاعتذار.. بل لمازن لقد فضحتيه  
بدون داعي.

سمعت صوت بكاءها يتعالى فاعتدلت قائلة:

- لم البكاء يا زهرة... لم تبكين!؟!

قالت وهي تبكي:

- لم أعد أفهم نفسي... لا أعلم لم أفعل كل هذا... المفترض أن أكون سعيدة بعودة مازن مثل  
الجميع، لم استفزه طوال الوقت... لم أريد أن أراه حزين طوال الوقت.. لم... لم...!!؟!

- اهديني يا زهرة... من الجيد أنك بدأت تشعري أنك تسيء له، ويمكن أن يعود كل شيء  
لطبيعته... فقط أريه زهرة الطيبة التي أعرفها.

انتحبت قليلاً ثم قالت:

## العودة

- لا أحد يعلم في هذا المنزل كم بكيت عندما فارقتنا... عندما ذهب لرعاية الأحداث، وفي اليوم الذي كان من المفترض فيه أن يعود لم يعد... لا أعلم لم شعرت أنني السبب... وكنت أقول لنفسي... لعله هرب مني.. كي لا أضايقه كما أفعل وأظل أذكره بهذا المكان الذي حبس فيه عنا... شعرت أنه لا يريد أن يراني... وبكيت.. وبكيت ... ليالي طويلة لا أذكر عددها... حتى تعبت من البكاء ... وها هو عاد الان... ومع ذلك فعلت ما شعرت أنه سبب هروبه ... أضايقه طوال الوقت ... رغم أنني.. منذ صغري.. كنت....

قطعت كلماتها وظلت ياسمين منتظرة أن تكمل لكنها قالت:

- لا بأس ياسمين... يكفي... لقد ضايقتك كثيراً... يجب أن تنامي أعلم أنك غداً ستبدأين مقراءتك... أتمنى لك التوفيق.

لم تستطع أن تقل ياسمين سوى:

- حسناً كما تريد... إذا شعرتي أنك مازلت تريدي الحديث فتعالى غداً للنادي... بالتأكد سنجد وقت نتحدث فيه.

- لا.. لا... في الحقيقة.. لقد ارتطم رأسي بحاجز الدرج وتورمت جبهتي... لن أستطيع أن أغادر المنزل حتى تختفي.

- يا الهي .. وهل أنت بخير؟!.

- نعم.. لا تقلقي... فقط لا أريد أن يراني أحد بهذة الجهة المتورمة.

- حسناً... سأتصل بك أذاً.

- حسناً... تصبحين على خير.

# المودة

- تصبحين على خير.

وضعت الهاتف بجانبها وأراحت رأسها على وسادتها:

"ماذا كانت ستقول يا ترى.."

قالتها وهي تفكر في آخر ما قالته زهرة:

"رغم أنني.. منذ صغري.. كنت.."

"..كنتي ماذا يا زهرة...كنتي ماذا؟!"

وفي النهاية غلبها التعب ونامت.

\*\*\*\*\*

انطلق زياد لعمله دون الحديث مع أحد، فكل ما كان يفكر فيه هو مازن وماضيه توقف عند اشارة مرور محدثاً نفسه:

- "يا الهي يا مازن.. يا لحماقتك... اسأت لنفسك ولنا بلا أي داعي.... حمدلله أن أي لم يسمع هذا أبداً.. ترى هل مات هذا الرجل فعلاً؟... آأه لو تطوله يدي لقتلته بنفسي.... يستغلهم بهذه الطريقة البشعة بل ويعذبهم أيضاً"

لفت نظره فتى يبدو في مثل عمر مازن عندما تركهم، كان يحاول تنظيف زجاج السيارات لينال بعض المال، كانت ملابسه متسخة ورثه تماماً، وكل من يقترب من سيارتهم يقومون باغلاق النافذة في وجهه، هز زياد رأسه:

## العودة

- يبدو أن شوقي هذا لديه حق في كرهه لنا... فأنا كنت أفعل مثلهم.

أخرج يده من زجاج السيارة مشيراً له، فأسرع الفتى إليه:

- نعم سيدي.

ابتسم له زياد في حنو ثم اخرج من جيبه نقود كثيرة واعطاه اياه قائلاً:

- خذ هذا... واشتري طعام اليوم.

لم يصدق الفتى نفسه فأخذ يهز رأسه في ذهول:

- شكراً سيدي... شكراً.

فتحت الاشارة فمنحه زياد ابتسامه أخرى وانطلق بسيارته، ورأى في مرآة السيارة الفتى

يقفز فرحاً وهو يعدو تاركاً المكان.

ابتسم لما رآه:

- ترى هل هذا كافي لتقضي على ظاهرة أطفال الشوارع... أم لابد لنا من أن نفعل أشياء أخرى؟.

وصل لمكتبه وبدأ ينخرط في عمله من رسم لمباني جديده سيقومون بتنفيذها، دخل ياسر:

- زياد... لقد انتهيت من رسومات فيلات المدينة الجديده.

- جيد... أرجوا أن تنال أعجابهم ويقوم مكتبنا بتنفيذها.

- وأنا أيضاً.

صمت ياسر قليلاً ثم قال:

# العودة

- هل حدث شيء بين زهرة وياسمين بالامس.

التفت له زياد مندهشاً:

- شيء !!... مثل ماذا؟

- اممم.. لا أعلم ولكن ياسمين حالتها النفسية كانت سيئة بالامس وكانت مفترقة أي كثيراً وقالت إنها كانت بحاجة لتحدث معها بشده، فقلت ربما حدث بينها وبين زهرة شيء ... لأن زهرة هي الشخص الذي كانت تلجأ إليه دائماً.

صمت زياد قليلاً مفكراً وهو يتذكر ما حدث بالامس:

- "تري .. هل ما حدث بين زهرة ومازن له علاقة بياسمين... ولكن كيف؟"

ثم فجأة تذكر كلمات أمه عن شعورها بأن ياسمين ربما تشعر بشيء تجاه مازن فقال:

- يا الهي !!

- ماذا هناك...؟

قالها ياسر وهو يحدق به في دهشة، فقال زياد مرتبكاً:

- اه... لا شيء... أنا أفكر في أحداث الامس... ولا يمكنني أن أتذكر أي شيء فيما يتعلق بزهرة وياسمين.

هز ياسر رأسه:

- لا بأس.. حتى لو أن هناك شيء بينهما..سرعان ما سينتهي..هكذا تعودنا منها.

ابتسم زياد:



# العودة

- بالتأكد... بالتأكد.

- حسناً سأخذ التصميمات وأعرضها على الشركة وأرجو أن يقبلوها.

- اتصل بي وأخبرني بما حدث.

- سأفعل.

قالها وهو يغادر المكان، أما زياد فعاد يفكر في كلام ياسر وما حدث بالأمس ثم أمسك الهاتف:

- السلام عليكم عم فريد.

- وعليك السلام سيدي.

- هل زارتنا ياسمين بالأمس؟!؟

- نعم سيدي.. لقد جاءت وصعدت لغرفة الانسة زهرة... ولكنها لم تبقى طويلاً فلقد غادرت سريعاً.

- لماذا هل حدث شيء؟!؟

- لا أعلم سيدي.

- ألم تراها وهي تغادر؟!؟

- بلى رأيتها... في الحقيقة سيدي لقد كانت تبكي.

صمت زياد قليلاً ثم قال:

- حسناً... أشكرك كثيراً عم فريد.

# المودة

- العفو سيدي.

وضع سماعه الهاتف:

- معقول يا زهرة... لو كان ما في رأسي صحيحاً فأنتي تستحقين ما فعله مازن وأكثر...  
ولكن كيف سأؤكد ... مازن لن يقل شيء... سأرقب من بعيد... وسنرى.

سمع مازن طرق على الباب ظن أنه زياد ففتح قائلاً:

- لم تركت المكتب؟!

لكنه فوجيء بماهر أمامه قائلاً:

- ليس لدي مكتب لأتركه.

حاول مازن الابتسام، لكن وجهه الشاحب وعيناه المجهدتان من بكاء أمس لم يساعده  
فأشار لأخيه بالدخول:

- أهلاً ماهر... كيف حالك؟!

جلس على أول مكان قابله قائلاً:

- أنا بخير... لكنني أريد أن أسأل عن حالك أنت؟!

جلس مازن أمامه قائلاً:

- بخير... فقط مجهد قليلاً لم أتم بالأمس.

# العودة

حدق ماهر بوجهه قليلاً ثم قال:

- لم ضربت زهرة؟!؟

تطلع له مازن ثم أدار وجهه قائلاً:

- بغض النظر عن السبب ما فعلت كان خطأ... وسأعتذر لزهرة بالتأكيد... فقط حين تهدأ الأمور.

- هل تعتبرني صغيراً؟!؟

ظهرت ملامح ابتسامة باهتة على شفثيه مجيباً:

- لا... رأيت من هم في سنك ويتصرفون كالرجال... ولكن لم هذا السؤال؟!؟

وقف ماهر قائلاً في غضب وملوحاً بيده:

- لأن الجميع يعاملني كطفل... سبب رحيلك الحقيقي لم أعرفه إلا قدراً... أما عدم عودتك للمنزل بعد انتهاء عقوبتك لا أعلم عن أسبابه شيء... كل ما يحدث في المنزل وله علاقة بك... أصبح بالنسبة لي من الأسرار العليا للدولة... لا أحد يخبرني بشيء... وأنا سممت هذا.. صحيح أنني أصغرك بـ ٨ سنوات.. لكن هذا لا يعني أن أظل الشخص الغريب في حياتك... منذ أن عدت لم نتحدث وحدنا قط... ولا أقصد الأحاديث العابرة... وإنما حديث الشقيق لشقيقه... أحياناً أشعر وكأنك مازلت بعيداً عني ولم تعد قط.

شعر مازن بالأسى لما يشعر به أخوه... ولكنه على حق... فلقد كان مازن بعيداً عنه طوال الوقت ومازال، لم يعرف ماذا يقول أو يفعل؟!.. اغلق عينيه ثم فتحها ناظراً لأخيه:

- أجلس بجانب ماهر.

# العودة

هز ماهر رأسه في عصبية:

- لا أريد مزيد من الحديث العاطفي.

- اجلس وإذا لم يعجبك كلامي فأفعل ما تريد.

لم يكن أمامه إلا الجلوس والاستماع لمازن، الذي زفر قائلاً:

- أنت تريد أن تعرف الماضي.. وأنا لا أريدك أن تعرف شيء عن هذا الماضي، لأنه ماضي أليم.. لن يشعرك أبداً بالفخر بأخيك الأكبر بل على العكس.. قد تحتقني مدى الحياة.. وحتى لو تغافلت عن هذا الماضي.... فكل نظرة منك لي بعد أن تعرف ستكون كخنجرأ يمزق قلبي.. لقد عرفت جزء واحد من ماضيي... وتلاشى حلمك في لحظات... فكيف لو عرفت كل شيء... أنا حقاً أريد أن أكون الأخ الذي تفخر به... وهذا ما أحاول فعله منذ أن عدت... لأنني لا أستطيع أن أصلح هذا الماضي... ولا أملك غير إصلاح الحاضر هذا لو قدر ربي لي ذلك.... فلما تصر على معرفة ما لا يفيد أحداً منا..

قاطعه ماهر:

- لأنني بالتأكيد سأفكر فيما حدث في هذا الماضي.. أتريد أن تتركني وتخيلاتي.. حتى لو كانت أبشع من الحقيقة.

- في النهاية ستبقى تخيلات.. لن تتأكد منها... وأنا لن أعرف عنها شيئاً.... لا يمكنك أن تتخيل كيف سيكون شعوري وأنا أقص عليك كل شيء... صدقني ماهر.. سيكون شعوراً بشع حقاً.... ألا يمكنك أن تعفيني من هذا؟... أما فيما يتعلق بعدم حديثنا معاً.. أنت معك حق... سنبدأ في الحديث مع بعض بشكل أكثر.

التفت لماهر وضم كفاه في يديه:

## العودة

- ماهر..أعدك أن أحاول ما بوسعي كي أكون الأخ الذي تستحقه...ولكن أرجوك..  
أرجوك..لا تجبرني على سرد ما لا أطيق.

لم يصف مازن شيء ظل ممسكاً بكف أخيه محاولاً عدم البكاء فلم يتبقى في مقلتيه مزيداً  
من الدموع، أشاح ماهر بوجهه بعيداً:  
- كنت أعلم أنه لا فائدة .. كنت أعلم.

سحب كفاه من يدي مازن وقام ليغادر فأمسك مازن بكتفه فالتفت له ماهر، فقال:

- ماهر ..أرجوك سامحني... إذا كنت لا أستطيع أن أجعلك جزء من ماضي..فأنا  
بالتأكيد..أريد أن أكون جزء من مستقبلك..فهل تقبل؟!  
هز رأسه قائلاً في سخرية مريرة:

- تتحدث وكأنك تترك لي حرية الاختيار... مستقبلي مازال مجهول... إذا أردت أن تكن  
جزء منه فافعل..لن أمنعك... هل يمكنك أن أذهب الآن؟.

تركه مازن ليغادر، كان يشعر بالأسى على أخيه حقاً:

- صدقتي يا ماهر... لن تسعد بما قد تسمع...سامحني يا أخي.. سامحني..

\*\*\*\*\*  
رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا

مرت عدة أيام منذ ما حدث بين زهرة ومازن، وشفيت جبهة زهرة تماماً فاتصلت بياسمين  
لتقابلها في النادي، وبالفعل التقيا في مكانهما المعتاد.

- كيف حالك زهرة..وكيف حال إصابتك؟!!

حكّت زهرة جبهتها:

# العودة

- لم يعد لها أثر أليس كذلك؟!

ابتسمت ياسمين:

- أنا لم أراها أصلاً... ولا يوجد أثر لأي شيء.

- هل ساحتيني؟!

قالت زهرة متأسفة، فمحتها ياسمين ابتسامتها الرقيقة المعتادة:

- وهل يمكن ألا أفعل؟... لقد فهمت وجهة نظرك.

صمتت زهرة قليلاً ثم قالت في تردد:

- ومازن؟!!

نظرت لها ياسمين في صمت ثم قالت:

- ماذا عنه؟!

- هل حقاً تشعرين نحوه بشيء؟!

أدارت ياسمين وجهها بعيداً قائلة:

- لا داعي لأثارة هذا الموضوع يا زهرة... أرجوك.

زفرت زهرة في ضيق، فسألته ياسمين:

- قولي لي أنت... لماذا لم تكلمي كلامك عما كنتي تشعرين به تجاه اختفاء مازن في

صغركم... لم قطعتي كلامك؟

تملمت زهرة في جلستها قائلة:

## المودة

- كلام.. أنا لا أذكر أين قطعت كلامي... هو كلام عادي ... ربما قطعتهُ لأنني تعبت..  
خاصة أن هذه الذكريات تشعرني بالألم.

لم تقتنع زهرة نفسها بما تقول وشعرت أن ياسمين ترى كذبتها بسهولة فأرادت أن تغير  
الموضوع:

- هل تعلمين أن هذا الحقير مازال يرسل لي رسائل على هاتفي؟.

فهمت ياسمين محاولتها للتهرب، فسأيرتها قائلة:

- وماذا تفعلين أنتِ؟... تردين عليه.

لوح زهرة بيدها:

- أبداً... ولا مرة ... إنه وغد لا أعلم كيف كنت أتصور أنني أحبه.

وما أن أنهت جملتها حتى سمعت من يقول:

- زهرة .. عزيزتي أريد أن أتحدث معك.

التفتت له في ذهول ثم عقدت حاجبها:

- تتحدث معي... فيما؟!.. لا يوجد بيننا ما نتحدث عنه.

- زهرة ماذا أصابك؟... امنحيني فرصه..أريد أن أتحدث معك.

زفرت في ضيق:

- قلت لك أنني مللتك... ولا يوجد شيء بيننا.. ابتعد من هنا فلا أحب أن يراني أحد

أتحدث معك.

# المودة

ثم نظرت له قائلة في تهكم:

- فأنا لذي سمعتي التي يجب أن أحافظ عليها.

قال وهو يشتاظ غضباً:

- حسناً... فلتحافظي عليها جيداً... جيداً يا زهرة.

ثم ابتعد عنها فقالت زهرة في توتر:

- أرايتي.. إنه يهددني أليس كذلك؟!

- لا عليكِ... لن يفعل شيء.. كما أنه ليس شخصية تثقين في كلامها أصلاً... فلن يستمع له أحد في النادي.

لكن كلام ياسمين لم يطمئنها، وظل قلبها يحدثها أنه لن يسكت، وسينتقم منها لا محاله.

وقف زياد من بعيد يراقب موقف زهرة وهذا الشاب ومعه مازن، وما أن ابتعد الشاب حتى تحرك زياد فأمسك به مازن:

- على رسلك... ماذا ستفعل؟!  
قال زياد في غضب:

- يجب أن أسألها فيما كان يتحدث معها هذا الحقير، إنه أسوأ من يمكن أن تلتقي به في هذا المكان.

- اهدأ يا زياد... أعتقد أن الحديث لم يكن ودي كما رأينا فزهرة كانت تنظر له شذراً... كما أن ياسمين معها.. وهي لن تسمح بأي شيء غير لائق... أرجوك يا زياد... لا أريد أن



# العودة

أرى زهرة بعد ما حدث وأنت تتعارك معها..ستعتقد على الفور أنني السبب... لا أريد مزيد من التوتر معها.

فكر زياد قليلاً ثم قال:

- لا بأس حسناً هيا بنا.. فلنأجل هذا لبعض الوقت.

تنفس مازن الصعداء، وهو يسير خلف زياد مبتعدان عن المكان فأسرع ليسيير بجانب زياد قائلاً:

- أنت لم تخبرني بعد... بمن سنلتقي بالضبط؟

- بشادي.

- شادي ... شادي من؟!!!

- الذي التقيت به أول يوم في النادي .... الذي يعمل في مشروع المقرأة الخاص بياسمين.

هز رأسه قائلاً:

- آاه... الشاب الملتحي.

- نعم الشاب الملتحي.

- ولم سنلتقي به؟.

صمت زياد قليلاً ثم قال:

- في الحقيقة..أنت فقط من سيلتقي به..أريدك أن تتحدث معه قليلاً.

- أتحدث عن ماذا بالضبط؟

## العودة

- شادي بالنسبة لنا هو الطبيب النفسي الافضل... إذا مر أحدنا بأي مشكلة أزمت له معنوياته...فمجرد الحديث معه يشعرنا براحة كبيرة... لذا أريدك أن تتحدث معه..لعله يفيدك... ولا تنسى أنك حاولت الانتحار من قبل.

أمسك مازن بذراعه ليوقفه:

- هل أخبرته عني!؟

مط زياد شفثيه:

- لا لم أفعل... فقط قلت له ... مازن عاد لنا بعد غياب طويل وأشعر أن نفسيته غير مرتاحة وأريدك أن تتحدث معه قليلاً.

تطلع له مازن قائلاً:

- حسناً.. هيا بنا.

التفت زياد ليكملا طريقها لكنه تسمر مكانه فجأة محققاً في مكانٍ ما، وجه مازن نظره لحيث يتطلع زياد ليرى امرأة تحمل بين ذراعيها رضيعاً وكانت هي الأخرى تنظر لزياد ولكن نظرتها كانت مختلفة تماماً عن نظرتة فلقد كانت مليئة بالشوق و..والحب.

حول زياد بصره وقد ملأ عينيه الغضب وأراد أن يكمل الطريق لكنه توقف عندما رآها تتجه نحوه حتى وقفت أمامه قائلة:

- كيف حالك زياد؟!... لم نلتقي منذ مدة؟

لم ينظر لها زياد وأجاب:

# العودة

- وكيف سنلتقي وأنتِ خارج البلاد.

- صدقت ... لقد عدت لأن أُمي أرادت أن ترى ابني.

التي نظره سريعة على الرضيع ثم قال:

- حمدلله على سلامتكما.

كان مازن ينظر لها في دهشة .. ففي الوقت التي تتحدث فيه بشوق وحب كان زياد يتحدث بحنق وجفاء، كان يشعر أنه رآها من قبل لكنه لم يتذكر أين، فاكتمى بمتابعة حديثها الغريب.

كانت تقول:

- ألا تحب أن تعرف ماذا أسميته؟!

- أعتقد أن الامر لا يعنيني.

قالت في اصرار:

- لكنني أريد أن أخبرك باسمه.

صمت زياد ولم يرد فقالت:

- اسميته زياد.

ارتجفت شفثيه للحظه لكنها عادا لجمودهما ثم رسم عليها ابتسامة ساخرة:

- هل من المفترض أن يسعدني هذا الخبر؟!

شعرت بالاحباط قائلة:

# العودة

- لا.. فقط أردت أن تعرف.

نظر لها زياد قائلاً:

- هل وافق زوجك بهذه السهولة على اطلاق اسم خطيبك السابق على ابنه؟!!

رفع مازن حاجبيه عندما سمع جملته هذه، ثم قفزت إلى ذهنه الصورة المعلقة في شقة زياد والتي يقف أمام صاحبها الان.

صمت قليلاً ثم قالت:

- إنه لم يسألني أبداً عن اسمك ... كما أنه خارج البلاد معظم الوقت..ولا يعرف قصتنا.

- جيد... أجازة سعيدة... وعودة حميدة لزوجك العزيز.

أراد أن يغادر فاستوقفته قائلة:

- زياد... هل أنت بخير... هل أنت سعيد؟!!

هز رأسه متهاكماً:

- وكأن الامر يعنك.... أنا بخير..وسعيد جداً...

ثم حدق بوجهها مضيفاً بحنق:

- على الأقل... أنا لم أبيع نفسي.

حدق مازن به وشعر بقسوة الكلمة التي قالها زياد وأثرها عليها حيث امتلأت عيناها بالعبرات سريعاً، وهي تقول:

## العودة

- معك حق... لك أن تقول أكثر من ذلك... ولكنني دفعت الثمن غالياً.

انهالت الدموع على خدها وأخذت تمسحها سريعاً كي لا يلحظها أحد، شعر مازن بالأسى من أجلها ولكنه لم يستطع أن يقل أي شيء، ويبدو أن زياد أيضاً رق لحالها فقال في صوتٍ هاديء:

- لا داعي لاستمرار هذا الحديث... أتمنى لك السعادة والتوفيق في حياتك... بعد اذنك.

تخطاها تاركاً اياها تمسح دموعها وأسرع مازن خلفه وبعد أن ابتعدا عنها مسافة كافية قال مازن:

- هل هذه هي الفتاة التي ارتبطت بها ولم تستمر الخطبة؟.

قال زياد في حزن:

- نعم...هي... سأحدثك عنها فيما بعد..ها هو شادي..يجلس هناك وينتظرك..اذهب إليه.

نظر مازن إلى حيث يشير فرأى شادي في انتظاره على طاولة ما، فتوقف زياد قائلاً:

- سأذهب أنا...ينتظرني ياسر لنراجع بعض المواقع معاً وسنتعشى سوياً ثم أعود للبيت أي أننا لن نلتقي إلا في العمل صباحاً.

أوماً مازن برأسه:

- حسناً... يمكنك الذهاب.

وقبل أن يتحرك أوقفه زياد قائلاً:

## العودة

- مازن... حاول أن تستمع له بقلبك قبل عقلك، وثق أن كل ما ستقوله له لن يكرره حتى بينه وبين نفسه.

ابتسم مازن وأوماً برأسه إيجاباً، ثم اتجه لحيث يجلس شادي ليصافحه ويجلس معه بينما يراقبه زياد من بعيد ثم ابتسم متمماً:

- أتمنى أن تنجح معه يا شادي.

ثم التفت ليغادر.

جلس مازن ينظر فيما حوله، كان يشعر بالحرج لكنه لم يعرف ماذا يقول، فابتسم شادي قائلاً:

- لم أشعر أنك محرج؟!، أنت لست في اختبار إنه مجرد حديث ودي... وإذا كنت تشعر أنك غير مهياً له يمكن تأجيله لأي وقت آخر.

شعر مازن ببعض الراحة من كلمات شادي الهادئة فقال:

- لا.. لا بأس..أنا بخير.

- أخبرني زياد أن نفسك ليست على ما يرام.

نظر له مازن قليلاً ثم قال:

- نعم... فكما تعلم غبت عن عائلتي سنوات طويلة، وعندما عدت...وجدت أن كل شيء قد تغير... حتى عمي مات ولم أراه، كان أكثر شخص كنت أتمنى رؤيته حقاً.

هز شادي رأسه متفهماً:

# العودة

- رحمة الله عليه .... بالتأكد كان سيكون سعيد بعودتك...فسعادة زياد واضحة للجميع.

ابتسم مازن:

- نعم... زياد وماهر سعداء حقاً.. أما البقية..فرما اعتادوا غيابي ..حتي إنهم يتصورون أنني قد أقلب حياتهم رأساً على عقب.

- أعتقد أنه من السهل أن تقنعهم بالعكس مع مرور الوقت.

- صحيح.. هذا ما آمله فعلاً.

صمتاً قليلاً ثم سأله شادي:

- هل هذا فقط ما يضايقك؟!

عاد الارتباك يمتلكه ولم يعرف ماذا يقول ، فطمئنه شادي قائلاً:

- لست مجبر على الحديث .. كما أخبرتك.

هز مازن رأسه:

- أعلم... أعلم...أنا فقط لا أعرف ماذا أقول؟!

- ما تشعر به... أنا لا أريد أن أعرف إلا ما تشعر به.

فكر مازن قليلاً ثم زفر قائلاً:

- حسناً.... لقد عشت طفولة سعيدة..إلا أنني فقدت أبوي في حادث مفاجيء، وتولى

عمي وخالتي تربيتنا جميعاً، ثم تصرفت تصرف أحمق فدفعت ثمنه غالباً... وتلاه تصرف

أحمق آخر..وآخر...وآخر، وكأني تحولت إلى ماكينة لسوء الاختيار والتصرف... أصبح

# العودة

قدري كله سيء.. لم أعد أرى فيه خير قط.. وإلى الآن... لا أستطيع أن أرى إلا قدري السيء.

مال شادي ناحيته:

- هل تؤمن بالقدر خيره وشره؟!!

- بالتأكيد... لكن مشكلتي أنني لا أرى إلا شره فقط.

- من أدراك؟!!

- ماذا تقصد؟!!

- ألم تسمع يوماً بهذه القصة الشهيرة؟... لرجل أراد أن يلحق طائرة لتنفيذ صفقة عمره، لكنه تأخر ولم يلحق بالطائرة وظل يجلس مذهولاً في المطار ونادماً بشده، إلى أن وصله خبر سقوط الطائرة وموت كل من فيها فخرج من المطار يقفز فرحاً على نجاته. فكر مازن قليلاً وفهم ما يعنيه شادي:

- نعم ولكن هذا الرجل عرف بعد دقائق معدودة أن هذا القدر ليس سيء... أما أنا فمرت سنوات إلى الآن... ولم يظهر الخير فيما حدث لي.

- إنه مجرد مثال صغير.. لتتضح الصورة، لنعلم أن ليس كل سيء يحدث لنا هو بالضرورة الأسوأ بل على العكس... ربما كان هناك ما هو أسوأ لكن ربنا أنقذنا منه.

لا يعلم مازن لم قفزت سلمى إلى ذهنه فجأة، فابتسم في حزن قائلاً:

- ربما ليس قدري كله سيء.... بل كان هناك بعض الخير... لكن للأسف فقدته هو أيضاً بسوء تصرفي واختياري كالعادة.



# المودة

صمت شادي للحظات ثم قال:

- ومادمت مقتنع .. أنك لا تحسن الاختيار والتصرف دائماً... لم لا تستعن بالله؟.

ارتجفت عينا مازن وسرت القشعرية في جسده مردداً:

- استعين بالله.

ابتسم شادي في حنو وقال في خشوع:

- ألم تسمع أمر نبينا عليه الصلاة والسلام "إن استعنت فاستعن بالله"

خفض مازن عيناه وقال بصوت خافت:

- وماذا لو كانت ذنوبي كثيرة... لدرجة أنني لا أقوى على دعاء ربي.

هز شادي رأسه:

- لا يا مازن.. أنت لا تعرف ربك إذاً، فهو القائل "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم

لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً....." ... وهو أيضاً القائل "نبيء عبادي

أني أنا الغفور الرحيم"

شعر مازن بمزيد من القشعرية وهو يستمع لشادي وهو يتلوا هذه الايات في خشوع ،

وكأنه يسمعا لأول مرة في حياته، تذكر كيف كان يتلوا القرآن الكريم خلف والدته وهي

تحفظه إياه، كم كان يراها تجلس في مصليها تدعو له ولأخيه وكانت دوماً تبكي ..تبكي راجية

من الله أن يحفظها ويصلحها، تذكر صوتها... همساتها.. كلماتها... ابتلع ريقه في صعوبة وشعر

بالعبرات تتراكم في مقلتيه فأدار وجهه بعيداً

فقال شادي:

## العودة

- إياك ومقاومة هذة الدموع مازن...فإنها لا تنزل على خديك فقط وإنما تنزل على قلبك لتنقيه مما فيها...إنها دموع غالية جداً.... أعرف أناس يسهرون الليل يدعون فقط أن ييخوا من خشية الله...دعها مازن..دعها.

رفع مازن إليه عينيه المليئة بالعبرات ثم خفضها لتنهال الدموع على خديه، ضغط شادي على يده فعاد يتطلع له فقال بصوت هاديء:

- مازن... اسمعني جيداً... لقد عدت لأهلك وهذا أمر طيب..لكن هناك عودة أخرى يجب أن تقوم بها.

عقد مازن حاجبيه متسائلاً فأضاف شادي:

- العودة الحقيقة... العودة لخالقك...العودة لربك...يجب أن تعود له مازن... هذة هي العودة الحقيقية التي ستعيدك حقاً للحياة .... حينها ستستطيع أن تستعن بربك دائماً.. وثق أنه لن يتخلى عنك مادمت عدت إليه بصدق ... ربما سيمتحنك قليلاً فقط لتثبت لنفسك لا له .. أنك حقاً عدت إليه.

- ولكن لكي أتوب يجب أن أدفع ثمن أخطائي.... وأنا لا أستطع أن أحتمل ذلك..فكيف يقبل توبتي...

- إن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها..وهو أعلم بما في القلوب...سيعلم إن كانت توبتك صادقة..وسيحاسبك على ذلك.... بل قد يبذل كل سيئاتك حسنات.

استمرت دموع مازن في الهطول من عينيه بينما ركز شادي نظره له وهو مازال يمسك بيد مازن، بينما تناهي إلى مسامعها صوت أذان المغرب، فاعتدل شادي قائلاً:

## العودة

- المغرب... هل تحب أن تسمعي وأنا أرتل القرآن.. سأجلسك في مكان يمكنك من سماعي... فأنا من أصلي بالناس... هيا.. هيا.

بالفعل قام مازن معه وهو يمسح دموعه واتجها إلى المسجد التي يصلي فيه رواد النادي، أخذه شادي إلى خلف المسجد وأجلسه قائلاً:

- اجلس هنا... ستتمكن من سماعي من هذة النافذة... يمكنك أن ترحل بعد انتهاء الصلاة فأنا أجلس لأتحدث مع الشباب في المسجد

أوماً مازن برأسه، فتركه شادي دون أن يضيف شيئاً....

وما أن بدأت الصلاة حتى أسند مازن رأسه على جدار المسجد ليستمع لصوت شادي الشجي... يسمعه بقلبه لا بعقله.

\*\*\*\*\*

ما أن انتهت صلاة المغرب حتى همت زهرة بالخروج قائلة لياسمين:

- بالطبع ستجلسين من أجل مقرئتك... أما أنا فيجب أن أعود للمنزل، اتصلي بي عندما تعودين. **رب كلمة اشعلت حلماً**

- حسناً سأفعل إلى اللقاء.

خرجت زهرة وأرادت أن تدور من خلف المسجد لتغادر من البوابة الخلفية للنادي حيث إنها الأقرب لها لكن بنظرة سريعة على الطريق وجدته مظلم تقريباً فغيرت رأيها:

- لم لا يضيئون هذا الطريق؟! سأضطر للسير طويلاً كي أخرج من البوابة الرئيسية.

# العودة

همت بالعودة لكن قبل أن تتحرك فوجئت بمن يمسكها من ذراعها ويسحبها بقوة ناحية هذا الطريق المظلم فصاحت:

- ما هذا ؟. من أنت ؟!

التفت إليها، وما أن رآته حتى شهقت فرعه:

- أنت ؟!.. ماذا تريد مني ؟.... أخبرتك أنه لم يعد هناك شيء بيننا للحديث عنه... أترك ذراعي ..أتركني أو صرخت طالبة للنجدة.

ضغط على ذراعها بقوة أكثر جعلتها تتأوه قائلاً:

- لا أعتقد أنك تريدين فضح نفسك وعائلتك المبجلة... اصمتي وسيري معي.

عاد يجذبها في هذا الطريق لكن قلبها كان يدق بعنف وشعرت لأول مرة بخوف ورعب لم تشعر بهما في حياتها كلها، فعادت تقاوم قبضته وهي تحاول الافلات قائلة:

- إلى أين تأخذني ؟!... إلى أين ؟!

- لا تخافي... سنغادر من الباب الخلفي لننتحدث في سيارتي.

- ومن قال لك أنني أريد أن أتحدث معك... أنا لن أعد لك مهما فعلت..أتفهم..مهما فعلت.

جذبها بقوة حتى ارتطمت أنفاسه بوجهها وهو يقول:

- وأنا لا أطلب الاذن..إنما أخبرك فقط بما سأفعل.... واعلمي يا زهرتي أن الفتاة التي تتركني هكذا لم تولد بعد، ومن الافضل أن تخرجي معي في هدوء.... وإلا ستعودين للنادي لتجدي أن الحديث الاكثر انتشاراً هو علاقتي بك... وكيف أنني خدعتك وغررت بك ثم القيت بك عظماء بعد أن أكلتك لحمًا.

# العودة

اتسعت عيناها في زهول ثم قالت:

- أيها الحقير... أيها الحقير... لن يصدقك أحد.

أطلق ضحكة ساخرة:

- حقاً... يبدو أنك لا تعرفين سمعتي هنا... إذا لم يصدقني واحد فسيصدقني عشرة... هل

تريدي أن تجربي؟!

انفجرت باكية بعد أن شعرت بالعجز التام، فأضاف:

- كوني عاقلة وتعالى معي إذا... سنذهب إلى شقتي لتحدث حديث ودي ثم تعودين

للمنزل وكأن شيئاً لم يكن.

فتحت فمها عن آخره ثم صفعته بقوة على وجهه:

- أخرس أيها الوغد... أتريدني أن أحول ما تريد نشره عني إلى حقيقة... من تظني؟!

كشر عن انيابه وعاد ليجذبها قائلاً:

- ستدفعين ثمن هذه الصفعة غالياً...

كانت تبكي وهي تحاول باستماته أن تفلت من يده ولكنه أمسك بها بقوة كبيرة ليخرج بيده

الآخري مدية صغيرة ليضعها على عنقها قائلاً:

- توقفي عن الحركة.

تسمرت في الحال واتسعت عيناها في ذعر فأردف:

## العودة

- ستخرجين معي الآن وتذكري أن هذا السكين الصغير في ظهرك، سأحيط ظهرك  
وسنسير معاً كأبي إثنان متحابان... ولا تكوني حمقاء.. وتقتلي نفسك... لن نلتقي بأحد هنا  
في كل الأحوال.. وعندما نخرج من البوابة إياكِ وفعل أي شيء.

سارت معه فعلاً وشعرت بسن المدية في ظهرها وإن اخفاها جيداً في يديه لم تعرف ماذا  
تفعل.. شعرت وكأن حياتها ستنتهي بعد لحظات كادت أن تسقط من شدة الرعب لكنه  
كان يحيط بها جيداً مما أجبرها على السير وتمنت أن ترى أحد.. أي أحد.. لكن الظلام  
الدامس سيدفع رواد النادي لعدم استخدام هذا الطريق ثم....

"أرفع يدك القذرة عنها"

اخترقت اذناها هذة العبارة التي استطاعت تميز صاحبها بسهولة الذي في لحظات أمسك  
بيد خاطفها المسكة بالمدية بقوة ليجذبه ويدفعه للسقوط أرضاً ليسيطر عليه بشكل أكبر،  
وقد أطبق على عنقه بقوة بيده الأخرى وهو يقول:

- أترك هذا السكين حالاً.

كان يطبق على عنقه بقوة كبيرة جعلت الآخر يفلت السكين من يده فقال لزهرة:

- خذي هذا السكين.

أسرعت زهرة بحمل المدية وصاحت والذعر هو الملمح الوحيد المرسوم على وجهها:

- مازن.. مازن..

كانت تبكي وهي تردد اسمه ووقفت ورائه وكأنها تحاول أن تحتمي به رفع مازن إحدى  
حاجبيه ثم قال دون أن ينظر لزهرة:

- هل يملك هذا الوغد أي شيء ضدك؟

# العودة

هزت رأسها بعنف:

- لا..لا..إنه أحقر من رأيت في حياتي.... أخبره أن يبتعد عني... ويتركني وشأني.

- اذهبي من هنا إذاً.

لم تتحرك من مكانها فكررها بقوة أكبر:

- قلت اذهبي.

وبالفعل تحركت وهي تنظر لهما لتبتعد عن المكان، حدق مازن به للحظات قائلاً في صرامة:

- أعتقد أنك لا تعرفني، ولكن هذا لا يهم.. فكل ما يعرفه الجميع أنني ابن عمها العائد بعد غيابٍ طويلٍ...لكن الجزء الأكبر من القصة لا يعلمه أحد، ولا زهرة نفسها...

أمسك الشاب بذراع مازن المطبقة على عنقه محاولاً الأفلات لكن هيهات فلقد أطبق عليها مازن وكأنه يمسك آخر نفس له في الحياة وشعر أنه يختنق بالفعل فقال بصوت مبحوح:

- أيها المجنون ستقتلني!.

اقترب مازن من وجهه أكثر وهو يزيد من إطباقه على عنقه قائلاً:

- إذا اقتربت منها مرة أخرى أو نطقت اسمها في أي مكان .... سأقتلك فعلاً.... وثق.. أنك لن تكون الأول..أفهم .... لن ..تكون ..الأول.

ردد كلماته الأخيرة ببطء مخيف وصارم تعلمه من حياته السابقة.

ثم أفلته فجأة فرفع الآخر يده إلى عنقه ليتنفس بسرعة مردداً:

- أنت مجنون..أنت مجنون...

## العودة

ظل مازن يحدق به بنظرة باردة ثم أمسك بياقة قميصه ليرفعه عن الأرض ويدفعه بقوة طرحته أرضاً مرة أخرى فقام سريعاً مُطلقاً ساقيه للرياح هرباً من أمامه، وما أن أختفى حتى التفت مازن ليعود أدراجه لكنه توقف عندما رآها تتابعه خلف إحدى الأشجار، فعقد حاجبيه مقترباً منها:

- ألم أطلب منك أن تغادري؟!

خرجت من خلف الشجرة وهي مطأطأة الرأس:

- خشيت أن يؤذيك.

قالتها وهي ترفع له المدية الصغيرة، أخذها منها قائلاً:

- هل ستعودي للمنزل؟!

أومأت برأسها:

- نعم... كنت سأعود للمنزل.

- هيا سأوصلك، سيارتي عند البوابة الرئيسية سنضطر للسير إلى هناك.

تبعته بالفعل دون أن تقول كلمة واحده وبينما تسير بجانبه إذ بموقف استرجعته ذكراتها...

"... أعيديا لي كرسي..."

.... أنتِ من قذفنا بها.. لم نأخذها منك....

.... لم أكن أقصد أعيديها لي الآن...

....يا لكِ من مشاكسة.... اعتذري أولاً على ما فعلتي...





# العودة

أخرجها مازن من ذكراها بكلماته، فركبت السيارة لينطلق بهما، ظل الصمت يحيط بهما حتى  
تنحنت زهرة قائلة:

- مازن..أنا أسفة.

- علما؟!!!

صمتت قليلاً ثم أضافت وهي تنظر له:

- على كل شيء.... على سوء استقبالي لك من البداية..ومضايقتي لك طوال الوقت....  
أسفة أكثر..على الكلام السخيف الذي قلته لياسمين عنك..حقاً أسفة.

قال مازن وعلى شفثيه ابتسامة باهته:

- لا بأس زهرة.. لا بأس .... وما قلتيه لياسمين هو الحقيقة ليس إلا.

خفضت عيناها قائلة:

- حتى لو كان حقيقة...لست أنا من يملك الحق بإخبارها به... كان يجب أن أترك هذا لك.

-لا يهم الآن....لقد عرفت وانتهى الامر.

عاد الصمت يحيم عليهما لتقطعه زهرة مرة أخرى:

- سأحاول أن أصلح الأمر مادمت تشعر نحوها بشيء ما.

لم يجب مازن سريعاً بل صمت قليلاً ثم قال:

- لا أعرف ما الذي جعلك تعنقدين أنني أشعر بشيء نحوها.... أنا لست في حاله تسمح

لي بذلك.

# العودة

لم تعرف زهرة سبب السعادة التي ملئت قلبها لثواني قبل أن تقول:

- هل أنت متأكد؟!

تجهم وجه مازن قليلاً قائلاً:

- نعم..متأكد... في الحقيقة قلبي ليس ملكي أصلاً لأمنحه لآخري.

عقدت زهرة حاجبيها وقد أصابها الأحباط وهي تنطلع له:

- ماذا تقصد؟!

أوقف مازن السيارة قائلاً:

- لقد وصلنا.

التفتت للمنزل ثم عادت تنظر له، وقبل أن تقول شيء أضاف:

- هيا زهرة... أحتاج أن أرتاح قليلاً.

- لم لا تدخل؟... هذا منزلك.

- ليس الان... أحتاج بعض الوقت وحدي..وسأعود إن شاء الله.

ترجلت من السيارة ثم عادت تنظر له:

- مازن .. هل ستخبر زياد بما حدث؟

- لا تقلقي..لن أفعل... لا أعتقد أن هذا الوغد سيقرب منك مرة أخرى ..وهذا هو المهم.

أدخلت رأسها من النافذة:

- مازن..هل حقاً ستقتله إذا فعل؟

# العودة

نظر لها مبتسماً:

- زهرة...إلى اللقاء الآن.

قلبت شفيتها ومنحته نظرة غاضبة:

- إلى اللقاء..

وصل مازن للشقة وما أن دخل غرفة النوم حتى ألقى بنفسه على الفراش، كان كل ما يفكر به هو كلام شادي، ظل يردد كلماته في رأسه، صدق زياد عندما قال أنه يشعرهم بالراحة، فهذا ما يشعر به تماماً، والأهم من ذلك أنه أعطاه الأمل..الامل في قبول ربه له وعليه أن ينتهر الفرصة مادامت متاحة.. ما الذي سيخسره إذا حاول؟.. إلى متى عليه الاعتقاد أنه لا يحق له أن يثب.. فاعتدل متمماً:

- هيا يا مازن... لقد حانت العودة.

أسرع إلى الحمام واغتسل ثم عاد باحثاً عن سجادة الصلاة لكنه توقف ممسكاً بها وهو لا يعرف في أي اتجاه سيصلي، ظل مكانه لبعض الوقت ثم أمسك هاتفه متصلاً:

- زياد..كيف حالك؟!  
كلمة اشعلت حُلماً

- أنا بخير... أين أنت؟!!

- لقد عدت لشقتك... أريد أن أسألك...عن..اتجاه القبلة.

لم يجبه زياد سريعاً لكنه شعر بالابتسامة التي رسمت على وجهه وهو يقول:

- أين تقف؟!!

# المودة

- في غرفة النوم.

- حسناً...ولي الباب ظهرك.

- شكراً زياد.

اغلق زياد الهاتف وقد اتسعت ابتسامته أكثر، فسأله ياسر:

- ماذا حدث؟!... ماسر هذة الابتسامة؟

- يبدو أن شادي نجح مع مازن... كنت أشعر أنه الوحيد الذي سيعيده.

- أنا لا أفهم.

- لا عليك... لا عليك.

ظل ياسر يتطلع إليه قليلاً:

- إهتمامك بمازن.. فاق كل توقعاتي.

مال إليه زياد:

- هل تغار منه؟! **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

ضحك ياسر:

- يالك من مغرور...هل تتصور نفسك فتاتي؟!

ضحك زياد:

- فتاتك.... ذكرتني...متى سيأتي اليوم الذي أرى فيه فتاتك؟!

# المودة

- ليس قبل أن أزوجك أنت.

زالت ابتسامة زياد متذكراً لقائه بها فقال:

- لقد رأيت ندى اليوم.

- حقاً.

- نعم... ولكني تحدثت معها بقسوة.

- أمازلت تحبها؟!!

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفثيه:

- أحبها... هل تتصورني بهذا الغباء... لقد تركتني بمنتهى السهولة..كنت أعلم دوماً أنني

أحبها أكثر مما تحبني..لكني لم أتصور أن أكون هين عليها لهذا الحد.

- وهل ستغلق قلبك إلى الأبد؟!!

- لا أعلم... ربما ستأتي من تفتحه لي من جديد..من يدري؟!!

- وماذا لو وجدت فتاة على خلق وجميلة، ومناسبة للزواج...هل سترفضها؟!!

عقد زياد حاجبيه: **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلْمًا**

- لم أشعر أنك تقصد شخصية بعينها؟!!

- أنا..... لا أبداً..... أنا فقط أتحدث عن المبدأ.

مط زياد شفثيه:

## العودة

- لقد حدثني أمي بهذه الفكرة من قبل... حقيقة لست معترض عليها..لقد جربت الحب..وفشلت...ربما الزواج التقليدي سينجح معي.. لقد نجح مع كثير من الناس.
- هذا جيد... إذاً أنت موافق على الفكرة.
- نعم... ولكن ليس الان... أنا مشغول جداً مع مازن.... لست مستعداً لارتباط بأحد.
- عدنا ثانية..مازن..مازن.

ضحك زياد:

- آآخ...نسيت... أنتِ تغارين عزيزتي.

أشاح ياسر بوجهه بعيداً بينما استمر زياد في الضحك.

شعر مازن بشعور رائع عند استيقاظه، شعر وكأنه أكثر صفاءً... أكثر هدوءاً... والاهم من ذلك..شعوره الغامر بالامان والراحة، أمسك هاتفه ليتصل بزياد ظل ينظر للاسم على الهاتف:

- زياد... أحمد الله كثيراً على وجودك بجانبني .... فلولاك لا أعلم ماذا كان سيحدث لي... يكفيني أنك تحمل الان سري معي..هذا السر الذي كاد أن يقصم ظهري... أنا أحبك كثيراً زياد...لا تتخلي عني أبداً.

فوجيء بالهاتف يرن في يديه فابتسم عندما رأى اسم المتصل فرد قائلاً:

- أهلا زياد... لو انتظرت ثانية واحده لسبقتك أنا في هذا الاتصال.

شعر بابتسامة زياد :

# العودة

- لا بأس .. سأدعك تسبني في المرة القادمة... كيف أصبحت؟!

- لم أستيقظ بحال أفضل من هذا من قبل يا عزيزي.

- هذا جيد... هل تناولت افطارك؟!

- ليس بعد.

- حسناً .. ارتدي ملابسك.. سأمر عليك لتناول الافطار في الخارج ثم نذهب للعمل سوياً.

- حسناً سأنتظرك.

\*\*\*\*\*

جلست زهرة على مائدة الافطار مع أمها قائلة:

- أين زياد؟!

- سيتناول الافطار مع مازن.

عقدت حاجبها:

- لماذا اليوم بالذات؟!

- لا أعلم.

لم تمنع زهرة نفسها من القلق تناولت افطارها سريع ثم عادت لحجرتها لتتصل بصديقتها:

- ياسمين صباح الخير.... هل أيقظتك؟!

- نستيقظ باكراً دائماً مثلكم.. لا مشكلة.



# العودة

- لم استطع الاتصال بك بالأمس.... يا الهي ياسمين.. لو تعلمي ما حدث لي بالأمس.  
- ما الذي حدث؟.. أسمعك.

قصت عليها سريعا ما حدث لها وما فعل مازن من أجلها، فقالت ياسمين:

- يا الهي.. حمداً لله أن مازن كان قريب... والا.. لا أستطيع تصور ما كان يمكن أن يحدث.  
- ولا أنا.... لا تتصوري مدى سعادتي برؤية مازن حينها.  
- أرى أنكِ بدأتي تتحدثين بشكل جيد عن مازن.

ابتسمت زهرة:

- ليس هذا فحسب.. لقد اعتذرت له أيضاً وقد قبل اعتذاري... أعتقد ذلك.  
- هذا جيد.

قالتها ياسمين في صوت هاديء أشعر زهرة بها فقالت:

- ياسمين... هل أتضحنت مشاعرك تجاه مازن؟!

- زهرة أخبرتك ألا تثيري هذا الموضوع.

- أستخفين على صديقتك الوحيدة؟!  
رُبَّ حكمة اشعلت حُلماً

صمت ياسمين قليلاً فأردفت زهرة:

- يمكن أن أصلح ما فعلت... صدقيني ياسمين.. مازن ليس سيء.. ما حدث بالأمس ذكرني  
بالكثير من ذكرياتنا معاً... أشعر أنه لم يتغير كما كنت أتصور.. ربما هو تغير قليلاً... ولكنه لم

## العودة

يتحول إلى شرير أو مجرم...أنا متأكد من هذا...دعيني أمنحك الفرصة سأرتب لقاء بينكما  
ربما إذا تحدثنا مع بعضكما ستعرفين حقيقة مشاعرك ومشاعره...أليس كذلك؟!

- زهرة...أنا أتفهمك تماماً...ولكن الأمر ليس بهذه البساطة...أنا حتى الآن أسأل نفسي ما  
هذا الشعور الذي يملكني كلما رأيت ابن عمك؟...هو شعور جديد بالتأكيد...لم أشعر به  
من قبل...ولكني أشعر أنه يخبو كلما ابتعدت عنه ولم أراه... ليعود لظهور من جديد فور  
رؤيته...لا أعرف السبب؟!...وليتني أعرفه.

-عزيزتي...الحب لا يحتاج إلى أسباب.

- ربما القلب لا يحتاج إلى أسباب..ولكن عقلي يحتاج..أنا لست من النوع الرومانسي الذي  
يجب أن يعيش في الأحلام..أنا أحب أن أفسر ما يحدث حولي...وكما قلتي كلانا لم  
يتبادل الحديث مع الآخر بشكل جيد وطويل...أنا لا أعرف مازن...لا أعرفه حقاً.

- ولهذا أريدك أن تلتقي به...ربما إذا تحدثنا ستفهمين مشاعرك أكثر.

- ربما..وربما لا..لا أعلم...ولكني لست على استعداد لمقابلته الان... دعينا نتوقف عن  
الحديث في هذا الامر... ماذا ستفعلين هل ستعودين للنادي؟!

صمتت زهرة قليلاً لتتفهم صديقتها وإن صعب عليها هذا:

- لا .... ليس الان... سأبتعد عن النادي بضعة أيام.

- هذا أفضل.

- لكن هذا لا يعني ألا أراك.. لما لا تمرى علي غداً أو بعد غد لتتحدث سوياً.

صمتت ياسمين فأضافت زهرة:

# العودة

- مازن ليس هنا... مازال في شقة زياد.

- توقفي عن ذكر ذلك لي.

- حسناً.. المهم.. متى ستمرين علي؟!

- سأتصل بك قبلها.

- حسناً.

انتهت مكالمتها مع ياسمين وعاد قلقها بشأن مازن وزياد:

- هل حقاً لن يخبره.... أتمنى ذلك.

أمسكت هاتفها وأرادت الاتصال بزياد لكنها تراجعته:

- سأبدو غريبة إن تحدثت إليه الان، سأثق بمازن.... هذا كل ما يمكنني فعله.

شعر مازن بالسعادة وهو يقوم بعمله كالعادة، لكن هذه المرة السعادة كانت مضاعفة، حتى أن الجميع لاحظ التغيير في تصرفاته حيث أنه لأول مرة ينيهم لميعاد صلاة الظهر وينزل معهم ليؤدوها في المسجد.

- أنا سعيد مازن أنك تصلي معنا اليوم.

قالها مراد في سعادة واضحة فقال زياد:

- ليس أكثر مني.

# العودة

فابتسم مازن:

- بل ليس أكثر مني أنا.

تعالَتْ ضحكاتهم جميعاً بينما قال ياسر:

- حسناً.... وجبة الغداء هدية مني.. احتفالاً بهذا التغيير الايجابي لعزیزنا مازن.

ابتسم الجميع مؤيدين الفكرة بينما ينظر لهما مازن في سعادة، ولم لا وهو يرى أن الجميع سعيد به حقاً.

بعد انتهاء يوم العمل الطويل، غادر الجميع واحداً تلو الآخر ولم يبق غير مازن وزیاد فقال  
الاول:

- ألن تغادر؟!!

- سأفعل... سأهبي فقط هذه الخطوط الأخيرة.

قالها زياد وهو منكب على لوحته الهندسية المليئة بالخطوط الرأسية والافقية، ظل مازن  
يحدق بما يفعل ثم ابتسم قائلاً:

- أنا لا أفهم من هذه الخطوط شيئاً.

ضحك زياد:

- لا عليك.... هذا أمر طبيعي... لأنه عمل هندسي بحت.

شرد مازن قليلاً ثم قال:

## العودة

- ترى في أي كلية كنت سأدرس.. وأي مهنة كنت سأمتهن إذا لم أترككم.

توقف زياد عما يفعل ثم نظر له:

- أعتقد أنك كنت ستمتهن التجارة.

- لم؟!؟

- لأن هذا كان عمل عمي.... كان مورد ومصدر للمنتجات الغذائية، وبما أنك ابنه الكبير...

أعتقد أنه كان سيسعى لجعلك تتابع تجارته.

فكر مازن قليلاً :

- معك حق.. أعتقد أن هذا ما كنت سأفعل...لكن.... ماذا حدث لتجارة أبي بعد وفاته...

أنا لا أذكر شيء عن هذا الأمر.

- لا شيء... أبي لم يكن يحب التجارة... فقام بتصفية شركة عمي... وقسم المال بينك وبين

ماهر بالتساوي ووضع في البنك كوديعة.

- وديعة.

- نعم.... هل تعلم كم تبلغ؟!؟

- وكيف لي أن أعلم؟!؟

- هل تحب أن تستلم ميراثك؟!؟

- لا ليس الان.... فأنا لا أعلم ماذا سأفعل به...لكن هذا لا يمنع أنني أريد أن أشارك في

مصروفات المنزل..براتيبي.

ضحك زياد:

# العودة

- لا داعي لهذة الرجولة الزائدة... كما أنك لا تعيش معنا ... حالياً على الأقل.

- ذكرتني... أريد أن أعود للمنزل.

رفع زياد حاجبيه:

- حقاً...وزهرة.

ابتسم مازن:

- لا عليك... التقيتها بالنادي أمس... وتحدثنا قليلاً... واعتذر كلاً منا للآخر.

- حقاً.

- نعم.... أريد حقاً أن أعود للمنزل.

- هذا خبر رائع... فزهرة كانت أكثر ما يؤرقني جيد أنكما تصالحتما.. ولكن كيف بهذة السرعة!!؟

- لا يهم كيف... المهم أن النتيجة في صالح الجميع.

حدق زياد به قليلاً ثم ضيق عينيه قائلاً:

- هكذا.... حسناً هل ستعود الليلة؟.

- نعم... سأذهب الان لشقتك لأجمع أغراضي..وسألتقيك في المنزل.

اتسعت ابتسامة زياد وأوماً برأسه إيجاباً، فتركه مازن مغادراً.

عاد ياسر لمنزله وقد أصابه التعب الشديد، وضع يده على رأسه قائلاً:

## العودة

- حرارتي تبدو مرتفعة.. يبدو أنني أصاب بالزكام.

شعرت ياسمين به وما أن نظرت لوجهه حتى قالت:

- ماذا أصابك؟... تبدو مرهقاً جداً.

التي بنفسه على الأريكة قائلاً:

- أشعر بأن حرارتي مرتفعة.... وأن عظامي محطمة.. يبدو أنني سأصاب بالزكام وستصبحها الحمى.

- حقاً..

وضعت كفها على جبهته مضيئة:

- هذا صحيح.. أدخل لغرفتك لتستريح... سأعد لك حساءً ساخنًا بالبصل والليمون... سيفيدك..

أوماً برأسه ووقف متجهاً لغرفته بينما تبعته ياسمين بقلق، فهي لا تحب أن ترى أيًا من أيها أو أخيها مرضى، أسرعت بإعداد الحساء الساخن وعادت لأخيها لتجده افترش السرير وقد أغلق عينيه، وقفت حائرة.. هل توقظه؟!.. أم تتركه؟!.. لكنه بجأه لهذا الحساء قطع جدالها مع نفسها صوته:

- هاتيه.. ما زلت مستيقظ؟!..

ابتسمت في راحه وهي تعطيه الحساء جلست بجانبه تراقبه يتناوله فنظر لها مبتسماً:

- لا تقلقي.. أنا بخير.. مجرد زكام.

- أعلم... أريد فقط أن أتأكد من شريك للحساء كله.

# المودة

ابتسم قائلاً:

- إنه مر قليلاً...ولكن مادمتِ أعدتِ لي.... سأتناوله كله.

ابتسمت بدورها ولم تقاطع تناوله للحساء، وما أن انتهى منه حتى قامت سريعاً تأخذه منه، وأمسكت بغطاءه لتدثره جيداً، ثم وضعت يدها على رأسه لتجد أن حرارته ارتفعت أكثر فقالت:

- أنتظر لتتناول الدواء الخافض للحرارة قبل أن تنام فحرارتك تزداد ارتفاعاً.

وبالفعل عادت له بالدواء ثم تركته لينام وتأكدت من إغلاق هاتفه الخليوي حتى لا يزججه أحد.

دخل زياد للمنزل وأول من لاقاه كان ماهر:

- ماهر.. كيف الحال؟!

- بخير.

- أراك في المنزل مبكراً...ألن تسهر مع رفاقك اليوم؟!

- لا... أُمي لم تسمح لي هذه المرة...قالت أنني أسهر يومياً تقريباً...فقررت أن أتناول العشاء معكم الليلة.

- هذا أفضل.

دار برأسه في المكان قائلاً:



# العودة

- يبدو إنه لم يأتي بعد.

- عمن تتحدث؟!؟

ابتسم قائلاً:

- عن مازن؟!..قال إنه سيعود اليوم إلى المنزل.

مط ماهر شفيته:

- حقاً... هل تصالح مع زهرة؟.

- نعم...قال لي ذلك.

- هذا أفضل... أعتقد أن أمي تفضل وجود الجميع هنا.

ظهرت زهرة على الدرج متجهه لهما قائلة:

- زياد أنت هنا؟!؟

كانت تتفحص وجهه على أمل قراءة ما يفكر فيه، لكنه منحها ابتسامة هادئة قائلاً:

- نعم... زهرة..أنا سعيد بك حقاً.

عقدت حاجبيها متسائلة: كلمة اشعلت حُلماً

- هذا أمر جيد..ولكن لم؟!؟

- لتصالحك مع مازن...أرجوا أن تكون هذة بداية جديدة لكما بعيداً عن أي صراعات أخرى.

تنفست الصعداء قائلة:

# العودة

- بالتأكد زياد... بالتأكد.

طرق أحدهم الباب ففتح زياد ليستقبل مازن:

- لم تأخرت؟!... تصورت أنني سأعود لأجرك في انتظاري.

وضع مازن حقيته قائلاً:

- أسف... لقد كنت اشترى بعض الأشياء.

خرجت الأم على أصواتهم:

- لم تخني أذناي.. مازن هنا...

أسرع إليها مقبلاً يدها:

- أسف أمي...أسف على كل شيء.

رفع رأسه ناظراً لها:

- يبدو أنني سأعتذر طوال حياتي.

ابتسمت الام قائلة:

- لا بأس من الخطأ مادام لن يكرر.

التفت لينظر لزهرة التي منحته نظرة امتنان فابتسم قائلاً:

- أريد أن أعتذر لزهرة أمامكم جميعاً..وأعاهدها الا أكرر ما فعلت.

ابتسمت بدورها قائلة:

- وأنا أيضاً أعتذر منك.... فلکم كنت ورقة معك.



# العودة

استمر زياد في الابتسام وهو يفتح علبته ليجد فيها ساعة أنيقة للغاية:

- يا إلهي.. إنها أنيقة جداً.

فقال مازن:

- أرجوا أن تعجبك.

- لقد أعجبتني فعلاً... سأرتديها منذ الآن.

وفعلاً شرع في خلع ساعة يده ليضع مكانها ساعة مازن، التفت لزهرة التي كانت تحديق بالحقيبة فقال:

- لا تقلقي لم أنساك.

فأخرج من الحقيبة علبة أخرى لكنها كانت عريضة بعض الشيء فأعطأها إياها، ففتحتها على عجل لتعرف ماذا بداخلها فوجدت وشاح رقيق الالوان، حريري الملمس فأمسكته مبتسمة:

- إنه رائع... شكراً لك.

غمز لها مازن قائلاً:

- يمكن ارتدائه حجاباً للرأس إذا ما قررتي التحجب.

حدقت به لثواني ثم هزت رأسها متممة:

- ألا يكفيني ياسمين!؟

ضحكوا لكلماتها بينما اكتفى ماهر بابتسامة باهتة وهو يتطلع لأخيه الذي عاد للحقيبة ليحملها ويعود بها لماهر قائلاً:

## العودة

- أعلم كم تحب قيادة الدرجات البخارية ولكن نظراً لكونك تحت السن فقررت أن أشتري لك الملابس الخاصة بقيادة الدرجات البخارية على أن أشتري لك الدراجة نفسها فور بلوغك السن القانونية.

مد يده بالحقيبة فأسرع ماهر بأخذها ولم يستطع أن يمنع شعور هائل بالسعادة وهو يخرج معطف أسود جلدي قصير ولامع مع بنطال من نفس الخامة وكذلك الخوذة الخاصة بالقيادة ظل يحدق بهذة الاشياء وسط ابتسامات الحاضرين فقال مازن:

- هل أعجبتك؟!!

- هل تمزح؟!... إنها رائعة..إنها الأفضل...شكراً..شكراً مازن.

ضم أخيه لصدره قائلاً:

- علماً تشكرني..أنا أخوك الكبير..ومن الطبيعي أن أشتري لك ما تحب.. أليس كذلك؟!!

أرجأ ماهر رأسه لينظر لأخيه ثم ابتسم قائلاً:

- بلى... أنت أخي الأكبر وستظل أخي الأكبر.

ضمه مازن مجدداً قائلاً:

- وسأحاول أن أكون الاخ الذي تستحق.

اتسعت ابتسامة ماهر وكذلك زياد الذي يراقبها في سعادة، بينما قالت الأم والدموع تملأ مقلتيها:

- حسناً... هذا يكفي لا أريد أن أبكي.

التفتوا إليها فقال مازن وهو يقترب منها:

## العودة

- لا يا أمي... لا مزيد من البكاء بعد الآن... دعينا نعيد السعادة لهذا البيت كما كان.

رفعت يدها لترت على خده في حنان:

- نعم يا بني... دعنا نعيد السعادة لهذا المنزل من جديد.

دخل فريد ليضع الطعام على المائدة بينما اتخذ الكل مكانه وبدأوا في تناول أفضل وجبة عشاء منذ فترة.

جلست ياسمين في حجرتها لتقرأ في مصحفها لتراجع ما ستقرأه في مقرأتها غداً، حين رن هاتفها الخليوي لتنظر له فابتسمت وهي ترد:

- السلام عليكم أبي... كيف حالك؟!... نفتقدك كثيراً.

- وعليك السلام وأنا أيضاً يا بنيتي... افتقدك ويأسر كثيراً جداً... كيف حالكما؟! ولم هاتف ياسر مغلق؟

- نحن بخير اطمئن... ياسر نائم... يبدو أن اليوم كان مرهق في العمل... فأغلقت هاتفه كي ينام في هدوء.. أرجوا ألا يغضب مني عندما يستيقظ.

لم تُرد أن تخبر أباهما أنه مريض.. فهو يقلق بسرعة، فهذه الرحلة التي خرج فيها مع رفاقه كان يؤجلها دائماً كي لا يتركهما.. وأخيراً نجح في اقناعه بالذهاب ليستمع بوقته، فهو دائماً معها ليقوم بدور أمهما.. وعليه أن يستعد نشاطه لبعض الوقت.

شعرت بابتسامته وهو يقول:

- مثل أمك يا ياسمين.. دائماً حنونه.. حفظك الله لنا يا بنيتي.

## العودة

- وحفظك الله لنا يا أبي...كيف حالك؟!.. هل أنت مستمتع؟!!

- نعم بنيتي.... أنا مستمتع كثيراً..ولا ينقصني إلا وجودكما بجانبني.

- استمتع كما تشاء يا أبي... عد لنا بروح معنوية مرتفعة جداً.

- حسناً حبيبتي... تصبحين على خير.

- تصبح على خير يا أبي.

أغلقت الهاتف وقررت أن تذهب لتطمئن على أخيها. دخلت غرفته في هدوء، كان مختفي تحت غطاءه تماماً، لم ترد أن تزججه لكنها أرادت أن تطمئن على درجة حرارته، اقتربت في هدوء وأرادت أن تمد يدها لتلمس جبهته لكنها توقفت لسماعها صوته يردد في خفوت:

- أمي..أمي...لا تقلقي على ياسمين...أمي.

وضعت كفها على فمها للتكتم صوت شهقاتها:

- يا الهي..ياسر..ياسر..هل أنت مستيقظ؟!!

لكنه لم يجيبها وظل يتم بكلمات لم تفهم معظمها رفعت الغطاء عن رأسه ووضعت كفها لتسحبها بسرعة:

- يا الهي..أنت محوم بشدة..ماذا أفعل؟!... ماذا أفعل?!!

أسرعت لتحضر وعاء عميق مملوء بمكعبات الثلج وقطعة قماش قطنية مغموسة فيها، جلست بجانبه على الكرسي ووضعت الكمادة على رأسه لتبردها:

- لم عادت لك هذة الحمى؟... كانت ابتعدت عنك لسنوات.

## العودة

فكثيراً ما كان يصاب بها عندما كان طفلاً وتظل معه لـ ٣ أيام متتالية، فكان يرهق أبويها كثيراً..وطالما رأت أمها وأبوها يقومان بعمل هذه الكمادات له..طوال النهار والليل، ولكن آخر مرة أصابته كان في المرحلة الجامعية ولم تعد له مرة أخرى.. حتى الان.

ظلت بجانبه تبدل الكمادة على رأسه ولكن الحرارة لا تنخفض كثيراً بل ظلت مرتفعة بعض الشيء، فاستمرت في عمل الكمادات.

ومع مرور الوقت شعرت أخيراً أن الحرارة تحسنت، فاعتدلت لتفرك كتفيها ورقبتها من التعب، ووضعت رأسها على حافة الفراش وسرعان ما استسمت للنوم.

\*\*\*\*\*

دخل زياد مكتبه في الصباح مع مازن ملقياً التحية على الجميع ثم لاحظ غياب ياسر فسأل مراد عنه، فأجابه أنه لم يأتي بعد، دخل حجرة مكتبه ليقوم بعمله كالمعتاد وبعد مرور ساعة لم يظهر ياسر بعد فخرج ليسأل عنه مرة أخرى فعلم أنه لم يصل، أمسك هاتفه ليتصل به لكن الهاتف كان مغلق تسرب القلق إليه فذهب لمازن:

- ياسر لم يأتي بعد..وهاتفه مغلق أيضاً.

شعر مازن بتوتر زياد فقال:

- ولم هذا التوتر؟!..ربما يكون نائماً..أو نسي تشغيل هاتفه.

- هو أصلاً لا يغلقه..هناك شيء غير طبيعي.

لم يستطع مازن أن يمنع نفسه من الابتسام قائلاً:



## العودة

- لم تحب أن تقلق على الآخرين؟!..ياسر ليس طفلاً..أليس لديهم هاتف في المنزل؟  
- لديهم بالتأكيد.

- اتصل لتطمئن إذاً.

- نعم صحيح...لم لم أفكر في هذا؟!

أمسك الهاتف ليتصل برقم المنزل ليصله الرنين ويستمر لبعض الوقت ثم يأتيه صوت ياسمين  
الناعس:

- السلام عليكم.

شعر زياد بالحرج لأنه أيقظها فقال:

- أسف يا ياسمين..لم أقصد إزعاجك.... ولكن ياسر ليس هنا..أما زال نائماً أم ماذا؟!

- أسفة يا زياد...لكن ياسر مريض جداً اليوم..لن يستطيع الذهاب للعمل.

- مريض..لقد تركنا وهو بخير أمس.

- لقد عاودته الحمى التي كانت فارقتة لسنوات.

- يا الهي... هذه الحمى من جديد...أعتقد أنه أبقاك يقظة طوال الليل لتمرصيه.

- نعم..ويجب أن أعود إليه الآن..فحرارته تعاود الارتفاع باستمرار.

- أعانك الله وشفاه سريعاً.

- أمين..شكراً لك.

- هل تسمحين لي أن أمر عليه بعد العمل..لأطمئن عليه.

- بالتأكد.. البيت بيتك.

شكرها وأغلق الهاتف فقال مازن:

- أي حمى هذة؟!!

- عندما كنا في الجامعة كان لا يمر عام ألا وتصيبه هذة الحمى وتستمر معه ٣ أيام متتالية، وكان على أحد أن يبقى بجانبه طوال الوقت ليبرد رأسه ويعمل على إخفاض الحرارة.. لكن جاء عام تلو آخر ولم تصبه.. ظننا إنها تركته.

- ولم لا يذهب للمشفى؟!!

- ذهب إليها كثيراً وهو صغير حتى كره رأتحتها.. فأصبح يصر على البقاء في المنزل حيث أن الاطباء لا يعلمون سبباً أصلاً لهذة الحمى ولا يفعلون إلا ما يفعله أهله في المنزل.

- أسأل الله أن يشفيه سريعاً.

انتهى العمل وهم زياد بالمغادرة سريعاً فاتصل بزهرة قائلاً:

- زهرة هل أنت في المنزل؟!... جيد... سأمر عليك لنذهب لزيارة ياسر وياسمين... ياسر مريض وأريد أن أمر عليه ولأن الوالد ليس في المنزل لا يمكن أن أذهب وحدي... بعد ١٠ دقائق سأكون عندك.

وصل هو ومازن فعلاً ليجدا زهرة في انتظارهما أسرعت زهرة إليهما قائلة:

- لقد أتصلت بياسمين... وأخبرتها بقدمنا.

# العودة

- هذا جيد.

قالها زياد مضيفاً:

- هيا اركبي... وأنت مازن.. تعال معنا.

لوح مازن بذراعيه:

- لا.. لا.. اذهبا أتما... أفضل البقاء.

- ما هذا الذي تقول؟ .. أعز أصدقائي مريض.. ولا تريد أن تأتي معي للإطمئنان عليه... هيا اركب.

تطلع له مازن قليلاً ثم التفت لزهرة التي رفعت إحدى حاجبيها قائلة:

- ربما لديه سبب مقنع للرفض.

ابتسم مازن قائلاً:

- لا يا زهرة... سأتي.. ليس لدي أسباب للرفض.

وصلوا إلى المنزل لتستقبلهم ياسمين:

- أهلا زهرة أهلا زياد.. تفضلاً.

لم تكن رأت مازن الذي كان متأخراً فقال زياد:

- لحظة.. مازن معنا.

## العودة

لا تعرف ياسمين ما أصابها بالضبط عندما قال زياد جملته فلقد تسمرت للحظة قبل أن تلتفت لهم وترى مازن يدلف للمنزل وقد خفض ناظريه للأرض ثم رفعها إليها قائلاً:  
- السلام عليكم.

لا تعرف لم خرج صوتها مبوحاً وهي تقول:  
- وعليكم السلام...تفضلوا.

شعرت بارتباك شديد، تمت لو أمكنها التماسك أكثر، كانت زهرة تتابعها بدقة وعلى شفيتها ابتسامة حزينة، أما زياد فاتجه لغرفة ياسر مباشرة وخلفه مازن، فتحت لهما ياسمين الباب، ليروا ياسر وهو مغمض العينين وعلى رأسه الكمامة فقال زياد:  
- كيف حاله الآن؟!

- كما تعلم...ترتفع حرارته وتنخفض باستمرار...وفي كل الأحوال علي متابعة تبريد رأسه طوال الوقت.

قالتها ياسمين وهي تحاول أن تكون بطبيعتها قدر المستطاع مستغربة مما يصيبها في وجود مازن الذي شعر بتوترها فقال:

- إنه لا يشعر بنا... أعتقد أنني سأغادر...فلقد اطمأنتت عليه.  
أمسك به زياد:

- أنتظر ماذا حدث؟..لقد جئنا للتو...كما إنه يفيق أحياناً..فلتبق لعله يفيق الآن.

## المودة

أوماً مازن برأسه إيجاباً وعمل على تفادي النظر لياسمين طوال الوقت التي لم ترد أيضاً أن تبقى معهم خاصة أن زياد بدأ في عمل الكمادات بدلاً منها، فأحضرت كرسي آخر لمازن ثم غادرت هي وزهرة لتعد لهم شيئاً.

وقفت زهرة في المطبخ تراقب ياسمين التي كانت تتصرف بعصبية وتوتر واضحين فمطت شفيتها قائلة:

- لم لا تتوقفي وتأخذي نفساً.

التفت لها ياسمين متسائلة:

- ماذا؟!.. ولم؟!!!

- يبدو أنك لا تستطيعين رؤية نفسك.... التوتر واضح جداً عليك منذ دخل مازن إلى هنا.

ارتجفت شفيتها للحظه ثم عادت تسكب العصير بالأكواب قائلة:

- ماذا تعنين بهذا؟!... هذا ليس صحيح.

هزت كتفها قائلة:

- فليكن. **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

رفعت لها المشروبات قائلة:

- إذهبي بها أنتِ... علي أن أنظف بعض الأدوات... فلم أستطع فعل شيء بالأمس.. والافضل أن أستغل وجودكم.

## العودة

كانت تحاول الابتسام وهي تقول كلماتها الأخيرة لكنها لم تنجح في هذا أبداً ، تركتها زهرة  
وذهبت لزياد ومازن بالمشروبات بينما التقاها الأخير بوعاء مليء بالماء فسألته:

- ماذا هناك!؟

- زياد طلب مني أن أسكب هذا وأملأه بالثلج..هلا فعلتها أنتِ.

صمتت للحظة ثم قالت :

- ألا تراني أحمل المشروبات اذهب أنت...المجدد بالمطبخ..سأضع المشروبات في الداخل.

تركها وذهب وهو يردد:

- المشروبات!! كان يمكن أن أحملها أنا.

تناهى إلى مسامعه أنشودة تأتي من المطبخ ، اقترب في هدوء ليرى ياسمين تقف وهي  
ممسكة بهاتفها... تستمع لأنشودة عذبة لم يستطع إلا الأنصات لها.

"عصيتُ والذنبُ كبير...وإني في حزني أسير...مقيدٌ بذنبي ياااا رب

فهل يستحقُّ يااا...إلهي العفو مجرماً...مقرّ بالذنوب...ياااا إلهي

يااا إلهي ..يااا إلهي...يااااا إلهي

أنت الذي خلقتني.... رحمتني.... وورزقتني

دوماً يا رب قد كنت معي

لكنني نأيت عنك...نسيت ما قد كان لك... وسيرتُ في طريقي يااا إلهي

# العودة

يااا الهى ..يااا الهى...ياااا الهى "

شعر مازن بأن مقلتيه تمتليء بالدموع وكأن هذة الكلمات تخرج من قلبه هو وليس من هاتفها فحشي أن تراه ياسمين فأراد أن ينيها لوجوده قبل أن تنهر دموعه بالاستمرار في الاستماع.

"انشودة رائعة"

انتفضت في فزع حتى أن هاتفها كاد يسقط منها وهي تحرق بمازن الذي قال في أسف:

- أنا أسف...حقاً أسف...لم أقصد إفزاعك.

أغلقت هاتفها وهي تسأل نفسها:

"يا الهى..منذ متى وهو هنا!?"

وكانه سمع سؤالها فقال وهو يرفع الوعاء الذي معه:

- لقد طلب مني زياد أن أملا هذا بالثلج...فتناهى إلى مسامعي هذة الانشودة الجميلة فلم

أتمكن من مقاطعتك..

حاولت التماسك وإن كانت لم تتمالك وجنتيها اللتان احمرتا نجحلا فأردف قائلاً في حزن:

- ولكن مثل هذة الانشودة يمكن أن يستمع لها من هم مثلي وليس مثلك.

لم تستطع منع عينيها من النظر إليه والتألم للحزن الذي ملأ وجهه، فأرادت أن تخفف عنه

فقال:

## العودة

- لم تقول ذلك... لقد مات المعصوم الوحيد في هذا العالم..النبى محمد عليه الصلاة والسلام، لذا أي شخص آخر عاقل عليه أن يستمع لمثل هذه الكلمات...فجميعنا أصحاب ذنوب.

- جميعنا..لا أعتقد أنك يمكن أن تقومي بما قمت به أنا.

هزت رأسها:

- بغض النظر عن نوعية الذنب... في النهاية هو ذنب وأي ذنب يمكن التوبة منه..مدام ليس فيه شرك بالله.

شعر بالراحة لكلماتها فقال:

- أتمنى أن يقبل توبتي.

لم تمنع نفسها من الابتسام:

- هو سمى نفسه "قابل التوب" فإن صدقت نيتك..سيقبلها منك بإذنه ومشيتته.

تأمل وجهها قليلاً ثم منحها ابتسامة هادئة:

- شكراً لك...شكراً لك حقاً.

سرعان ما فقدت هدوءها بسبب ابتسامته التي تزيد من وسامته، حاولت التماسك لكن تأمله لها زاد من خجلها فرفعت يدها:

- هات الوعاء لأملأه بالثلج.

فأعطاه إياه ، أسرع تسكب الماء ثم تملئه بمكعبات الثلج ، ونظراً لتوترها سقطت بعض المكعبات على الأرض فاقترب مازن ليحملها مما دفعها للإرتداد للخلف، لكن مازن حمل



## العودة

المكعبات ووضعها في الوعاء التي مازالت تمسكه فأعطته الوعاء بسرعة وأولته ظهرها وشاهدها تمسك بالمنضدة التي أمامها في توتر وكأنها تستمد منها القوة لتحافظ على ثباتها التي فقدته تماماً فعلاً.

تطلع لها مازن لثوان، وشعر بالأسى من أجلها فقال:

- أسف إن كنت أسبب لك كل هذا التوتر.

ضمت يدها وأخذت تفركهما في عصبية وقالت دون أن تلتفت له:

- ماذا؟! لا... لا..أنا فقط قلقه على أخي...كما أنني لم أتم جيداً بالأمس.

ظهرت ابتسامة باهته على شفثيه، فأخذ نفساً عميقاً:

- أنسة ياسمين.

حاولت العبث بأشياء أمامها كي لا تضطر للنظر إليه قائلة:

- نعم.. هل هناك شيء آخر.

صمت قليلاً ثم قال:

- أريد أن أقول شيئاً...وسامحيني فيما سأقول، ربما أعطي لنفسي حق ليس لي...أو أمنح نفسي أهمية لا وجود لها، ولكن إن كان فيما سأقول ولو جزء صغير من الحقيقة... فسامحيني لتطاولي بالحديث عنه.

تسمرت مكانها ولم تدير رأسها له بل ظلت على حالها وقد عقدت حاجبها ولم تقل شيء، فأردف مازن:

- أنسة ياسمين..أنتِ إنسانة رائعة...وتستحقين الأفضل... وأنا لست الأفضل.

# العودة

اعتصرت قبضتيها وشعرت بقلها يهوي في قدميها وهي تستمع له:

- وأنتِ في مكانة بعيدة جداً عني... وأنا لا أستحقك أبداً... فأنتِ أنقى من أن ترتبني  
بشخص مثلي... تستحقين شخصاً تفخرين بماضيه وحاضره وتبدين معه مستقبلكما... وأنا  
لست هذا الشخص... فإن كان هناك أي شعور ولو بسيط نحوي... أرجوك أوقفه بأي  
شكل... فالألم الآن سيكون أقل كثيراً من الألم فيما بعد... أنا أسف حقاً... اغفري لي  
تطاولي... وتحذثي عن مشاعر خاصة بك.. ولكن صدقيني الآن سيكون أسهل... أسف مرة  
أخرى.. سأغادر... شكراً لاستماعك لي.

غادر المكان سريعاً فلم ير زهرة التي الصقت جسدها بالحائط المجاور لباب المطبخ، وكانت  
تحقق به وهو يبتعد عائداً لزياد فأمالت رأسها لتتنظر لياسمين التي لم تتحرك من مكانها وإن  
بدا بسهولة من ارتجاف جسدها أنها تبكي.

دخل مازن على زياد بالوعاء فأخذه الثاني قائلاً:

- لم تأخرت هكذا؟!

- أسف... زياد أريد أن أغادر.

نظر له زياد مندهشاً:

- لم تصر على المغادرة هكذا؟!

- أشعر أنني غريب هنا... كما أنني وعدت ماهر أننا سنسهر سوياً الليلة.

- حسناً حسناً... يمكنك الذهاب.

# العودة

ابتسم مازن لطريقة زياد الغاضبة فقال:

- لا تغضب... سامحني... إذا أفاق أخبره أنني كنت هنا.

- سأفعل.

- متى ستعودا!؟

هز زياد رأسه قائلاً:

- لا أعلم... أفكر أن نبني هنا... ياسمين تعبت كثيراً من تمريض ياسر... سأقضي الليل معه

هنا لأمرضه بدلاً منها وستبني زهرة معها.

قال مازن مندهشاً:

- هل يمكن أن تبني هنا حقاً!؟

ابتسم زياد:

- إنها ليست المرة الأولى... بيتنا هنا كثيراً من قبل.

عقد مازن حاجبيه:

- يا الهي.. أتم مقربون أكثر مما توقعت.

- هيا.. اذهب إذا كنت تريد... وأخبر أمي بالأمر.

- حسناً سأفعل إلى اللقاء.

أراد مازن المغادرة بأسرع ما يمكنه وسعد لأنه لم يصطدم بياسمين مرة أخرى، وإن تساءل

أين اختفت زهرة!؟

# العودة

انتفضت ياسمين عندما شعرت بتزيت على كتفها، فالتفتت لترى زهرة تنظر لها في أسي  
قائلة:

- أسفة، لم أقصد الاستماع...أو ربما قصدت لا أعلم.

فحدقت بها وقالت في غضب:

- زهرة... هل حدثي مازن عني بأي شكل من الأشكال!؟

شعرت زهرة بالارتباك فقالت:

- ماذا!؟...أ..أنا..لا..لم أفعل..

صاحت بها ياسمين:

- زهرة...تكلمي...ماذا قلتي له عني... هو كان يتحدث وهو واثق مما يقول... المقدمة التي  
قالها لم تكن إلا لرفع الحرج عني... بالله عليك لا تكذبي علي.

- هل تتصورينه أعمى..أنت لا تعرفين كيف تبدي حين رؤيته؟

مسحت ياسمين دموعها:

- توترتي وحده ليس كفيلاً بتأكده من شعوري نحوه...زهرة...لن أعيد سؤالي..هل حدثتبه  
عني؟

خفضت زهرة نظرها إلى الأرض، فأمسكت ياسمين بذراعها وجذبتها إلى غرفتها، لتغلق  
الباب خلفها قائلة:

- تكلمي أنا أسمع.

# العودة

تناهى إلى سمعها صوت انغلاق باب المنزل، فتمت زهرة:

- أعتقد أن مازن غادر.

لم تعلق ياسمين بل كانت تنتظر المزيد من الكلام من زهرة التي لم تعرف ماذا تقول؟!.. تعلم أنها ستغضبها لكنها تكلمت:

- أنا لم أخبره صراحة أنك تشعرين نحوه بشيء... في الحقيقة... قبل أن يحدث ما حدث وإنقاذ مازن.. كنا لا نتحدث.. وأنتي تعلمين أنني لم أكن أطيعه، وعندما شعرت أنك مهتمة به، وأخبرتكَ حقيقة غيابة عنا، في نفس الليلة أخبرته أنك أصبحتي تعلمين كل شيء عنه وعن ماضيه الذي بالتأكيد لن تفخري به، وأنتي لن أسمح له بأن يؤذيك.. وكلام كثير مؤلم وقاسي... حتى أنه صفعني مما أسقطني وسبب لي الكدمة التي حبستني في البيت عدة أيام ولم أخبرك حينها لأنني أعلم ردت فعلك وأنت ستغضبين مني.... ولم أراه بعدها إلا في النادي عندما أقتذني من هذا الوجد.. وحينها شعرت كم أخطأت في حقه وحقك.... أردت أن أصحح الوضع.. وأساعدكما.. ولكن..

توقفت عن الكلام والتفتت تتطلع لوجهها في المرأة، فقالت ياسمين:

- ولكن ماذا؟!..

"...اصمتي زهرة.. ليس من المفترض أن تخبرها بما لم يخبرها مازن به..."

- زهرة تكلمي.. ولكن ماذا؟!..

هزت رأسها:

- لا شيء... أأست من طلب مني ألا أتحدث نيابة عنه؟!.. هو لم يقل لكي لم سأقول أنا.

## العودة

- زهرة...لا تثيرين غضبي...كان يجب أن يحدث هذا من البداية قبل أن تحدثيه أنتِ عني... أما الآن فلا أعتقد أن هذه الكلمات ستسكتني.

جلست زهرة ومازالت تتطلع لوجهها بالمرآة ولكنها خفضت بصرها:

- ياسمين..أرجوك...لم لا تكتفي بما قاله لك...أوقفي هذه المشاعر كي لا يصبح الألم أكبر مستقبلاً.

صمتت ياسمين قليلاً ثم قالت:

- هل تتصورين أن الامر سهل....بعد الكلمات التي قالها أنا أراه شخصاً جديراً بالاحترام وليس العكس.

أغلقت زهرة عينيها:

-..وهذا ما أخشاه ياسمين..أن تتعلقي به أكثر بعد كلماته هذه..فأنا أعرفك جيداً...ربما يجب أن تعرفي..السبب الحقيقي لعدم قدرته على التجاوب معك"

- لم أنتِ صامتة؟!!

التفتت لها قائلة:

- مازن يجب أخرى..

ارتجفت شفتاها وهي تسمع تلك الجملة التي مرت عبر قلبها كشوكة كبيرة ورددت:

- يجب أخرى!!

زفرت زهرة زفرة حارة:

## العودة

- أنا أسفة ياسمين.. أعلم أن شخصيتك وطبيعتك ستجعلك تتعلقين به أكثر بعد كلماته هذه، ولكنه قالها لي.. قلبه ليس ملكه.. وهذا يعني أن هناك أخرى لا أعلم عنها شيئاً... هو لم يرد أن يجرحك بمثل هذه المعلومة.. أراد فقط أن يسيء لنفسه بأنه ليس أهلاً لك.. وليس أنك لا يمكنكِ ملاً قلبه... ياسمين أنت لا تملكين أي ذكريات مع مازن... ربما الذكرى الوحيدة هي كلماته لك التي قالها منذ قليل... صدقيني الأمر سيكون أسهل عليك.. لأنني أعرف أنك قوية.

قاومت ياسمين رغبتها في العودة للبكاء:

- ما كان يجب أن توكلي نفسك مكاني وتحديثه عني دون الرجوع لي.

- أنا أردت أن أساعد... أردت أن أمنحكما الفرصة.

نظرت ياسمين بعيداً وقد امتلأت عيناها بالدموع

"زهرة... زهرة"

تناهى إلى مسامعها صوت زياد، فخرجت زهرة :

- نعم.. ماذا حدث؟!

- لا شيء... سنقضي الليلة هنا.. أخبرني ياسمين أن ترتاح.. سأمرضه حتى الصباح.

لم تفكر في الاعتراض فقالت :

- حسناً ... سأفعل.

عادت زهرة لها قائلة:

## العودة

- للأسف ياسمين...يؤسفني أن أقول لك..أنك مضطرة لتحمل وجهي طوال الليل، لأننا  
سنمضي الليل سوياً حيث سيقوم زياد بتمريض ياسر بدلاً منك.

كانت محاولة فاشلة من زهرة لتهدئة الأجواء إلا أن ياسمين أشاحت بوجهها بعيداً، فمطت  
زهرة شفيتها متممة:

- يبدو أنها ستكون ليلة طويلة جداً.

\*\*\*\*\*

وصل مازن إلى المنزل وأخبر خالته بما قاله زياد ثم ذهب لحجرة ماهر بعد أن أخبرته خالته  
أنه فيها، طرق الباب برفق ففتح له ماهر مبتسماً:

- أهلاً..لم تأخرت؟!

- أسف... أصر مازن على أن نمر على ياسر أولاً....لكنني تركته وزهرة وعدت لك في  
الحال.

ضحك ماهر ثم قال:

- ولم تمرّون على ياسر...ألم يأتي للعمل اليوم؟!

- لا... إنه مريض...بجى غريبة..تبقيه راقداً طوال الوقت.

- حقاً... شفاه الله.

- أمين..والآن أخبرني...أين تريد أن تسهر؟!

جذبه ماهر إلى فراشه قائلاً:

- هنا.



# العودة

سقطا معاً على الفراش فضحك مازن:

- هنا... هل تريد أن تسهر هنا!؟

- نعم..أذكر إن لم تخنِ الذاكرة.... أنني كنت أتسلل لفراشك كل ليلة بعد وفاة والدينا ونظل نتحدث عن أمنا وأبينا إلى أن نغفو..فعلنا هذا كثيراً إلى أن اختفيت أنت أيضاً.

تطلع له مازن قليلاً ثم قال:

- أسف..أعدك ألا أختفي ثانية.

- حسناً.... المهم أنني أفتقد هذا...دعنا نقضي الليلة معاً..نتحدث حتى نغفو.

- موافق.

نهض مازن قائلاً:

- دعني أبادل ثيابي وأعود لك في الحال.

لم يطل أنتظار ماهر ، حيث عاد مازن حاملاً معه صندوق أسراره الصغير، جلس على الفراش بجانب ماهر قائلاً:

- سأطلعك على شيء... لم يراه أحد على الإطلاق في هذا المنزل.

شعر ماهر بالفضول وهو ينظر للصندوق:

- ما هذا الصندوق!؟

ضحك مازن وهو يقول:

# العودة

- هذا... صندوق أسراري.

- صندوق أسرارك!!!

قالها ماهر مندهشاً، فقال مازن:

- نعم...أهداه لي أبي وأنا صغير...وطلب مني أن أضع فيه أسراري الخاصة.

أعطى المفتاح الصغير لماهر مضيفاً:

- هيا..افتحه..سأشاركك إياه.

ابتسم ماهر وهو يمسك المفتاح ليفتح الصندوق، ليراه في أشياء مختلفة، أمسك بحصان صغير قائلاً:

- يا الهي هذة اللعبة انقرضت..لم يعد يصنعوا مثلها.

أمسك مازن بالحصان:

- للأسف... رغم أنني أحبه كثيراً..وكنت أخبئه من زهرة طوال الوقت...رغم إنها لعبة بسيطة.

أوقف الحصان على الفراش وأمسك بالكرة الهوائية الصغيرة الموصولة به ليضغط عليها، فيقفز الحصان للأمام، ضحك ماهر قائلاً:

- عزيزي هذة اللعبة لن تنفع هذا الجيل...جيل التقنيات الحديثة.

حمل مازن الحصان في كفه قائلاً:

- معك حق... فلنعيده مكانه.

# العودة

أخرج ماهر ورقة قائلاً:

- رسالة من معجبة.

هز مازن رأسه:

- ألا تشغلك إلا هذة الامور...إنها رسالة من أبنينا...هي الأولى....والأخيرة.

تجهم وجه ماهر للحظات فقال مازن:

- اقرأها.

فتح الورقة ليقرأ ما سطر فيها من كلمات، ثم ابتسم عندما قرأ وصية أبيه لمازن بشأنه، ولكن تلاشت ابتسامته سريعاً حين تذكر أن مازن لم يستطع أن ينفذ هذة الوصية لكنه لم يرد أن يعلق على الأمر كي لا تصير الأجواء حزينة فقال مبتسماً:

- إنها المرة الأولى التي أشعر فيها أنني أسمع أبي..فأنا لا أذكره جيداً.

ربت مازن على رأسه:

- لقد كان أباً حنوناً مثل عمي... وكان سعيداً جداً بمجيئك، وأنا أيضاً...فلقد كنت أردد لهما دائماً..أنني أريد أخ كما لزياد أخت.

ابتسم ماهر ثم عاد يبحث في الصندوق فأخرج قلادة ذهبية كتب عليها "مع حبي"، فغمز قائلاً:

- مع حبي... أعترف فوراً من أهداك هذة؟

ضحك مازن وأخذ يفرك رأس أخيه:

- يا الهي... أريد أن أنظف رأسك من هذة الأفكار.

# العودة

أمسك بالقلادة وتأملها قليلاً مضيئاً:

- هذة هدية أبي لأمي يوم ميلادي..أرادت أُمي أن أحتفظ بها حتى عودتها...لكنها لم تعد..  
قالها مازن بجزن، فتأمله ماهر قليلاً ثم أطرق رأسه في حزن هو أيضاً، لكن مازن تنحج  
قائلاً:

- على كل حال سأحتفظ بها... وربما سأهديها لمن ستكون زوجتي يوماً.

ثم أضاف في مرح:

- لا تفكر أن تأخذها مني.

ابتسم ماهر وهو يقول:

- لا تقلق يا أخي..لن أخذها منك ابداً.

-والآن دعني أريك ما قد يريح رأسك.

أخرج مضروف صغير وفتحه بجرص ثم أماله لماهر لينظر داخله، فرأه وردة حمراء جافة  
ومفتته، فأطلق صغيراً قائلاً:

- نعم..هكذا...هذة هي الاسرار التي تعجبني.

ضحك مازن على تعليقه فأضاف ماهر:

- يبدو أن لهذة الوردة قصة أريد أن أسمعها.

أسند مازن رأسه على الوسادة ليفترش السرير وكذلك فعل ماهر الذي وضع الصندوق  
على صدره ليستمع لأخيه:

## العودة

- ليست قصة طويلة... عندما كنت في الثانية عشر..كنت ألتقيت بفتاه في النادي...نيهني زياد انها تتابعني طوال الوقت، وقال أنها ستكون سعيدة إذا تعرفت إليها، وفعلاً ذهبت إليها لأتحدث معها، ولكن المفاجأة أنها كانت صماء وبكماء، ومع ذلك كانت محط إعجاب الجميع لجمالها الطفولي، لم استطع التفاهم معها..لكني كنت كلما أراها أصافحها..وأسلم عليها...وكانت تبتسم في سعادة، وفي يوم ذهبت إليها كالعادة، فوجدتها تتصرف بجياء شديد على غير العادة..فشعرت أنها تريد أن تقول شيء..وضعت يدها في حقيبتها...تصورت أنها ستخرج رسالة ، لكنها أخرجت هذة الوردة...ابتسمت لها...وأشرت لها أنها أفضل هدية أنسلهاها في حياتي وأني سأحتفظ بها للأبد....

صمت مازن قليلاً ثم زفر قائلاً:

- على كل حال لم يستمر الأمر طويلاً...لقد أختفيت من أمها.. بسبب الحادث ودخولي للرعاية...ولا أعلم عنها أي شيء...لا أعلم إن كانت سألت عني أم لا.

ابتسم ماهر قائلاً:

- هل يمكن أن أقول أنها حبك الأول.

أوماً مازن برأسه:

- نعم يمكنك أن تقل ذلك.

- ولم لا تحاول البحث عنها.

نظر له مازن مندهشاً:

- ابحث عنها... ولم أفعل ذلك...في الحقيقة أنا أحب أخرى الآن.

اعتدل ماهر سريعاً قائلاً:

# العودة

- تحب أخرى..من..ومتى حدث ذلك!؟

تهند مازن قائلاً:

- إنها الحسنة الوحيدة في التسع سنوات التي أبتعدت فيها عنكم.

حدق ماهر به قليلاً ثم قال:

- ولن تحدثني عنها لأنها من الماضي.

زم مازن شفطيه قليلاً ثم قال:

- ليس تماماً... يمكنني أن أحدثك عنها.

تراقص ماهر فرحاً:

- رائع..رائع... هيا أنا أسمع.

اتسعت ابتسامة مازن وهو يفكر بها:

- اسمها سلمى... اسم جميل لوجه أجمل...

- صفها لي..صفها لي.

- شعرها ذهبي كالشمس..كنت أشعر أحياناً أنه يضيء ما حولها، عينيها خضراء اللون...

كلما نظرت إليها..اشعر وكأني أتأمل المروج الخضراء الشاسعة...بشرتها كبياض الثلج..

كنت أناديا أحياناً "سنو وايت"... رشيقة القوام..

قاطعه ماهر وهو يلوح بيده:

- أنت....أنت..يكفي..لم أقصد كل هذا الوصف..أستصف لي قوامها أيضاً.

# المودة

نظر له مازن بدهشة مصطنعة:

- منذ متى وأنت هنا؟!

انفجرا معاً ضاحكين، فاحتضن ماهر ذراع أخيه قائلاً:

- متى وقعت في حبها؟!

فكر مازن قليلاً قائلاً:

- لا أعلم... لا أعتقد أن أحد يمكنه أن يجيب على هذا السؤال... أنت فقط تشعر أنك

تحب..ولكنك لا تدري متى وكيف حدث ذلك؟!

- وهل كنت سعيداً بهذا الحب؟!

- أعتقد أن الحب هو الكلمة التي يمكن أن تضع تحتها كل المشاعر المتناقضة التي يمكن أن

تشعر بها... السعادة والكآبة...الفرح والحزن... التضحية والأنانية...الأمن والخوف.

- يا الهي.... هل الحب معقد لهذه الدرجة؟

- معقد كلمة بسيطة لوصف الحب... ولكن لا أحد ينكر..أنه يتمنى أن يشعر به...فلذة

الشعور به تعوض أي مشاعر سلبية يمكن أن تصيبك.

- وأين هي سلمى الآن..هل تستطيع رؤيتها؟!

- هذا هو الجزء الحزين في القصة.... أنني لا أستطيع رؤيتها.... ولا حتى الأطمئنان عليها.

- لم؟!

- فلنكتفي بهذا أنني لا أستطيع.

## العودة

عقد ماهر حاجبيه عندما فهم أن الأمر له صلة بالماضي السيء الذي لا يريد مازن التحدث عنه، فصمت قليلاً ثم قال:

- ومازلت تحبها.

- نعم..مازلت...وأعتقد أنني سأظل أحبها...فهي تستحق ذلك..وربما يأتي اليوم الذي يجمعنا الله معاً.

- مازلت أرى أن الحب لا يجلب إلا المزيد من الألم... أنا لا أريد أن أحب.  
ضحك مازن:

- ولم هذه النظرة الكئيبة عن الحب!؟

- لأن زياد تعب كثيراً بسبب هذا الحب... لقد كانتا أمي وزهرة تبكيان من أجله.  
نظر له مازن مندهشاً:

- زياد... عما تتحدث!؟

- أتحدث عن خطيبته السابقة..ألم يحدثك عنها!؟

- ليس تماماً... فقط أخبرني عندما ذهبنا لشقته عنها..وقال أن الزفاف إلغي قبل مواعده بأسبوع واحد.

أوماً ماهر برأسه:

- هذا صحيح... كم كانت الأجواء كئيبة في المنزل حينها.

أعتدل مازن قائلاً:



## العودة

- لم لا تقص علي القصة كلها..فزياد يكره ذكرها..ولا أريد أن أضغط عليه ليقصها لي.

- حسناً..سأخبرك ما أعرف على الأقل.

- أسمعك.

- كان الجميع في النادي يتوقع حدوث الخطبة سريعاً..فلم يكن زياد من محبي التجوال مع المحبوبة بدون رابط رسمي...وما أن تأكد من مشاعره تجاه ندى، حتى طلبها للزواج مباشرة...سعدنا جميعاً في المنزل لأن أجواء الفرح ستعود له، ولأن زياد لا تعوقه المادة أتفقاً على اتمام الزفاف سريعاً فور انتهاء ترتيب منزل الزوجية، مازلت أذكر وجه زياد حينها..كان يتألق فرحاً ويتسم طوال الوقت...أعتقد أن ابتسامته هذة لم تعد إليه إلا بعودتك أنت.

- حقاً.

- نعم..حقاً.

- حسناً اكمل.

- وكلما كان يقترب من انتهاء ترتيب منزله تزداد سعادته أكثر، كان الجميع يرى بوضوح كم كان يحبها ولكن الجميع أيضاً كان يرى بوضوح أكبر أن حبه لها أكبر بكثير من حبه له..لكن زياد لم يهتم بهذا... فلقد كان يكفيه أن يتسم في وجهه ليشعر بالسعادة البالغة..

وأخيراً تم تحديد ميعاد الزفاف، وفي يوم عاد زياد وكان يبدو غاضباً جداً ولم نعرف السبب حتى أن أمي صعدت لغرفته لكنه رفض الحديث تماماً....وبعدها انقلبت الأمور رأساً على عقب...وتم إلغاء الزفاف..قبل مواعده بأسبوع واحد... أنا لم أعرف بالضبط ماذا حدث بينهما..ولكن علمنا جميعاً بعد إلغاء الزفاف بشهر أنها ستتزوج برجل أعمال يعيش في كندا...وبالفعل تزوجت وغادرت البلاد... لا أستطيع أن أصف لك كيف كان زياد في

## العودة

هذه الفترة.... وتصورنا أنه قد يموت من كثرة الحزن، كانتا أمي وزهرة تبكيان عندما يريا وجهه..الذي كان يبدو وكأنه انتهى من بكاء طويل للتو، لكننا لم نرى دموعه قط....

شعر مازن بالأسى فقال:

- هل كان يجيها لهذه الدرجة؟!!

- لقد كان يعشقها.... لا أستطيع أن أصف كيف يكون حاله في حضورها، وكل هذا انقلب للتقيض بعد فراقها...كان التجهم والحزن السمة الرئيسية لملامحه... وكما قلت لك لم تعود له الابتسامة التي كنا نراها على وجهه قبل فراقها إلا بظهورك.

زفر ماهر مضيفاً:

- أرايت...الحب ليس دائماً سبب السعادة؟!!

مط مازن شفثيه قائلاً:

- بالتأكد عزيزي.... لكنه مازال الشيء الذي يتمناه الجميع...على كل حال ..أتمنى أن تكون قصتك حبك قصة تنتهي نهاية سعيدة.

ابتسم ماهر:

- وأنا أيضاً يا أخي...أتمنى أن تجد سلمى..وتنتهي قصة حبك نهاية سعيدة.

ظهرت شبح ابتسامة على وجهه مازن لكنها اختفت سريعاً، فقال:

- ربما.... صحيح...أنت تستيقظ باكراً معنا..وفهمت أنك تلعب رياضة ما....لكني لم أعرف ماهي حتى الآن.

- أنا أَلعب كرة السلة.

# المودة

- السلة.... هذا يناسبك كثيراً.

- وأنا احبها كثيراً.

- هذا يعني ألا تسهر وأن تنام مبكراً.

- هذا ما أحاول فعله..لكني لا أنجح في هذا أبداً.

ضحك مازن:

- أيها المشاكس... أنت فقط من يجب السهر.

- حسناً سأنام... ولكن حدثني قليلاً عن والدينا..فأنا لا أذكر عنها الكثير... وسأستمع إليك....حتى نغط في النوم كما كنا نفعل.

وافقه مازن على هذا... وشرع يحكي له ما يتذكره عن والديهما.

\*\*\*\*\*

دخلت زهرة حجرة ياسمين بعد أن قدمت العشاء لأخيها فوجدتها التفت بغطاءها وكأنها نامت، اقتربت لتنام على السرير هي الآخري ثم نظرت لياسمين التي لم تتحرك قائلة:

- أعلم أنك مازلت مستيقظة، أرجوك ياسمين سامحيني..أرجوك.

لم تعلق ياسمين فزفت زهرة في ضيق:

- حسناً...اسمعيني إذاً...ربما ما سأقوله سيخفف شعورك بالغضب ناحيتي...ربما ما أنا فيه هو عقدة الطفولة.

صمتت قليلاً ولم تسمع لياسمين أي رد فقالت:

## العودة

- عندما كنا صغار... كنت أشاكس مازن كثيراً..الفرق بيننا لم يكن كبير ٣ سنوات فقط، لهذا كنا نتشاجر كثيراً حين نلعب معاً، كنت استمتع بإثارة غضبه وإخفاء ألعابه، وعندما كان يقول أبي لي أن أتوقف عن مشاكسة زوج المستقبل كنت أصرخ...لن أتزوجه أبداً... فيضحك الكبار بينما أهرب من أمهم، أحياناً كنت أفتعل المشاكل كي يأتي ويساعدني...وكان يفعل هذا دائماً، ولكنه كان يؤنّبني بعدها كثيراً فكنت أرد له الصاع صاعين، كنت دائماً أريد أن أكون نداً له، وعندما فقدناه بسبب الحادث، حزنت كثيراً أظني أخبرتك بأني بكيت كثيراً حينها، وعندما لم يعد لنا وفضل الاختفاء، صور لي عقلي الطفولي..أنه هرب لأنه لا يريد أن يتزوجني في المستقبل، ظللت ألوم نفسي على فقدته، ولكن مرور السنوات أجبرني على النسيان، وعندما عدت ليخبرني زياد أن مازن عاد وهو نائم بغرفته، لم أصدق نفسي...هل حقاً عاد؟!... ولكن لماذا الآن..وأين كان؟!... صعدت لغرفته ووقفت أمام بابها كثيراً كم كنت أتوق لأرى وجهه، كيف أصبح شكله؟!... لكنني هرولت لغرفتي قبل أن يراني أحد، وعادت لي كل الذكريات الأليمة التي عشتها برحيله، ورغم الشوق التي شعرت به حينها إلا أن الغضب كان أكبر... كيف يعود بهذة السهولة بعد أن ابتعد عنا كل هذة السنوات..هل يتصور نفسه سيعود ليجد كل شيء مثلما كان... فقررت ألا أجعله يشعور بالراحة سريعاً..قررت أن أنتقم لبكائي الطويل والذي لم يشعر به أحد.

اعتدلت ياسمين لتنظر لرفيقتها التي سألت دموعها على خديها ولم تحاول حتى أن تمسحها ، فمالت ياسمين عليها لتمسحها لها قائلة:

- لا تبكي زهرة... أنتِ تحبينه؟!!

هزت رأسها:

## العودة

- لا أعلم... كنت دوماً أشعر أنه لي... لن يشاركني فيه أحد، وعندما عاد تمنيت أن يأتيني.. أن يقل لي أنه أسف... أنتي أعني له أي شيء... لكنه لم يفعل... تعامل معي بجفاء كما كنت أفعل معه، مما أغضبني أكثر وزاد حنقي عليه، ومع رؤيتي لاهتمامك به وقبوله لهذا، أردته أن يتألم.... ولكنني سببت لك أنت أيضاً الكثير من الألم... أنا لا أعرف كيف كنت أفكر... ولم تصرفت بهذه الطريقة؟!.. كل ما أعرفه أنتي لم استطع التوقف.... لم استطع التوقف.

دفت وجهها في كفيها وزاد بكاءها، فاحتضنتها ياسمين:

- اهدي زهرة أرجوك... لا أريد أن يسمع زياد بكاءك... اهداي.

حاولت زهرة أن تتماسك مردده:

- أعلم أنتي كنت غيبه في كل تصرفاتي.... ولكن كما قلت لم استطع التوقف.... ولم أفيق إلا عندما ساعدني مازن وأعاد لي كل الذكريات السعيدة التي جمعتنا في طفولتنا، قلت لنفسي هو لم يتغير إذاً مازن الذي يظهر في الوقت المناسب لمساعدتي. قلت إذا كان يجبك فعلاً سأفعل المستحيل لمساعدته وإن كان هناك جزء داخلي من الطفولة يقول لي مازن لك وحدك.. لكنه لا يشعر بذلك فلم سأجبره، ولكنه حطم حتى فرصتي في مساعدته عندما قال .. قلبي ليس ملكي... يبدو أنه لا أنا ولا أنت لنا نصيب معه.. وهناك أخرى لا نعم من هي أصلاً... ربما هي جزء من حياته التي عاشها بعيداً عنا.

تطلعت لها ياسمين ثم قالت:

- لا بأس زهرة... لا بأس... أحمد الله أن المشاعر التي شعرت بها ليس بالقوة التي صورتها... سأحترم رغبته وسأقاومها... الأمر يحتاج فقط بعض الوقت، وسأغلب

## العودة

عليها...وأنتِ كذلك..عليكِ التفرقة بين مشاعر الطفولة تلك ومشاعرك الحقيقية...وبالنسبة لي لا يوجد داعي أن أسعى خلف شخص لا يوجد لي مكان في قلبه.

- أتمنى أن أكون قوية مثلك ياسمين.

- أنا قوية لأني أعلم من أين أستمد قوتي..أما أنتِ..فيبدو أنكِ مازلتِ تائهة.

هزت زهرة رأسها:

- لمَ تشعريني وكأني من الكافرين؟!

ابتسمت ياسمين وهي تضم زهرة إليه:

- لا عزيزتي..أسفة لم أقصد... كانت ليلة متعبة..وأنا منهكه فعلاً من قلت النوم...دعينا ننام ونرتاح..ونستيقظ بصورة مختلفة سننسى كل هذا وكأنه لم يكن.... وأنتِ كل ما عليكِ أن تعاملي مازن كما تعاملي زياد وماهر..لن يكن صعباً كوني زهرة التي أعرفها وأحبها.

أومأت زهرة برأسها فمحتها ياسمين قبله على وجنتها قائلة:

- نوماً هنيئاً..أراكِ في الصباح... سأستيقظ لصلاة الفجر أتُحِبُّ أن أوقظك.

- نعم...أحب.

ربّ كلمة اشعلت حُلماً

ابتسمت ياسمين:

- حسناً..عمتِ مساءً.

- عمتِ مساءً.

اختفت ابتسامة ياسمين فور أن أدارت وجهها عن زهرة لتستقر على وسادتها وقد أطلقت زفرة حارة محدثة نفسها:

# العودة

-.. "أتمنى أن تنجحي ياسمين.. الأمر لن يكن سهلاً...ساعدني يا رب...ساعدني"

\*\*\*\*\*

وقفت الأم تراقبها مبتسمة في حنو، ثم اقتربت لترت على مازن الذي فتح عينيه ثم ابتسم  
فقال بصوتٍ خافت:

- هل عدتما لهذة العادة مرة أخرى!؟

اتسعت ابتسامة مازن والتفت لأخيه الذي يغط في نوم عميق، فقالت الأم:

- هيا انهض وأيقظه...إذا لم يوقظه أحد فسيتقى نائماً، الإفطار جاهز.

تناول الجميع الإفطار وبينما يخرج مازن من المنزل التقى بزهرة وزياد الذي قال:

- أستذهب من دوني.... انتظري سأغير ثيابي وأعود لك.

أوما برأسه ثم نظر لزهرة وكأنه ينتظر منها أي تعليق فظلت تتطلع له قليلاً فقال:

- هل الجميع بخير؟!... ياسر وياسمين.

فهمت ما يسأل عنه فقالت:

- نعم.... ستحتاج لبعض الوقت... ولكنها ستكون بخير.

ابتسم مازن قائلاً:

- هذا جيد.

- مازن.

# العودة

نظر لها متسائلاً فأضافت:

- لم لم تخبرها أن هناك أخرى؟!!

وقبل أن يجب جاء زياد ليجذبه:

- هيا سنتأخر؟!!

فالتفت لزهرة قائلاً:

- افعلي ذلك نيابة عني.

ثم أسرع مع زياد، ظلت زهرة مكانها متممة:

- لقد فعلت.

سمعت صوت أمها:

- ماذا هناك؟!... لم تقفين هكذا؟!!

التفتت لها قائلة:

- لا شيء يا أمي.. لا شيء.

- هل تناولت إفطارك؟! كلمة اشعلت حُلماً

- وهل تعتقدين أن ياسمين ستتركنا بدون إفطار؟

- كيف حال أخيها؟!!

اتجهت زهرة للدرج قائلة:



# العودة

- كما هو؟!... إنه اليوم الثاني في الحمى... سيقى هكذا اليوم وغداً... أعتقد أنه سيتحسن  
غداً أو بعد غد.

انهمك زياد ومازن في العمل، ولكن هذا لم ينسي زياد الأتصال بياسمين للاطمئنان على  
ياسر، ومع تكرار اتصاله شعر مازن بالغرابة، ففسر زياد هذا بأن ياسمين وحدها معه  
ويجب أن تشعر أن هناك من يطمئن عليهما، خاصة أن أبوها ليس بالمنزل ولا يعلم عن  
مرض ياسر.

وفي نهاية اليوم سأل مازن:

- زياد... هل ستبيت اليوم أيضاً عند ياسر؟

- لا... غداً الجمعة... سأذهب إليه بعد أداء الصلاة وسأقضي اليوم هناك، وزهرة ستأتي  
معي طبعاً... أتحب أن تأتي؟!!

لوح بيده: **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

- لا... لا.. بلغه سلامي... سأذهب مع ماهر للنادي.

ابتسم زياد وهو يتطلع له قليلاً:

- ممن تهرب يا مازن؟!!

- ماذا... عما تتحدث؟!!

# المودة

- لا أعلم أخبرني أنت.

- أخبرك بماذا أنا لا أفهمك.

اتسعت ابتسامته قائلاً:

- لا عليك ..أرى أنك أصبحت تقضي الكثير من الوقت مع ماهر هذه الأيام.

عقد مازن حاجبيه مندهشاً ثم قال:

- نعم.... أريد أن أعوضه الكثير... أعلم أن هذا ليس سهلاً..لكني أحاول.

- هذا جيد.

- حسناً... ألن تغادر؟! مشاعر

- بالتأكيد..هيا بنا.

ركب كلاً منها سيارته لينطلقا عائداً للمنزل، ولم ينتبها لتلك السيارة التي جلس خلف مقودها شاب في عمر زياد، يراقبهما عن كثب وهما يغادران، فhez رأسه قائلاً:

- ألا تفترقان أبداً?!... أريدك وحدك... أريد أن أتحدث معك وحدك.

زفر في ضيق ثم أدار سيارته لينطلق بها هو الآخر. رُبَّ سارية أشعلت حُلماً

وقف كلاً من زياد ومازن وماهر أمام سيارتهما بعد أن أنهوا أداء صلاة الجمعة في انتظار أهما وزهرة، فقال زياد:

- سأذهب مع زهرة لزيارة ياسر، وربما نقضي اليوم هناك... أعد أنت أمي للبيت.

# العودة

أوماً مازن برأسه إيجاباً فسأله ماهر:

- هل ستذهب للنادي معي؟!

- بالتأكيد... ألم نتفق على هذا؟!

وبعد حضور الأم وزهرة أنطلق كلا منهم لواجهته، وفي سيارة مازن سأل أمه:

- أمي... لم لا تأتي للنادي معنا... أليس لديك أصدقاء هناك؟!

ابتسمت الأم قائلة:

- كان لي... ولكن بعد وفاة عمك... لم تعد لي الرغبة في الذهاب لأي مكان.. فكانت صديقتي يأتين لمنزلي... ثم توقفوا عن ذلك... إلا واحدة.. التي كانت أعز صديقتي.. لكنها رحلت عن دينا منذ عامين.

صمت مازن قليلاً ثم قال:

- ولكن هذا لا يمنع.. أن تعودي للخروج ومقابلة صديقاتك القدامى.

هزت رأسها:

- لم تعد لدي الرغبة في الخروج صدقتي.. لن يكن ممتع.

التفت ماهر لها:

- عليك أن تجربي أولاً ثم ترفضني... حقاً أمي... تعالي معنا...

- كُفها عن هذا.. أعدني إلى المنزل.

ضرب مازن جبهته بكفه قائلاً:

## العودة

- آخ..يا الهي..لقد نسيت تماماً الطريق إلى المنزل..ولا أذكر الآن إلا الطريق إلى النادي...فلنذهب إلى هناك...وفور أن تعد لي ذاكرتي سأخذك للمنزل.

ضحك ماهر بينما قالت الأم:

- توقف عن هذا أيها الشاب.

أرسل لها مازن قبلة عبر المرآة التي ينظر لها من خلالها، فابتسمت الأم واستسلمت ثم قالت:

- لم تتغير كثيراً..مازلت تحب أن تضعنا أمام الأمر الواقع.

ضحك مازن عندما فهم ماذا تعني فقال:

- نعم...هذه هي السياسة التي كانت تنجح دائماً مع عمي.

اختفت ابتسامتها قليلاً قائلة:

- لكنها كانت تؤلمه أيضاً.

انحسرت ابتسامته مازن سريعاً ولم يجد ما يعلق به فقال ماهر محاولاً تغيير دفة الحديث:

- أمي ستذهب معنا إلى النادي... لم تفعلها منذ سنوات.

عقدت الام حاجبها قائلة:

- هذا ليس صحيح..ألم تكن حفلة خطبة زياد في النادي؟!

ضرب رأسه قائلاً:

- صحيح..لقد نسيت.

# المودة

وجد مازن هذه فرصة مناسبة للحديث عن خطبة زياد فما زال لم يفهم سبب انفصاله عن  
مخطوبته:

- لقد رأيت خطبة زياد السابقة في النادي.

مالت الأم للأمام قائلة:

- ماذا...هل عادت من كندا!؟

- يبدو ذلك.

فقال ماهر:

- ولكن كيف عرفتها أنت لم تراها من قبل.

- لقد كنت مع زياد عندما تحدثت إليه.

رفعت الأم حاجبيها:

- هل تحدثت إليه...لم يخبرني زياد بذلك!؟

هز مازن كتفيه:

- لم يكن حديثاً طويلاً...لقد أوقفته لتسأل عن أحواله.

- أحواله....يالوقاحتها.

قالتها الأم في سخرية، فقال مازن:

- كانت تحمل رضيعاً وأخبرته أنها اسمته زياد.

ضربت الأم كفاً بكف قائلة:

## العودة

- وما الذي يعنيه هذا؟!... أنها تحبه مثلاً... هي لم تحب ابني أبداً... هي لم تحب إلا نفسها.. أحببت حبه لها.. ورغبته في اسعادها بأي شكل... لم تفكر يوماً في رغباته هو، لم تفكر يوماً في سعادته هو، أحمد الله... أنه لم يتزوجها.. كانت ستعذبه طوال حياته.

صمت مازن قليلاً ثم قال:

- لكنها كانت تبدو.. وكأنها نادمة.

مطت الأم شفيتها:

- بالتأكد يجب أن تندم.... ماكنت ستجد أحد يحبها ويرعاها مثل ولدي.

نظر لأمه في المرآة قائلاً:

- ولكن... ما الذي حدث لينفصلا بهذه الطريقة!؟

بادلته الأم النظرات ثم نظرت خارج السيارة:

- لأنها لم تحب إلا نفسها، فقبل أن يتم الزفاف بشهر واحد جاءها صديق للعائلة - لم يكن يعلم بأمر خطبتها - جاءها بخاطب جديد، رجل أعمال بكندا ورغم صغر سنه إلا أنه يملك الكثير، منزل في تلك البلد... وقصر في بلد آخر، وبدلاً من أن تنهي الأمر في ساعتها.. أخذت تفكر، ورغم اعتراض أمها على مجرد التفكير في الأمر لكن أبوها لم يهتم، فقد قال لها أختاري مافيه مصلحتك، بدأت تفتعل المشاكل مع زياد لأتفه الأسباب، أحسست أن هناك أمر غامض خلف هذا، واتصلت بأمها وأخبرتني بالأمر وهي في قمة الاحراج، لكن أرادت أن تبريء ذمتها أمامي مما يحدث، لم أستطع أن أخبر زياد، كنت أعلم أن هذا قد يحطمه ولكنه لم يبقى سراً طويلاً فلقد تناقل الخبر في النادي، وقامت بإنهاء الخطبة قبل الزفاف بأسبوع، ودون أي حمرة نجل، عقدت قرانها على هذا الخاطب

## المودة

الجديد،...كنت أتمنى أن أراها مرة واحدة حينها لأقتلها بيدي...حمداً لله أنها غادرت البلاد ولم يعد ابني يراها، ولكن أن تعود الآن وتحدث إليه، هذا أمر مخيف...أخشى أن تجذبه ناحيتها مرة أخرى.

هز مازن رأسه:

- لا تقلقي أُمي... لم أشعر أنه حن إليها إطلاقاً...فلقد تحدث معها بقسوة لم أعتادها منه أبداً.

زفرت الام في ضيق:

- لم ذكرتني بهذا الأمر وأنا في طريقي للنادي..أخشى أن ألتقيها هناك.

- لا أعتقد أنها لديها الجرأة لتقترب حتى منك يا أُمي.

- وأنا لا أريد أن أراها أصلاً.

\*\*\*\*\*

دخلت زهرة مع ياسمين للمطبخ لتضع الطعام الذي اشتراه زياد بينما تقول الثانية:

- لم يكن هناك أي داعي لشراء الطعام من الخارج، كنت سأطبخ لكما ماتأكلانه.

ضحكت زهرة قائلة:

- هذا ما قلته لزياد، لكنه أصر..قال أنك تتعبين مع ياسر، فليس من المفروض أن نزيد

تعبك بالوقوف في المطبخ... حنون أخي كثيراً، ترى من ستتزوجه لتمتع بهذا الحنان

وحدها.

قالتها وهي ترمق ياسمين بنظرة ذات مغزى، فرفعت ياسمين إحدى حاجبيها قائلة:

# المودة

- ستزوجه التي هي من نصيبه.

مطت زهرة شفيتها ثم قالت:

- لقد سأل مازن عن حالك... فأخبرته أنك ستكونين بخير... أليس هذا صحيح؟!

صمتت ياسمين قليلاً ثم قالت:

- نعم... صحيح.

- في الحقيقة سألته عن أمر آخر؟

هزت ياسمين رأسها ثم قالت:

- دعيني أظن، سألتيه لم لم يخبرني عن الأخرى.

ضحكت زهرة وربتت على كتف ياسمين:

- دائماً تؤكدين لي أن صداقتنا ليست من فراغ... هل تحبين أن تسمعي الإجابة؟!

هزت كتفها بلا مبالاة فغمزت زهرة:

- حقاً.. حسناً لن أخبرك.

- سخيفة. **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

ضحكت قائلة:

- أنا.. أشكرك...، في الحقيقة طلب مني أن أفعلها نيابة عنه.

- ولم لم تخبريه أنك فعلتي؟!

- لأنه قالها وأنصرف.. ولم ينتظر ردي.



# العودة

- هيا دعينا نعد الطعام.

قالت معترضة:

- ليس الآن...نحن لسنا جائعين...إذا كنتِ جائعة تناولي أي شيء الآن... سأنتظرك في غرفتك.

ظلت ياسمين تحديق بها حتى غابت عن ناظرها:

- يا الهي.... أعتقد أنني لو كنت قابلتك بعد ارتدائي للحجاب ما كنتِ لتصبحين صديقتي، حقاً لا يجب أن نحكم على الأمور من ظاهرها فقط.

مضى اليوم بشكل طبيعي واستمر زياد في تمرير ياسر الذي بدأت حالته بالتحسن حيث أصبح يستعيد وعيه أحيانا ويغيب عنه أحيانا أخرى، وعندما حل المساء دخلت ياسمين لتطمئن على أخيها فقال زياد:

- لقد استعاد وعيه لدقائق، هو يردد أنه بخير..فلا تقلقي.

ابتسمت ياسمين ممتنة:

- لقد تعبت معنا كثيراً.

- كيف تقولي ذلك...ياسر أكثر من أخ.

هم ياسر وهو نائم فقالت:

- أمازال يهذي؟!!

- ليس كثيراً.

# العودة

- "ياسمين..ياسمين.... اقبلي زياد...أرجوك...أرجوك"

لم تعرف ياسمين ماذا تفعل وهي تسمع أخيها يردد تلك الكلمات فعلت المستحيل لتحرك قدمها هروباً من المكان، أما زياد فشعر بجرح شديد وقد اتسعت عيناه في ذهول وهو يحدق في صديقه الذي ظل يتمتم، ثم حاول اتنفس بهدوء قائلاً:

- يا الهي ... أيها الوغد...كيف تردد هذة الكلمات الآن...ألم تجد وقت آخر تهذي فيه بهذة الطريقة..لقد أخرجتني وأخرجت أختك كثيراً...

قاطعته ضحكه فلتت من شفتي ياسر وهو ينظر له بعينين مفتوحتين، فوقف زياد مندهشاً:

- ما هذا؟...ماذا يعني هذا؟! اهل كنت تعي ما تفعل؟!...

توقف ياسر عن الضحك ثم قال:

- ألم أخبرك من قبل أنني كنت أستغل هذة الحمى أحسن استغلال، كل ما كنت أتمناه كنت أهذي به في وجود أمي مرة وأبي مرة أخرى وما أن تنتهي الحمى حتى أجد أمنيته قد تحققت.

أسسك زياد بياقة منامته وهو يهزه:

- أيها الوغد.... هل أنت مجنون؟!... كيف تخرجنا بهذة الطريقة؟.

- إهدأ زياد.... لم أسترد عافيتي بعد.

تركه زياد وجلس مرة أخرى وهو ينظر له في غضب فابتسم ياسر:

- لم كل هذا الغضب؟!... وكأنك ستتروجها غداً....هل أنت لا ترغب فيها لهذه الدرجة؟!.

# المودة

هز زياد رأسه:

- يا الهي.... أنت لا تُصدق... أنا أتحدث عن الموقف الذي وضعتني وأختك فيه، لقد خرجت من الغرفة وكأنها تهرب من الموت... كما أن كلماتك أشعرتني وكأنني تقدمت لطلبها مثلاً وأنت تنتظر موافقتها.

صمت ياسر قليلاً:

- وما المشكلة؟.. ألم تقل أنك قد تقبل بالزواج من الفتاة المناسبة حتى لو لم تسقط في حبها؟... كما أنني لم أكن لأقولها في وعي... ففكرت أن أقولها في هذيانني.... زياد.. لا تخبرها أنني كنت في وعي.

- وهل أنا مجنون لأفعل ذلك؟!... وإياك أن تتحدث معها في مثل هذا الأمر أبداً... أتفهم؟!!

زم شفتيه قائلاً:

- ماذا؟!!

- لا تضغط على أختك ياسر... لا تفعل.... أرى أنك استردت عافيتك، يمكنني أن أذهب الآن.

وقف استعداداً للمغادرة فأمسك ياسر بذراعه: **رُبَّ عُلَّةٍ اشعلت حُلماً**

- لا تقل لها أنني أستفقت.

- وهل تعتقد أنها أصلاً ستريني وجهها؟... وكأنك لا تعرف أختك.

ابتسم ياسر:

- حسناً.. لا تغضب مني.

- لن أفعل... سأعتبر أنك كنت تهذي فعلاً.

خرج زياد منادياً على زهرة ليرحلا، فخرجت له وكما توقع لم تتبعها ياسمين، فقالت زهرة:

- ياسمين تبلغك شكرها، وتعتذر بسبب صداع مفاجيء أصابها.

ابتسم زياد قائلاً:

- حسناً هيا بنا.

وما أن غادرا حتى خرجت ياسمين من غرفتها لتدخل غرفة أخيها الذي ما أن شعر بها حتى ادعى نومه، فاقتربت منه وتأملت وجهه قليلاً ثم قالت وهي تصك أسنانها:

- ياسر... أنت مستيقظ أليس كذلك؟!!

فتح عينيه ببطء وكأنه يستيقظ من نوم عميق، ونظر لها قائلاً في وهن:

- ياسمين.. أنت هنا.. هل رحل زياد؟!!

نظرت له في غضب قائلة:

- ياسر... هل كنت تهذي فعلاً؟!... أم إنك كنت تعي ما تقل.

قال في دهشة مصطنعة:

- عمّ تتحدثين؟!!

لوحث بقبضتها أمام وجهها:

- لا تخدعني... كنت تفعل ذلك وأنت صغير، أنا فقط من كنت أعلم بذلك.

# العودة

- وما الذي قلته؟!

ضيق عينيها قائلة:

- أشك في أمرك... ولكني أعلم أنك لن تعترف.

- أعترف... أعترف بماذا؟!

أخرجت هاتفها من جيبها:

- لا يهم الآن. خذ تحدث مع أبي.... لم يسمع صوتك منذ أن سافر، وكلما سألت عنك قلت

له أنك مشغول، وأن هاتفك معطل، تحدث إليه وأخبره أنك كنت مشغول قليلاً.

أخذ الهاتف ليتحدث مع أبيه، بينما تتابعه ياسمين التي لازالت تفكر في الموقف المرح الذي

تعرضت له.

\*\*\*\*\*

تابع مازن عمله في المكتب كالمعتاد، وهو يقوم بإتصالته مع العملاء حتى دخل عليه زياد:

- مازن... هل يمكنك أن تذهب لتلتقي بالسيد شاكر، لترى هذه التصميمات، نريد أن

نعرف إذا كان يريد عليها أي تعديلات.

أمسك مازن التصميمات، لينظر فيها قائلاً:

- لكن أنا لا أفهم هذه التصميمات... كيف سأفهم التعديلات التي يريد؟!

- لا عليك... هو مهندس أيضاً... سيفهم هذه التصميمات جيداً وسيضيف عليها التعديلات

التي يريد.

أوماً مازن برأسه:

# العودة

- حسناً سأذهب.

- ربما سيأخذ هذا بعض الوقت...يمكنك العودة للمنزل مباشرة بعدها...ودع التصميمات على مكثبي.

انطلق مازن لينفذ ما طلبه زياد، وبالفعل أخذ الأمر وقتاً، فلقد تفحص السيد شاكر التصميمات كثيراً قبل أن يضيف عليها بعض التعديلات، التي لم يفهم مازن منها شيئاً، وما أن انتهى حتى شكره مازن كثيراً ليرحل عائداً للمنزل.

وبينما يركب سيارته أذا بأحدهم يتشبث بالباب قبل أن يغلقه مازن، تفاجأ مازن بهذا فمال برأسه ليرى من فعل هذا.

- "كيف حالك؟!.. هادي." مشاعر.

فغر مازن فاه غير مصدق، فأضاف محدثه مازحاً:

- اغلق فمك... قد يسكنها طائر.

أغلق مازن فمه وهي يبتلع ريقه بصعوبة قائلاً:

- شوقي...

عقد شوقي ذراعيه أمام صدره: **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

- ما هذا الاستقبال الجاف؟!...لم تفتقدني إطلاقاً؟!!

ترجل مازن من السيارة ليقف أمامه دون أن يقل كلمه واحدة، فقال شوقي:

- لا يهم.... أريد أن أتحدث معك قليلاً، فلنجلس في أي مكان. سأقود هذة السيارة اتبعني بسيارتك.

## العودة

وبالفعل تبعه مازن حتى استقرا على مقهى صغير غير مزدحم، جلس مازن ولم يستطع أن ينطق بكلمه وإن تمنى أن يسأله على الكثير لكنه فضل أن يترك شوقي يتكلم أولاً، ظل الأخير يحدق به لبعض الوقت حتى قال:

- ألا تريد أن تسأل عن أي شيء... سلمى مثلاً؟!

ما أن سمع اسمها حتى ارتجفت شفثاه وضم قبضتيه إليه وكأنه يتمسك بشيء ما فقال في تردد:

- هل هي بخير؟!

- إلى حدٍ ما... لقد رأيت حبيبها يقتل أباهما، هذا ليس سهلاً.

أغلق مازن عينيه للحظة ثم فتحها قائلاً:

- هل أصبحت تكرهني؟!

استرخى شوقي على كرسيه أكثر قائلاً:

- لا أعلم... لم تعد تتحدث عنك.

تألم قلبه كثيراً لهذه الاجابة، فحاول أن يتناسك قائلاً:

- معها كل الحق... ماذا فعلتم... بالزعيم؟!

مال شوقي للأمام قائلاً في صوت خافت:

- لقد حاولنا اسعافه وطلبنا له طبيبه ولكن قبل أن يصل الطبيب مات... طبعاً لن يفعل

الطبيب شيء تركنا وشأننا وغادر... في النهاية قالت سلمى يجب أن ندفنه.... وهذا ما

## العودة

فعلنا... ولقد أخفينا جثته تماماً... ليس لديه أهل غير سلمى ليقدموا بلاغ باختفائه، كل شيء هاديء يا هادي لا تقلق.

لم يشعر مازن بالسعادة لما قاله شوقي فصمت دون تعليق فأردف شوقي:

- لكننا نواجه مشكلة الآن.

عقد مازن حاجبيه متسائلاً:

- مشكلة... أي مشكلة؟!

عاد للأسترخاء في مقعده:

- الزعيم لم يكن يثق بأحد، لا نعلم أين يحتفظ بالمال؟!... ولا حتى سلمى تعلم شيئاً... والمال الذي كان متاح لنا نقد، وأنت تعلم أن المنزل مليء بالفتية والشباب واحتياجاتهم للطعام والشراب والملبس لا تنتهي، والزعيم كان يتولى هذا بشكل جيد، وبوفاته لم نعد للعمل... هو كان العقل المدبر لنا... نخشى من التخبط أو الوقوع في يدي الشرطة، لذا نحتاج لترتيب أوراقنا... وبالتأكيد نحتاج إلى المال.

لم يستطع مازن أن يعرف بالضبط ما يريده شوقي فقال:

- وما الذي يجبركم على البقاء في المنزل.. لم لا تخرجون جميعاً وتبدأون حياتكم من جديد.

أطلق شوقي ضحكه عالية ساخرة، ثم نظر لمازن قائلاً بلهجة غير مريحة:

- ليس جميعنا لديه.. منزل في حي راقٍ.. وأهل يشترون له السيارات الجديدة.

أشاح مازن ببصره بعيداً عندما فهم قصد شوقي وتذكر بغضه الشديد للأغنياء، وقال:

- حسناً... لا أفهم... لم تخبرني بكل هذا؟!



# العودة

عقد شوقي حاجبيه قائلاً:

- حقاً لا تفهم..كنت أتصورك أكثر ذكاءً.

- تكلم مباشرة.

- سأفعل.... لو لم تفعل فعلتك هذة...لكانت الأمور تسير بشكل طبيعي...ولكن لا يمكننا البكاء على اللبن المسكوب، يجب أن نفكر في الغد، وحتى تستقر أمورنا... يجب أن نجد بعض المال، ففكرت أن الوحيد الذي هو مدين لنا بالكثير هو أنت، لذا لن تمنع في أن تقرضنا بعض المال..حتى نعود للعمل ثانية.

أشار مازن لصدره قائلاً:

- تريد أن تقرض مني المال!!

- نعم...ولا تقل لي أنك لا تملك المال، فسيارة كالتى تركبها ويركبها ابن عمك على ما أتذكر زياد، توضح أنك تملك الكثير من المال.

هز مازن رأسه:

- أنا لم أضع يدي على أي مال بعد...زياد هو الذي ينفق وليس أنا.

- لا يهم من الذي ينفق.... أخبره أنك بحاجة لبعض المال..لن يبخل عليك..أليس كذلك؟!

صمت مازن مفكراً كيف يمكن أن يخرج من هذة الورطة، فقال شوقي:

- لا نريد الكثير...فقط أحضر لي في غضون يومين ٥٠ ألف جنية..أنت تعلم أن نفاقتنا كثيرة..ولا تنسى أن سلمى مازالت تعيش معنا.

اتسعت عيناى مازن بعد سماع المبلغ:

## العودة

- ٥٠ ألف.. يا الهي.. أي سبب هذا الذي يمكنني أن أخبره لزياد ليعطيني ٥٠ ألف.

قال شوقي في خبث:

- هادي... انت امهر من يمكن أن يقيم بذلك.

عقد مازن حاجبيه:

- تريدني ان أنصب على ابن عمي.

ابتسم شوقي قائلاً:

- لا... أريد أن تنصب على نفسك... أليس لك مال لديهم.. وعمرك الآن فوق الواحد والعشرون... لم لا تستلم ميراثك.. وتتصرف فيه كما تريد.

فرك مازن جبهته، فأردف شوقي:

- أنا أعلم أنك ستجد الطريقة الملائمة.. المهم أن نلتقي هنا بعد يومان لتعطيني المال... لا تجعلنا نستخدم مالدينا لنأكل.

- ما لديكم!!

- نعم.. كسلى مثلاً.. هي جميلة وكثير سيدفعون لنا من أجل ليلة واحدة معها.

لم يشعر مازن بنفسه إلا وهو يمسك بياقة قميص شوقي ويطبق على عنقه بعنف قائلاً:

- هل جنت؟!؟

لكن شوقي استطاع أن يبعده بسهولة حيث كان دائماً يتفوق عليه بدنياً قائلاً:

## العودة

- أهدأ...الناس تتطلع لنا... أنا فقد أخبرك بأننا لا نحب أن نلجأ لمثل هذه الخيارات...سلمى تعيش معنا..لأنها لا يمكنها إيجاد مكان آخر.. وعلينا جميعاً أن نكفل بعض.... إذا ساعدتنا ستريحنا جميعاً..حتى نعود للعمل، وثق أن سلمى ستكون بخير.

عاد مازن لكرسيه محاولاً ضبط نفسه، فوقف شوقي قائلاً:

- يجب أن أذهب... لا تنس....لقاءنا بعد يومان.

هز رأسه:

- يومان قليل جداً....فليكن بعد أسبوع.

- هل تريدنا أن نتضور جوعاً أسبوع...لن أصبر أكثر من أربعة أيام..أتفهم..سنلتقي هنا بعد أربعة أيام.

لم يعلم مازن كم مر من الوقت وهو مازال في مكانه، شعر بالعجز الشديد، ماذا يمكن أن يفعل؟!..هل يخبر زياد بالحقيقة، فهو يعلم بماضيه..ولكن لا..لا يريد لزياد أن يتورط مع شوقي والآخرين..يجب أن يتصرف وحده، ارتفع رنين هاتفه النقال فنظر ليجد اسم زياد رد عليه ليأتيه صوته:

- مازن أين أنت؟! ألم أخبرك أن تعد للمنزل مباشرة?...لم أنت لست في المنزل?!..!

نظر مازن حوله ليكتشف أن الليل قد حل وهو في مكانه فقال:

- أسف...لقد كنت أتجول بسيارتي..ولم أشعر بالوقت.

صمت زياد قليلاً ثم قال:

# المودة

- مازن...هل أنت بخير؟!

- نعم...لا تقلق...أنا في طريقي للمنزل الآن..سألتك هناك.

لاحظ الجميع شرود مازن أثناء تناول العشاء فلم يكن يأكل تقريباً، برغم أنه لم يتناول شيء منذ الافطار لكنه لم يشعر بأي رغبة في الأكل، نظرت له الأم قليلاً ثم قالت:

- مازن..ماذا بك؟!..هل أكلت في الخارج؟!

لم يجيبها فلم يسمع سؤالها أصلاً فعقد زياد حاجبيه قائلاً:

- مازن..مازن.

انتبه مازن له فقال:

- أسف..كنت شاردا..هل قلت شيئاً؟

- ماذا بك؟! هل حدث شيء في مكتب السيد شاكر.

هز رأسه نافياً:

- لا..لا..أشعر أنني لست على ما يرام..أعتقد أنني مجهد..سأذهب لأنام..عمتم مساءً.

تابعه الجميع وهو يغادر ثم قالت زهرة:

- ماذا أصابه؟!

هزت الأم رأسها:

- لا أعتقد أن الأمر متعلق بالإجهاد.

## العودة

لم يعلق زياد أو ماهر واكتفا بمتابعة العشاء، وما أن انتهوا حتى أسرع ماهر لغرفة أخيه ليطرق بابها في هدوء ثم يدخل لكنه وجد مازن قد التف بغطاءه وأولاه ظهره فقال بصوت خافت:

- مازن هل نمت؟!!

لم يجبه مازن فمط شفنيه والتفت ليغادر فاصطدم بزياد الذي قال:

- ماذا هناك؟!!

- لا شيء... أردت التحدث معه.. لكنه قد نام.

أوماً زياد برأسه وترك ماهر يذهب لغرفته فوقف للحظات أمام باب غرفة مازن ثم اتجه لغرفته هو الآخر.

ظل مازن على شروده في العمل بينما كان يراقبه زياد، مما أكد لديه شعوره بأن هناك أمر جديد قد حدث، ويجب أن يعرف ما هو قبل أن يصطدم بكارثة جديدة، وما أن انتهى العمل حتى طلب زياد من مازن أن يذهباً لتناول العشاء في الخارج أراد مازن الرفض لكن زياد لم يسمح له بذلك.

وفي المطعم ظل مازن صامتاً، فقال زياد:

- كلي أذاناً صاغية.

عقد مازن حاجبيه قائلاً:

- ماذا؟!؟! -

مال زياد للأمام مستنداً بمرفقية على المائدة:

- مازن...هناك شيء قد حدث...وعليك أن تخبرني ما هو.

أشاح مازن ببصره بعيداً، ولم يعلق فأردف زياد:

- مازن أرجوك..تكلم..ما الذي حدث؟! -

نظر له مازن قائلاً:

- لم تعتقد أن هناك شيء قد حدث؟! -

- لأن هناك شيء قد حدث..منذ أمس وأنت لست على طبيعتك.

صمت مازن قليلاً ثم قال:

- كنت أريد أن أحدثك في أمر ما...ولم أكن أريد أن تسيء فهمي.

- لن أفعل.... ماذا هناك؟! -

حك مازن رقبتة وقال دون أن ينظر لزياد:

- أريد ميراثي. **رُبَّ كَلِمَةٍ اشْعَلَتْ حُلُمًا**

عقد زياد حاجبيه:

- ميراثك؟!؟! -

- نعم..ألم تقل لي...أن لي ميراث؟! -

- بلى ..قلت...ولكن لم الآن؟! -

# العودة

- هل يجب أن يكن هناك سبب لأستلم ميراثي؟!

حدق به زياد قليلاً ثم قال:

- لم تتهرب من النظر إلي؟!

نظر له مازن قائلاً:

- أنا لا أتهرب...أنا أشعر بالحرج فحسب.

- هل هذا ما كان يشغلك بالأمس واليوم.

- نعم.

صمت زياد مفكراً ثم قال:

- لا بأس...سنذهب غداً صباحاً للبنك...لتحويل الوديعة إلى حساب جاري...ويمكنك السحب منه كما تريد.

- وديعة.

- نعم....أخبرتك أن أبي لم يستطع أن يدير تجارة عمي...لذا قام بتصفيتها وتقسيمها بينك وبين ماهر ووضع لكل منكما بنصيبه وديعة بالبنك حتى تتمكننا من التصرف في هذا المال كما تريدان.

- وكم بلغ نصيب كل واحد؟.

حك زياد ذقنه قائلاً:

- مليونان.

# العودة

اتسعت عينا مازن قائلاً:

- ماذا؟!... هل تقصد أنني أملك..مليونان.

- نعم...تجارة عمي كانت ناجحة ولو استطاع أي ادارتها لتضاعف هذا المبلغ أضعاف كثيرة.

- هذا كثير.

مط زياد شفنيته:

- ليس تماماً... هناك من يمكنه أن ينفق مثل هذا المبلغ في اشياء ترفيهية في غضون ساعات قليلة.

- لن يكن أنا هذا الشخص.

وصل النادل بالطعام، فشرع مازن بتناول الطعام هرباً من نظرات زياد، الذي لم يشعر بالارتياح أبداً لم قاله مازن. لكنه ليس في مقدوره أن يمنعه عن ميراثه فهذا حقه الشرعي.

وفي الصباح نفذ زياد ما قاله لمازن، تم تحويل حساب مازن لحساب جاري وكذلك تم تسليمه بطاقته الائتمانية، ودفتر الأوراق البنكية.

لم يتبادلا الكثير من الكلام، فتأكد زياد من شكوكه حول سر طلب مازن لهذا الطلب، فلقد استمر مازن في شروده ولم يعد كما كان.

في المساء جلس مازن في غرفته كان التفكير سيقتله:



## العودة

"... ماذا يمكنني أن أفعل؟! ... ماذا لو طلب المزيد من المال بعد ذلك؟!...!!... سيفعل أنا واثق.... ياإلهي.... وسلمي...هل من الممكن أن يؤذوها بهذا الشكل فقط ليحصلوا على المال...ليتني أخذتك معي...ليتني ما تركتك..."  
دفن وجهه بين كفيه مستعيداً ذكراه معها...

"...لا أعلم لم! أشعر بالراحة عندما أتحدث معك!؟!

.....وأنا أيضاً سلمى...أشعر بشعور غريب..كلما رأيتك.

...هل لي أن أسألك سؤال!؟!

.....بالتأكيد.

...مر على وجودك معنا ٤ أعوام...ألا تفكر في الرجوع إلى أهلك!؟!

.... أعتقد أنني فقدت كل فرصي في العودة سلمى..ألا ترين ما نعمله هنا؟!... كيف سأعود لهم؟!...ربما كان من الممكن العودة لهم من البداية ولكنني أضعت الفرصة...ولا أعتقد أنني سأنال أي فرص أخرى.

... عليك أن تجرب قبل أن تقرر؟!!! كلمة اشعلت حُلماً

..... هل يعني هذا أنك تريدني أن أرحل وأبتعد عنك!؟!

ابتسم وهو يتذكر رد فعلها واحمرار وجهها لكلماته وهي تقول

# العودة

" ... لا..أنا لم أفصد..أعني.. أنا لا أريدك..أن تتعد عني..أفصد..عنا..ولكن أرى أن هذه الحياة لا تناسبك..

..... ولا تناسبك أنت أيضاً يا سلمى.

... لقد ولدت لأجد نفسي فيها... عشت هنا ١٦ عاماً... وضعنا مختلف...أنا لم أختَر هذه الحياة...أما أنت..فتقريباً أختارتها."

دق أحدهم بابه ليخرجه من ذكرياته فقال:  
- أدخل.

دلف ماهر للحجرة ليجد أخيه جالساً على فراشه وقد شحب وجهه فقال:

- ماذا بك مازن؟!...لم تبدو شاحباً... وشارداً طوال الوقت.

أشار له أن يقترب منه، فاقترب ليجلس بجانبه وهو ينظر له، فقال مازن:

- هل تعلم فيما كنت أفكر الآن؟!

هز ماهر رأسه نفيماً فأضاف مازن:

- في سلمى... أشعر بالندم لأنني لم أحضرها معي من البداية.

عقد ماهر حاجبيه مندهشاً وقال:

- هل حدث لها شيء؟!...هل وصلتك أخبار عنها؟!

- تقريباً.

- أخبار سيئة

# العودة

صمت مازن ولم يعلق، فأضاف ماهر:

- هل هذا سبب شروذك وحنك؟!؟

أوماً مازن برأسه فأضاف ماهر:

- هل ماتت؟!؟

عقد مازن حاجبيه:

- يا الهي..لا... لا...

- ماذا هناك إذا؟!؟

زفر مازن زفرة حارة:

- لو كنت أثق بأنكم ستقبلوها لكنت أحضرتها معي...ولكني لم أكن أثق في استقبالكم لي..فكيف كنت سأحضرها؟!؟

فهم ماهر أن أخاه لا يريد أن يخبره بحقيقة ما حدث، لكنه كان سعيداً بأن أخاه يتحدث معه لذا ظل صامتاً يستمع له:

- وكنت على حق...لأنكم لم تتقبلوني بسهولة في البداية إلا زياد.  
صمت قليلاً ثم قال:

- ربما الآن هو الوقت المناسب.... ربما يجب أن أحضرها إلى هنا...أليس كذلك ماهر؟!؟

ابتسم ماهر قائلاً:

- لو تستطيع أن تحضرها فلتفعل؟!؟

# العودة

تجههم وجهه للحظات مردداً:

- لو أستطيع... نعم.. لو أستطيع.

- هل الأمر صعب؟!

- ربما.. لا أعلم.

- لم لا تحاول؟!

صمت مازن قليلاً ثم قال:

- حسناً ماهر... يمكنك الذهاب... أشعر بالنعاس.

وقف ماهر قائلاً:

- عمت مساءً.

- وأنت أيضاً.

حاول مازن أن يستعيد طبيعته خلال الأيام التالية لشعوره بقلق كل من حوله عليه، كما قرر سحب المبلغ في نفس اليوم الذي سيلتقي فيه بشوقي، وفكر في أن يطلب منه أن يلتقي بسلمى ويتحدث معها، فبعد كلمات شوقي لم يعد يشعر بالأمان عليها مطلقاً، أما زياد فإكتفى بمراقبة تصرفات مازن وشعر بأنه يستعيد طبيعته بعض الشيء لكن مازال هناك ما يؤرقه.. ولم يعرف إطلاقاً ما هو.

## العودة

وفي اليوم الذي من المفترض أن يلتقي بشوقي، جلس مازن يتابع عمله.. يفكر في الحجة التي سيقولها لزياد ليترك العمل ليقابل شوقي.... دخل لمكتب زياد لكنه لم يجده عليه فجلس في غرفة الاجتماعات الملحقة بالمكتب في انتظاره عائداً لذكرياته...

".....تبدين وكأنك تريدني قول شيء.."

... في الحقيقة.. كنت أريد أن أسألك... لم تحاول احتضاني قط؟

.... ماذا؟!!!

... إذا لم تكن سمعت فلن أكررها.. كان قولها صعب أصلاً.

.... سمعت... هل تريدني أن أفعل ذلك؟!..!

بجمل وتوتر

... لا... لم أقصد ذلك... ولكن عندما أرى شوقي وعبير... أشعر أنك لا تحبني.

.... غريب.. العكس يحدث معي... فعندما أراها... أثق أنه لا يحبها.

... ماهذا الذي تقول؟... هذا مستحيل.. إنه يعشقها.

.... هل فقط لأنه يريد دائماً بين ذراعيه.. هذا يعني أنه يحبها... وماذا عن معاملته السيئة

لها في معظم الأحيان... ومحاولته إخضاعها له لتكون تابعه له فحسب.. تنفذ ما يقول.. وتفكر

فقط في إسعاده... هذا ليس الحب الذي أعرفه.

... وما هو الحب الذي تعرفه؟!!

## العودة

.....الحب الذي أعرفه... هو الحب الذي رأيته بين أبي وأمي وعمي وخالتي.... الحب المتبادل الذي كنت أراه يشع بينهما كلما تبادلا النظرات...حب يحمل الكثير من الثقة والأحترام المتبادل.

... هذا لا يعني أبداً أنهما لم تكن لهم لحظاتهم الخاصة.

..... بالتأكيد...أذكر عندما كنت صغيراً أصررت يوماً على النوم بجانب أمي وعندما عاد أبي وفوجيء بي نائماً في فراشه تصنعت النوم حتى لا يطلب مني الرحيل..فسمعتة يسألها لم هو نائم هنا؟!..فطلبت منه أن يسمح لي بذلك...فلقد بكيت كي تسمح لي بالنوم هنا.. نام بجانبنا وهو يسأل أمي كيف حال زهرتي البيضاء...سمعت أمي تجيب... بخير حال..وإن كانت دائماً في حاحه لكي يسقيها بستانيها المحترف ..... شعرت بكف أبي على رأسي قائلاً..البستاني كان مستعد تماماً لهذا لولا هادم اللذات هذا...كنت صغيراً على فهم ما يقولون ولكني كنت أشعر بالحب في كلامهم..ونمت ليلتها كما لم أنام من قبل..ولهذا لا أنسى هذه الليلة أبداً... ولكني فهمت ماذا يقصدان بعد أن أحببتك...أحبت أن تكوني زهرتي البيضاء..التي أخشى الآن أن أضفها إلي فتدبل أو تتسخ...فأخسرها إلى الأبد.

... هل هذا يعني أنك لن تلمسني أبداً.

ابتسم  
رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا

..... عندما أكون البستاني لزهرتي البيضاء.... سأتمكن من حملها بين كفاي بسهولة ولن أخشى عليها أبداً.

... ومتى ستكون البستاني؟.

..... عندما يجين الوقت المناسب...وأستطيع أن أتزوجك.

ابتسمت في سعادة

... تتزوجني.

.... ولكن إذا شعرتي في أي وقت برغبة في أن تكوني بين ذراعي.. فلا تقاوميها أبداً.

ضربته على صدره وهي تضحك في حياء"

ارتسمت البسمة على وجهه مردداً:

- كم أفتقدك سلمى... هل أصبحتي تكرهيني فعلاً؟.

انتبه لأحدهم يفتح باب المكتب وسمع زياد يقول:

- ما الذي تخطط له بالضبط ياسر... أعلم أن طلبك هذا يخفي شيئاً خلفه.... لقد أصبحت

أعرف نواياك منذ أن أخرجتني وأختك في منزلك.

قال ياسر الذي دخل معه ليجلسا على المكتب:

- وما المشكلة؟!... أي أخ جيد عليه أن يخطط لمستقبل أفضل لأخته الوحيدة.

هز زياد رأسه: **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

- ياسر.. أنا لن أسمح لك أو لنفسني بإجبار ياسمين على أي شيء.

- ومن قال أنني أريد أن أجبرها على شيء... أنا أراك الشخص الأنسب لأختي.. وكل ما

أطلبه القليل من المساعدة.. فلقد أخبرتني أنه ليس لديك مانع من الزواج بفتاة مناسبة حتى

لو لم تكن تشعر بالحب نحوها.

# العودة

- وما هي نوع المساعدة التي تريدني أن أقدمها لك؟!

- أن تجعلها تتعلق بك.

رفع زياد حاجبيه مندهشاً:

- يا الهي... لقد فقت التصور... تريدني أن أشاغل أختك.

رفع ياسر قبضته أمام وجهه:

- لم أقصد هذا حرفياً... أريدك أن تكون أنت... تصرف بطبيعتك.. فأنت شاب رائع...  
ولكن ما المشكلة من أن تكثر من زيارتك لمنزلنا وتكثر أيضاً من السؤال عنها والأطمئنان  
عليها... سيشعرها هذا باهتمامك.

- ربما هذا سيكون مقبول قبل تصرفك السخيف بإحراجك لي ولها بهذا الشكل.. أنا أعتقد  
أنها ستتجنبني طوال الوقت.

- لا يهم... ربما في البداية.. ثم ستتناسى الأمر... هذه ليست مشكلة.

- إذا... هناك مشكلة أخرى.

زفر ياسر:

رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا

- يا الهي.. ماهي؟!

- ماذا لو كان هناك شخص آخر؟!

قفز ياسر من مكانه:

- ماذا تقول؟!... هل هناك شخص آخر؟!



# العودة

قال زياد سريعاً:

- وما أدراني أنا؟!.. أنا فقط أتساءل... فلقد أحببت ندى عام كامل قبل أن أفضي لها بمشاعري، ماذا لو كان قلب أختك مشغول بأحد لا يعلم عنها شيئاً...أختك ليست طفلة..كما أن لها أنشطة كثيرة وتقابل الكثير من الناس.

عاد ياسر للجلوس مردداً:

- معقول... هل من الممكن أن يكون هذا صحيح وأنا لا أعلم.

- أنا فقط أفكر معك بصوت عالٍ... كي لا تذهب جهودك سدى...وتبني أحلاماً على سراب..تأكد من الامر أولاً..وحينها أعدك أن أفكر في الأمر. والآن هيا..أليس لديك عمل تقوم به؟!!

مط ياسر شفثيه ووقف ليغادر المكتب، وقبل أن يغلق الباب قال:

- لو كنت تعلم شيء ولم تخبرني..سأقتلك.

ابتسم زياد قائلاً:

- صدقتي لا أعلم شيئاً.

أغلق ياسر الباب خلفه فهمهم زياد:

- على الأقل هو مجرد شك.

انتفض من مكانه عندما رأى مازن يخرج من قاعة الاجتماعات:

- ماهذا؟ أنت هنا؟!!

# العودة

خفض مازن بصره قائلاً:

- نعم..أسف أنتي لم أنبهك لذلك..ولكني تصورتكما ستتحدثان عن العمل ..أسف.

حدق زياد فيه بضيق ثم قال:

- حتى لو كنا سنتحدث عن العمل...ليس من المفترض أن تستمع لأحاديث الآخرين دون علمٍ منهم.

شعر مازن بمزيد من الحرج:

- معك حق...أسف..حقاً أسف.

أشار له زياد بالجلوس قائلاً:

- هل كنت تنتظري؟!

- نعم.

- ماذا هناك؟!

- أشعر بالتعب والأرهاق اليوم...أريد أن أعود للمنزل...ولكن قبل أن أعود للمنزل سأزور

طبيب..لأني متعب حقاً.

اعتدل زياد قائلاً في قلق:

- ماذا بك...لم لم تخبرني أنك مريض؟!

لوح مازن بكفه:

## العودة

- إهدأ الأمر ليس خطير...أعتقد أنني بحاجة فقط لبعض المقويات..بسبب فقداني للشهية  
هذة الأيام...فقلت ربما من الأفضل أن يكتبها لي طبيب.

- حسناً لا بأس....عندما تعود للمنزل أتصل بي وطمئني....وأرجوا أن تعد لك شهيتك.

حاول مازن الابتسام قائلاً:

- وأنا أيضاً أتمنى هذا.

وقبل أن يغادر مازن سأله زياد:

- بما أنك سمعت ما سمعت..ما رأيك فيه؟!!

عقد مازن حاجبيه قائلاً:

- رأي بماذا بالضبط؟!!

- فيما يريد يأسر...زواجي من ياسمين.

- أعتقد أنه أمر رائع...أنت تستحق أن يسعى الآخرين لزوجك لبناتهم.... أنت أفضل

شاب رأيته في حياتي زياد.

شك زياد أصابعه أمام وجهه مستنداً على مكتبه:

- لم أسألك لتمدحني؟!... أريد أن أعرف هل أعجبتك الفكرة أم لا؟!!

هز مازن رأسه:

- وما شأن إعجابي بالأمر؟!!

# العودة

- هو مهم بالنسبة لي.

لم يفهم مازن قصده لكنه قال:

- حسناً.. الفكرة تعجبي..أنما مناسبان لبعضكما كثيراً...لن تجد ياسمين من هو أفضل منك..وأنت أيضاً تستحق تجربة أفضل من سابقتها.

حدق به زياد قليلاً ثم قال:

- وماذا لو كانت تحب شخصاً آخر؟!

أجاب بسرعة:

- لا أعتقد ذلك.

- ولم أنت واثق هكذا؟!

إرتبك مازن ثم قال:

- أنا لست واثق...أقصد...إنه مجرد رأي...والتأكد من هذا الأمر ليس صعباً...أعتقد أن ياسر سيتأكد من أجلك.... وحينها... عليك فعلاً أن تقرها منك..دعها تعرف كم أنت حنون...أنا واثق أنها إذا عرفتك حقاً لن تحب سواك.

استند على كرسيه قائلاً:

- أشكرك...يمكنك الذهاب الآن..لا أريد أن أثقل عليك.

## العودة

أسرع مازن بالمغادرة كان عليه أن يذهب للبنك سريعاً لسحب المال ثم الالتقاء بشوقي لإعطائه المبلغ. ذهب لينتظر شوقي في المكان الذي ألتقاه فيه، لم يطل انتظاره حيث ظهر شوقي بعد جلوسه بخمس دقائق فقط، مازن كان واثقاً أنه يراقبه وسيظهر سريعاً.

- جيد أنك لم تتأخر.

قالها مازن، فرد شوقي:

- أعلم أن مسؤولياتك أصبحت كثيرة...دعنا ننهي الأمر سريعاً..أحضرت المبلغ كله.

أعطاه الحقيبة قائلاً:

- نعم...لقد كلفني الأمر كثيراً...وكان علي أن أكذب على ابن عمي بسبب هذا.

- لم..ألا يعلم ما فعلناه من أجلك؟!

- لا أحد في عائلتي يعلم شيء عن ماضي...لا أريد لهم أي علاقة بهذا الماضي.

- معك حق... فهو ماضي غير مشرف..أليس كذلك؟!

صمت مازن فأضاف شوقي:

- على كل حال...نحن أنقذنا حياتك...وهذا أقل ما يمكن أن تفعله من أجلنا...سأرحل الآن.

- انتظر.

حدق به شوقي فأضاف مازن:

- أريد أن أتحدث إلى سلمى.

- ماذا؟!!

# المودة

- نعم..أريد أن أتحدث معها.

عقد شوقي ذراعيه أمام صدره:

- لا أعلم ماذا أقول لك...ولا أعلم حتى رد فعلها..فبعد ما حدث...ورؤيتها لحبيبتها يقتل أباه...لم تعد سلمى كما كانت.

- ماذا تقصد!؟

- أصبحت تفضل البقاء وحدها طوال الوقت..عبير فقط هي التي تتحدث معها.

خفض مازن ناظريه فأضاف شوقي:

- لا أعدك بشيء...ولكن سأخبرها بأنك تريد أن تتحدث معها...يجب أن أذهب الآن.

لم يبقى مازن كثيراً فقد خرج سريعاً ليذهب إلى طبيب، فلا بد أن يفعل ذلك كي يثبت كلامه، لكن الطبيب طلب منه إجراء تحاليل معملية أولاً قبل أخذ أي مقويات، لم يفعلها وإنما عاد للمنزل مباشرة. لكنه لم يجد أحد فيه إلا فريد الذي أخبره أن الجميع في النادي وسيتناولون الغداء هناك، لكنه عرض عليه أن يعد له شيئاً يأكله، مازن رفض بلطف وشكره وصعد لغرفته.

\*\*\*\*\*

جلست ياسمين في غرفتها تراجع من مصحفها ما ستقرأه في مقرأتها غداً، فدخل عليها أخوها بعد أن طرق الباب:

- ياسميناتي كيف حالك!؟

# المودة

أعتدت على مكتبها قائلة:

- بخير...كيف حالك أنت؟!

- أنا على ما يرام...ما أخبار مقرنتك؟!

- الأقبال ممتاز..لم أتوقع هذا أبداً...صحيح أن الأقبال من الأطفال أكثر ولكن لا بأس الأمور على ما يرام...حتى أنني أفكر في الاستعانة بآخريات..لن أتمكن من المتابعة وحدي.

- هذا جيد.

صمت وهو يتلفت في الغرفة فعقدت حاجبها قائلة:

- أنت هنا لسبب محدد وتريد أن تسأل عن شيئاً ما.

ضحك قائلاً:

- دائماً تعرفين ما أفكر فيه.

- ماذا هناك؟!

صمت قليلاً ثم قال ببعض الجدية:

- هل هناك من يشغل قلب أختي الصغيرة؟!

رفعت حاجباها في ذهول فلم تتوقع مثل هذا السؤال:

- ماذا تقول؟!

أخذ نفساً عميقاً قائلاً:

## العودة

- ربما ليس من حقي أن أسأل مثل هذا السؤال ..ولكن لأني أحب أختي وأريد لها الأفضل  
أريد أن أطمئن عليها ..هل يمكنني ذلك؟!

- أنا لا أفهم شيئاً!!!

- ياسمين..أنا أسألك...هل أنتِ معجبة بشخصٍ ما..أم لا؟!

- وما الذي يدفعك لمثل هذا السؤال؟!

لم يعرف بما يجب عليها، فتردد قليلاً ثم قال:

- أختي الصغيرة أصبحت فتاة يافعة وقريباً سيدق الخطاب أبوابها...أليس من الأفضل أن  
نقصر المسافة عليهم إذا كان قلبك مشغول بشخص معين.

ضيق عينها قائلة:

- أنا أعرف جيداً ماذا تقصد بذلك...ياسر أنت تُهينني وتهدر كرامتي أمام رفيقك بمجرد  
فرضي عليه.

عقد حاجبيه قائلاً:

- ليس هذا ما جئت لأتحدث عنه.

وقفت تقول في عصبية:

- ولكن هذا ما أريد أن أتحدث عنه... توقف عن فرضي على زياد...هذا أهانة لي  
ولك..ألا تفهم؟!

وقف ليضرب المكتب بيديه:



## العودة

- آخر ما يمكن أن أفعله هو أن أهينك..أنا أخترت لكِ زياد لأنه أفضل من يمكن أن يصون كرامتك..وأنا لا أفرضك عليه إطلاقاً...لكنه يتحدث عن امكانية تعلق قلبك بشخص آخر..وأنا أريد أن أتأكد..هل في ذلك مشكلة؟!

فغرت فاهها في ذهول:

- هل أصبحت مشاعري وسيلة لسمرك مع صديقك...كيف تجرؤ ياسر؟!

حذق بها ياسر قليلاً ثم أخذ نفساً عميقاً ليهدأ:

- ياسمين..أنا لا أتهمك بشيء... الحب ليس جريمة...بل إنه أمر ليس بأيدينا التحكم فيه...أنا فقط أريد أن أطمئن أن الشخص الذي اختارتيه هو الشخص المناسب...الذي سيصون أختي ويحفظ أولاده منها، فلا تلوميني.

أشاحت بوجهها بعيداً قائلة:

- كفى ياسر... لدي أمور كثيرة تشغلني..ولا أفكر في الحب أو الزواج الآن...هل يمكن أن تتركني لأكمل عملي؟!.

تركها مغادراً بالفعل ،جلست مكانها وهي تقاوم رغبتها بالبكاء وعقلها يردد:

".... الذي يصون أختي ويحفظ أولاده منها.."

أطلقت زفرة حارة:

- لا تعلق...فأنا لا أشغل باله على الاطلاق...وعلي أن أتوقف عن التفكير فيه أيضاً... ولكن هل معقول أن زياد يعلم بالامر...زهرة لن تجربه حتماً...هل يكون مازن هو من

## العودة

حدثه في الأمر...وما الفارق...أنا فعلاً لا أريد أن أفكر في الزواج الآن..سأشغل نفسي بالمقراءة طوال الوقت.

عادت تمسك مصحفها مردده:

- يا مقلب القلوب...ثبت قلبي على دينك.

مرت الأيام....

وكان الكل مشغول بشأنه...

ياسمين... زادت من مهامها في المقراءة كي تشغل تفكيرها عن أي شيء آخر خاصة مازن، توقفت عن زيارة زهرة بمنزلها منعاً لأي لقاءات مفاجأة معه أو حتى مع زياد الذي أصبحت تشعر بالحرج من لقاءه بسبب تصرفات أخيها، الذي لم يتوقف عنها طوال الوقت...مرة يحضر زياد للمنزل بشكل مفاجيء بحجة مشاهدة مباراة كرة قدم هامة...ومرة لمناقشة بعض شئون العمل....ومرة لأنه متعب قليلاً وعلى زياد أن يأخذ التصميمات.... ومرة.. ومرة.. ومرة...

لكنها سرعان ما اعتدت على هذه التصرفات التي أصبحت بشكل أو بآخر تجعلها تبتسم بسبب أصرار أخيها وأحياناً بسبب الحرج التي تراه في ردود فعل زياد على تصرفات أخيها، وقررت عدم اعتراضه مرة أخرى فمن الواضح أن اصراره أكبر من أي شيء آخر...ولكنها في نفس الوقت واثقة أنه لن يفرض عليها شيء ترفضه، فتركته يفعل ما يريد.

## العودة

مازن... كان الضيق يملأه بسبب مافعله دون علم زياد، ولكن السبب الأكبر كان عدم رد شوقي على طلبه.. فلم يظهر ليخبره إن كانت سلمى قبلت بالحديث معه أم لا... مما جعله يشعر بالحزن فعلاً متسائلاً... هل سلمى أصبحت تكرهه فعلاً بسبب مقتل أباها.. لكنها كانت هناك ورأت ما حدث.. هو لم يقصد.. أم ربما تفضل ألا تعود لحياته الجديدة ظناً منها أن هذا هو الحل الأفضل... كانت الحيرة تقتله لكنه لم يستطع فعل أي شيء سوى الأنتظار.

زياد... صحيح أنه أنشغل بالعمل قليلاً لكن هناك شيء يخبره بأن مازن يخفي شيئاً جديداً عنه وكان يريد أن يعرف ما هو.. لكنه قرر أن ينتظر فرمما سيأتي ليخبره من نفسه، ومن ناحية أخرى كاد رأسه أن ينفجر من حديث ياسر المستمر معه على ضرورة التعامل مع ياسمين بشكل أو بآخر لكي تتفهمه أكثر وتتعرف عليه أكثر.. هو ليس لديه مانع من الزواج من ياسمين بل أن الفكرة بدأت تروق له ولكن المشكلة بالنسبة له هل حقاً هي لا تفكر بأحد هل حقاً ما ظنته أمه كان غير صحيح، ولكن مازن يبدو أنه لا يفكر بها ولكن هي... هذا هو السؤال الذي يحتاج الأجابة عليه.

أما زهرة فأصبح شأنها شأن آخر... بدءاً الأمر بتحسّن علاقتها كثيراً مع مازن واقتنعت داخلها أنه لن يعاملها كأكثر من أخت أو ابنة عم، فكرت أن تساعد ياسمين فأخبرتها أنه عليها تعلم التجويد أولاً وحضور دروسه عجبها الفكرة وانشغلت بها كثيراً، وبدأت فعلاً في التردد كثيراً على المقرأة وحضور الدروس التي كان يلقي بعضها شادي... وشادي لم يكن غريباً عليها، فلقد كان صديق لأخيها منذ سنوات وطالما تبادلت الحديث معه ولكنه توقف عن ذلك حين التزم دينياً وكان كلما تحدثت له يدير وجهه بعيداً ثم يعتذر منها منصرفاً إلى

## العودة

أن أوضحت لها ياسمين ان التزامه لن يجعله يتعامل معها كالسابق فهي في النهاية فتاة اجنبية عنه، وبرغم عدم اقناعها بذلك الا انها لم تهتم بالامر كثيرا وتوقفت عن الحديث معه. لكن وجودها في المقرأة جعلها تتعرف عليه بشكل جديد... لازل هو شادي الكيس الراقى في تعامله مع من حوله لكنه اضحى أكثر هدوءا واحتراما للجميع ولها أيضاً رغم عدم التزامها بالحجاب، حديثه معها حتى لو لم ينظر لوجهها وابتسامته التي لا تفارق شفثيه، اعجاب الجميع به وبشخصيته كلها أمور دفعتها لمتابعته أكثر، أصبحت تتحجج الفرص لتتحدث معه بحجة سؤاله في التجويد أو غيره وكان يجيبها بكل ود وابتسامته المعتادة رغم أنه لا يطيل النظر لها أبداً حتى إنها تكاد أن تقسم أنه نسي ملامح وجهها.. وشعرت أنها أمام نوع جديد من الشباب نوع لم تتعامل معه من قبل حتى ولو كانت تعرفه سابقاً.. ولا تدري لم أصبح يشغل جزء كبير من تفكيرها والأدهى أنها إذا رآته يتحدث مع أي فتاة أخرى تشعر وكأن قلبها يشتعل ناراً وتتمنى أن تدفع هذه الفتاة بعيداً عنه. خاصة إذا كانت الفتاة محتشمة فهي ترى أن هذا سيدفع شادي للاهتمام بها أكثر، ولكن شادي يتعامل مع الجميع بنفس الطريقة وهذا ما تطمئن به نفسها.

طرقت الأم باب حجرة ابنتها لتفتح الباب لتفاجأ بزهرة تضع وشاحاً على رأسها لكنها سرعان ما خلعتة لرؤيتها أمها فقالت الأم:

- لم نزعتيه دعيني أرى.. أنه يبرز وجهك بشكل أفضل.

ألقت زهرة بالوشاح على الفراش:

- كنت أجرب فقط.

ابتسمت الأم:

# العودة

- هذا جيد.

- هل هناك شيء؟

- ياسمين اتصلت تقول أن هاتفك النقال مغلق.

أسرعت لهاتفها:

- لقد نفذت بطاريته.

- حسناً تقول أنها لن تذهب للنادي اليوم...ستكون مشغولة في المنزل وشادي سيقدم

درس التجويد اليوم بدلا منها.

شعرت بالسعادة لهذا ، ثم لفت انتباهها خاتم لم تراه من قبل يزين بنصر يدي أمها اليسرى:

- أمي...هذا الخاتم رائع أشعر أنني أراه لأول مرة.

ابتسمت الام وهي تمسح على الخاتم بايها:

- نعم...إنه هدية مازن.

صمتت زهرة مفكره :

- الهدية التي طلب منك أن تفتحها وحدك.

- نعم

- ولم؟..أقصد هل كان معه رسالة ما؟!

- الخاتم وحده..أجمل رساله من مازن...هو علم أنني سأذكره وتنبأ بأن رد فعلي سيكون

البكاء.... ربما أراد أن أبكي وحدي كي أخرج كل ما في صدري دون حرجٍ منكم.

- ولم كل هذا؟!

عادت الام تتأمل الخاتم وتعود للوراء بذاكرتها.

"...أمي ماذا تفعلين؟!"

...أترى هذا الخاتم مازن؟!..إنه رائع أليس كذلك؟

...نعم أمي هو كذلك... أيعجبك؟

...كثيراً... ما رأيك أن تخبر زوجي أنني أعجبت به ليفاجئني به كهدية.

ضحك مازن

...هل هذه مؤامرة؟!

...شيئاً من هذا القبيل.

...لدي حل آخر.

...ماهو؟!

...انتظري بضع سنوات وعندما أعمل سيكون هذا الخاتم أول هديه مني لك من راتبي.

...يا الهي مازن...هل تريدني أن أنتظر كل تلك السنوات؟

ظهرت خيبة الأمل على وجه مازن

...أسف خالتي لا عليك...سأخبر عمي نور بإعجابك به.

احتضنته

...لا..لا..حسناً لا تحزن...سأنتظر..ولكن عليك أن تجد عملاً بسرعة فور تخرجك.

# العودة

اتسعت ابتسامة مازن

...حاضر يا أحلى خاله وأم في العالم.

اقرب العم

..ماذا تفعلان!؟

...انظر يا نور..عليك أن تشهد على مازن وعدني من أول راتب له سيشتري لي هذا

الخاتم

..حقاً...هذا رائع...وأنا أقول لك أنه سيفي بوعده...لن يكن الشاب الذي يخون العهد

أبداً"

- لم أتمالك نفسي وأنا اتذكر كل هذا...بكيت كثيراً وسرت أحدث أباك لأخبره بأن مازن  
وفي بوعده لي رغم مرور تلك السنوات، سعادتي ليست بالخاتم، بل بتذكر مازن لوعده  
والوفاء به.

تأملت زهرة أمها في سعادة:

- أنا سعيدة بسعادتك بمازن أُمي.

- وأنا سعيدة لأنه بيننا عزيزتي.

نظرت لساعة يدها قائلة:

- حسناً...سأذهب كي لا أتأخر.

## العودة

ودعت أمها لتخرج بينما تتابعها وقد لاحظت أن طريقة ملبسها تغيرت بعض الشيء فلقد أصبحت تميل لارتداء الجونلات بدلا من البنطال وكذلك أصبحت قمصانها تميل للاتساع عما كانت من قبل.

اتسعت ابتسامة الأم وهي تمسك بالوشاح التي اشتراه مازن لزهرة وكانت تجربه على رأسها:

- يبدو أن دروس التجويد هذة تعلمك شيئا آخر..ولكنه بالتأكيد شيء جيد.

وصلت زهرة للنادي وأسرعت للمسجد لتلحق صلاة العصر الذي يبدأ بعدها درس التجويد مباشرة، وبالفعل لحقت بالمجموعة في القاعة المخصصة ولقد كانوا يتسائلون عن عدم ظهور ياسمين اليوم فأخبرتهم أنها مشغولة وسيأتي شادي بدلا منها، الذي وصل فعلا مبلغا إعتذار ياسمين الشديد، وبدأ في شرح الجزء الذي سيتناوله اليوم.

زهرة تابعته باهتمام وكانت أكثر الموجودين إلقاء للأسئلة وظل شادي يجيبها بحرص واهتمام حتى انتهوا من الدرس، ليبدأ الجميع في المغادرة أما زهرة فاتجهت لشادي قائلة:

- شكراً أنك حضرت مكان ياسمين.  
أجاب مبتسماً:

- لا مشكلة..كنت سعيداً بذلك.

- أرجوا ألا أكون أرهاقتك بأسئلتني.

- لا أبداً...ولكني شعرت وكأني غير قادر على إيصال المعلومة بشكل جيد.



# المودة

لوحت بيدها:

- لا..لا..أبدأ...بل أنت تشرح بشكل جيد..أنا فقط التي أحتاج أحيانا التكرار كي أفهم.
- لا بأس..المهم أن تكوني استوعبتي الدرس جيداً... وإلا ستندم ياسمين على طلب المساعدة مني.

قالت بلهجة رقيقة:

- بالعكس...هذا أفضل ما قامت به ياسمين على الاطلاق.
- لم تعرف إن كان هذا حقيقياً لكنها رأته يرمقها في وجهها لثواني قبل ان يدير وجهه ويبدو عليه الخجل والارتباك قائلاً:

- أشكرك..أشكرك..بعد اذنك...يجب أن أغادر..مع السلامة.
- وقبل حتى أن ترد اختفى من أمامها بسرعة بينما تتابعه وابتسامة كبيرة تظهر على شفثيها.

\*\*\*\*\*

بعد انتهاء يوم العمل وقف زياد، مازن وياسر أمام سياراتهم بينما يقول ياسر:

- لم لا تأتي لتناول العشاء في منزلنا الليلة...لنشاهد معاً المباراة النهائية في البطولة الأوربية.
- ابتسم مازن:

- أنا لست من متابعي كرة القدم...إذهباً أتما أنا سأعود للمنزل.

عقد زياد حاجبيه:

## العودة

- وما المشكلة أعتقد أنك ستستمتع.. إن كنت تخرج من الذهاب لمنزل ياسر يمكن رؤية المباراة على أي مقهى.

اعترض ياسر:

- لا... سنذهب لمنزلي... وما الذي سيخرجه؟!.. هيا.. هيا.

عاد مازن للوراء:

- اهدأ يا رجل.. أنا فعلاً لن أكون مرافقاً جيداً لمشاهدة مباراة لكرة القدم... ساحبوني.. هيا سأذهب.. استمتعا بوقتكما.

لم يسمح لهما بمزيد من المعارضة حيث أسرع لسيارته منطلقاً بها وهو يلوح لهما، بينما جذب ياسر زياد:

- كما يشاء.. هيا.. اتبعني بالسيارة.

\*\*\*\*\*

بينما مازن في الطريق، لاحظ من يضيء ويطفئ مصابيح سيارته الأمامية وهو يتبعه، استطاع تمييز السيارة فتوقف جانباً مترجلاً منها وبالفعل توقفت سيارة شوقي ليهبط منها هو الآخر متجهاً لمازن:

- كم من الصعب أن ألتقي بك وحدك... لم دائماً تسير مع ابن عمك؟!!

لم يجيبه مازن وإنما سأله في لهفة:

- هل أخبرت سلمى بطلبي... هل وافقت؟!!

نظر له شوقي قليلاً ثم قال:

# العودة

- لا...لم توافق.

شعر مازن وكأن قبضة باردة تعتصر قلبه قائلاً في إحباط:

- حقاً.

- على الأقل الان..حالتها النفسية لم تستقر بعد...ربما ستلتقي بك فيما بعد.

هز مازن رأسه متفهماً وإن كان الحزن الشديد رسم على ملامح وجهه فأضاف شوقي:

- ليس هذا ما جئت من أجله.

نظر له مازن متسائلاً:

- وما الذي جئت من أجله إذا؟!!

عقد شوقي ذراعيه أمام صدره:

- أسف صديقي...ولكننا بحاجة لمزيد من المال.

عقد مازن حاجبيه وهو يضغط على أسنانه في عصبية ثم قال:

- ماذا؟!.. هل أنفتم الخمسون ألفاً؟!!

- عما تتحدث؟...هل تتصور أن هذا المبلغ كبير جداً؟... هل نسيت عددنا؟!!

أشاح مازن بوجهه بعيداً قائلاً:

- وإلى متى سأبقى أنفق عليكم؟!!

- إلى أن نعود لعملنا بشكل طبيعي...الذي فقدناها بسبب فعلتك.

عاد مازن يحدق بوجهه بغضب:

## العودة

- وكأني حرمتكم من نعم العمل... اسمع شوقي لن أسمح بهذا الابتزاز طوال الوقت.

رفع شوقي إحدى حاجبيه:

- ابتزاز... ليست هذه هي الكلمة التي توقعت سماعها منك... لقد أنقذتك من السجن.. هل تفهم هذا أم لا؟!!

ضم مازن قبضتيه بقوة وكأنه يكظم غيظه:

- كم تريد؟!!

مط شوقي شفتيه:

- ضعف مادفعت المرة السابقة.. كي لا ترى وجهي سريعاً.

- ماذا تقول؟!.. تريد مائة ألف.

- نعم... هذا ليس مبلغاً كبيراً جداً... حضر المبلغ وسألتني بك بعد ٣ أيام في نفس المكان السابق وفي نفس التوقيت أيضاً.. إلى اللقاء.

تركه شوقي يشتعل ناراً من خلفه وابتعد بسيارته، عاد مازن لسيارته وأمسك بالمقود ليضع وجهته عليه مردداً:

- أحقق.. أحقق... دائماً تتصرف بحماقة.. ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟!!

رفع رأسه ليستند على كرسيه قائلاً:

- ماذا أفعل يا الهي... ألم تقبل توبتي؟!.. أم إن هذا جزء من دين علي دفعه كي تقبلني، ساعدني أرجوك... ساعدني.. أعطني على الاختيار السليم ولو مرة في حياتي.

\*\*\*\*\*

## العودة

جلس زياد مع ياسر ووالده بعد تناول العشاء لمتابعة المباراة التي بدأت بالفعل والذي تحمس ياسر لأحداثها كثيراً فابتسم والده قائلاً:

- لا أعلم لم يتحمس كثيراً أمام هذه المباريات.

ضحك زياد قائلاً:

- في الحقيقة ياسر يتحمس لكثير من الأشياء.

- معك حق.

رد الوالد وهو يشارك زياد الضحك بينما نظر لهما ياسر:

- ما المضحك في الحديث عني؟..أنا أتحمس نعم..لكنني بالتأكد لا أتعصب.

أشار له زياد:

- إهدأ..بالتأكد..أنت لا تتعصب..وهذا شيء جيد...فالعصبية مذمومة في كل الاحوال..سواء للمباريات أو للأفكار.

هز الوالد رأسه:

- بالتأكد يا زياد..أحسنت القول...تعجبني أرائك دائماً.

وصلت ياسمين لتسمع كلمات أيها الأخيرة وهي تضع المشروب البارد أمامهم فقال ياسر:

- ابتعدي من أمام التلفاز.

عقدت حاجبها فقال أبيه:

- توقف ياسر...تعال ياسمين..اجلسي بجانبني.

# المودة

جلست بجانب أيها الذي ربت على كتفها:

- تعبتي اليوم!!

- لا يا أبي... أنا بخير.

انتهى الشوط الأول فحمل ياسر كوب العصير ليمنحه لزياد قائلاً:

- كان شوط رائع... لكن افتقدنا الأهداف.

- سنراها في الشوط الثاني.. لا أعتقد أن فريقنا سيكتفي بإضاعة الفرص.

تابعتهما ياسمين مبتسمة وفوجئت بزياد ينظر لها فأدارت وجهها نجلاً فقال زياد:

- ياسمين... بما أنك أكثر المنخرطين في العمل التطوعي الذين أعرفهم... هل يمكنني أن

أسألك سؤال؟!

قالت مبتسمة:

- تفضل.

- لا أعرف من أين ابدأ.. لكنني أريد أن أتحدث عن مشكلة أطفال الشوارع.. لم لا أجد من

أصحاب المشاريع التطوعية والأنشطة الخيرية أي اهتمام بهم... لم الحديث دائماً عن دور

الأيتام والمسنين... أشعر أن هؤلاء أيضاً يحتاجون إلى أماكن معده خصيصاً لتناسبهم وتصلح

من شأنهم.. ولا أقصد بذلك دور الرعاية التي لا تقدم لهم أي شيء حتى أنهم يهربون منها

سريعاً بل أتحدث عن مكان يتجه إليه أطفال الشوارع بإرادتهم.. وليس إجباراً.. فهم يتعرضون

للكثير من الأساءة المعنوية والجسدية ولا أحد يقدم لهم شيء... هل تفهمين ما أعني؟!

## العودة

ابتسمت ياسمين وهي تستمع له ، فهذا جانب جديد عن زياد لم تراه من قبل وما أن انتهى من كلماته حتى قالت:

- معك كل الحق.... ظاهرة أطفال الشوارع..ظاهرة مؤلمة وتؤرق الجميع...وحلها ليس سهلاً أبداً...ومشاكلهم ليست كمشكلة الأيتام أو المسنين...فهم لم يجدوا التربية السليمة أصلاً..كما أنهم اعتادوا على قانون الشارع...وأصبحوا يعتبرونه المكان الوحيد

لحريتهم... فلكي تقنعهم بأنه هناك مكان آخر سيضمهم وينحهم الاهتمام والأمان وأيضاً الحرية ليذهبوا إليه..فأنت تحتاج الكثير من العمل..وهذا لم يتحقق بعد.

تدخل والدها في الحوار قائلاً:

- أعتقد أن علينا أن نبدأ بسبب المشكلة...فليس كلهم أطفال سفاح بل إن أكثرهم من افترق والديهم ولم يقبلهم أيأ منهم إما عنداً أو فقراً فتركوهم للشارع...فلما لا نفعل مثل الدول المتقدمة وتكون هناك هيئة مخصصة لمراقبة رعاية الابوين لصغارهم فإذا وجدوا منهم إهمالاً بحثا عن الاشخاص الأنسب لهم.

قال زياد:

- لكنهم في الخارج يعرضون هؤلاء الاطفال لتبني..وهذا محرم عندنا.  
- لم أقصد التبني..وإنما الرعاية هناك أسر كثيرة لديهم أولاد ومع ذلك يمكنهم رعاية آخرين.

مطت ياسمين شفيتها قائلة:

- ربما هذا يكون سهلاً وهم صغار ولكن بعد أن يكبروا يصبح الأمر صعباً ففي النهاية هم غرباء عنهم وهناك حُرّمات.

هز ياسر رأسه:

## العودة

- إنها مشكلة معقدة وحلها صعب جداً..ولكن ما سر اهتمامك بهذا الامر فجأة زياد؟!

- لا يوجد سر...أنا فقط أشعر أن المشكلة تتضخم..كما أنها تأخذ منحنيات أخرى...كالسرقة والاتجار بالمخدرات وغيرها من الاعمال غير المشروعه التي يمكن توريط أطفال الشوارع بها.

هز الوالد رأسه:

- معك حق يا بني...أعتقد إنها مسئولية اجتماعية على الجميع المشاركة في حلها.

قالت ياسمين:

- سأحاول أن اتحدث في الأمر مع نشطاء الجمعيات الخيرية لعلهم يصلوا لحل لهذه المشكلة.

- سيكون هذا رائع..وأنا في أتم استعداد للمشاركة.

قالها زياد في حماسة دفعت ياسمين للابتسام بينما يراقبهم ياسر الذي ابتسم هو الآخر ثم اعتدل قائلاً:

- الشوط الثاني بدأ..دعونا نتابع.

علق الجميع بصره بالشاشة إلا ياسمين التي تطلعت لزياد قليلاً ثم تركتهم عائدة لغرفتها.

جلست امام مكتبها تقلب في صفحات كتبها دون وعي مستغرقة في التفكير.

يمكنها أن ترى بسهولة سر تعلق ياسر بزياد وإصراره على أن يكن زوجها، هو شاب رائع بكل المقاييس لا تشوبه شائبة كما يقولون، بالتأكيد الكمال لله وحده ولكن عيوب زياد تكاد تكون غير مرئية، صحيح أن مشاعرها تجاه مازن مازالت تتأرجح في قلبها إلا أنها قلت



## العودة

كثيراً عما كانت عليه، فلکم دعت ربهَا أن يخرج هذه المشاعر من قلبها طالما أنه لن يكن لها أبداً، وهذا واضح..هو فعلاً لن يكن لها أبداً..فلم تربط مصيرها بوهم، هل عليها أن تمنح زياد هذه الفرصة؟، ولكن مهلاً..ماذا لو زياد نفسه لا يريد لها وأن أخيه فقط هو الذي يريد ذلك، معقول..هل يمكن أن يخرجها أخيها بهذا الشكل؟..بالتأكيد هو تحدث مع زياد ونال موافقته قبل أن يسعى خلفها هكذا، ابتسمت لهذه الأفكار التي تجتاحها ولم تشعر بالغضب أبداً..هل لأن هذا يرضي غورها كأثى إذا كان مازن رفضها فزياد قبلها، عقدت حاجبها عندما فكرت بهذه الطريقة وهزت رأسها في عنف:

- ياسمين ..ماذا أصابك؟...منذ متى تفكرين بهذه الطريقة الغبية؟! عليك أن تفكري جيداً...فالأزواج ليس لعبه وزياد يستحق فتاة تحبه حقاً فإذا كنتِ لن تنجحي في هذا فعليك الاعتراف لا اللعب بمشاعر الآخرين.

انتهت المباراة بفوز فريقهم المفضل فقال ياسر:

- رأيت يا أبي..ألم نقل لك أننا سنفوز؟!

ضحك الوالد قائلاً:

- تتحدث وكأنه منتخب بلادك.

قال زياد:

- لقد فزنا...ترى كيف حال مراد..هو غاضب الآن بالتأكيد.

قال ياسر:

- سيتحجج بأي شيء كي لا يرانا غداً.

# المودة

ضحك زياد:

- نعم سيفعل... لقد تأخر الوقت علي المغادرة.

قال ياسر:

- انتظر... سأوصلك للأسفل.

نظر له زياد مندهشاً:

- منذ متى؟!... لست معتاد علي هذا.

أمسك ياسر بذراعه:

- ماذا تقصد؟!.. هيا.. هيا.. سأوصلك.

استسلم زياد له وودع الوالد ليغادر مع ياسر وما أن وصلا للسيارة حتى ركب زياد فقال له ياسر:

- أحسنت عملاً الليلة.

عقد زياد حاجبيه:

- عما تتحدث؟! **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

- أقصد قضية أطفال الشوارع التي تحدثت مع ياسمين عنها... هذا ما كنت أريدك أن تفعله.... جيد أنك استمعت لي.. يجب أن تتعرف عليك أكثر.. وتفهم طريقة تفكيرك.

حدق به زياد للحظات ثم قال:

- هل تتصور حقاً أنني فعلت هذا لأجل أفكارك... أنا كنت أتحدث عن أمر يؤرقني فعلاً.

# المودة

ابتسم ياسر:

- لا يهم...المهم أنك أحسنت الليلة وكفى...سر على هذا الطريق...فهذا يساعدني كثيراً.

هز زياد رأسه مبتسماً:

- أراك غداً يا مهوس.

انطلق بسيارته مبتعداً بينما عاد ياسر أدراجه.

وصل زياد إلى المنزل ولم يلتقي بأحد في طريقه فقد تأخر الوقت فصعد لغرفته مباشرة وما أن دخلها وأضاء النور حتى ارتد للوراء عندما رأى من يجلس على مكتبه ثم انتبه أنه مازن فقال:

- يا الهي..هل تريد إصابتي بأزمة قلبيه..لم تضيء الأنوار مادمت تجلس هنا!؟

قال مازن بصوت هادي وحزين:

- أسف لم أقصد.

شرع زياد في استبدال ثيابه وهو يقول:

- لا عليك..لم تنتظرنى..هل هناك شيء ضروري!؟

وقف مازن ليتطلع من النافذة قائلاً:

- هل قضيت وقتاً ممتعاً!؟

- نعم...لقد فاز البرسا.

# المودة

التفت له مازن قائلاً:

- من؟!!!

ضحك زياد:

- فريقنا المفضل برشلونة... غريب ألا تعلم عن الكرة شيئاً.. رغم أنك كنت تعيش مع الكثير من الشباب.

- الزعيم لم يكن يحب الكرة.. كما أن بعض عملنا كان أثناء المباريات الكبيرة.

انتهى زياد من استبدال ثيابه فجلس على فراشه قائلاً:

- لم تقل لي... لم تنتظري؟!!

نظر له مازن وشعر وكأن حجراً يقبع على لسانه فلم يستطع سوى قول:

- أسف زياد... سامحني.

عقد زياد حاجبيه:

- لا أفهم. رَبِّ كَلِمَةٌ أَشْعَلَتْ حُلُمًا

- أشعر أنني دائماً سبب تعاستك.

- ماذا حدث لتقول ذلك؟!!

صمت مازن فأردف زياد:

## العودة

- مازن... منذ حديثك عن الميراث وأنا أشعر أن هناك شيئاً ما تخفيه عني... هل هذا ما تريد أن تتحدث عنه الآن؟

أوماً مازن برأسه فأضاف:

- جيد... ما هو؟!.

أدار مازن وجهه للنافذة وكأنه يهرب من النظر لابن عمه قائلاً:

- لقد التقيت بشوقي.

هب زياد واقفاً:

- حقاً... متى... وكيف.. وماذا قال؟!.

- في الحقيقة التقيته ثلاث مرات حتى الآن.

- ماذا؟!... ثلاث مرات.. دون أن تخبرني.. لم أخفيت عني؟!.

- لا أريد أن يكون لك أو لأي أحد منكم علاقة بالأمر... ولكن يبدو لا فائدة.. وعلى أن أخبرك بالأمر.

عقد زياد حاجبيه قائلاً:

- أكمل....

- هو الذي جاءني وبالطبع أول ما سألته عنه هو الزعيم.. فأخبرني أنه مات ، وأنهم قاموا بدفنه ولم يبلغ أحد عن فقدته ، فأمره لا يعني أحد سوى سلمى.

- مات ..حقاً!!

# العودة

- نعم..وجاء شوقي ليجعلني أدفع الثمن.

- ماذا تعني؟!!

- يقول أن أمورهم المادية تدهورت منذ موت الزعيم، والذي أنا السبب فيه وعلي دفع الثمن..حتى يعيدوا ترتيب أمورهم، وطلب مني ٥٠ ألفاً وبالفعل طلبت منك استلام ميراثي لأعطيه المبلغ، والتقيته لأعطيه إياه...لكنه ظهر الليلة أيضاً ويطلب هذه المرة الضعف.. وسيلتقي بي بعد ٣ أيام ليأخذ المبلغ...أعتقد أن الأمور تسوء..ويبدو أنه لن يتوقف...لم أجد سواك ليساعدني..كيف أتصرف؟..ماذا أفعل؟!!

لم يتلق تعليقا من زياد فالتفت ناظراً له ليرى وجهه الذي ارتسم عليه الغضب الشديد وهو يحدق به، فخفض بصره قائلاً:  
- أنا أسف..أسف.

قال زياد بغضب:

- كان يجب أن تخبرني منذ البداية.

- أعلم..ولكني كنت أخشى أن تتورط معي ومعهم..لا أريد أن يحدث هذا أبداً.

زفر زياد في حنق ثم جلس مفكراً، ونظر له قائلاً:  
- واضح أنه لن يتوقف عن العودة لابتزازك...يبدو أنه لا مفر من إبلاغ الشرطة.

صاح مازن وهو يعدو ناحيته:

- لا..الشرطة لا.

أمسك بكف زياد قائلاً في تضرع:

## العودة

- أرجوك زياد.. أرجوك... لا تقحم الشرطة في الامر... أرجوك.

حدق زياد في وجهه مذهولاً:

- لا تقل لي أنك تكثرث له لهذه الدرجة... أنت بالنسبة له الآن كنز مفتوح.. سيبقى يأخذ منك ما يريد حتى يتركك مفلساً وربما سيجبرك بعد ذلك على سرقتنا نحن... هو لن يتوقف... يجب أن نسلمه للشرطة.. مادام لا يريد أن يتوقف عن سرقة الآخرين ونزف أموالهم.

هز مازن رأسه في عنف:

- لا... لا... سأكون أول من يزج بالسجن معه.. أم نسيت أمر الزعيم.

- كان دفاعاً عن النفس... وأعتقد أن سلمى ستشهد لصالحك.

- زياد أنت لا تفهم... شوقي لن يدخل السجن وحده... سيأخذون كل من في المنزل.. وهناك الكثير منهم يعملون رغماً عنهم.. لم أعاقبهم بالدخول إلى السجن؟... وسلّمى ما زالت معهم... سيأخذونها هي الأخرى... أرجوك زياد.. إنه مالي أنا حرّ فيه... سأعطيهِ المبلغ الذي يريده هذه المرة.. أنا فقط أريدك أن تساعدني كي لا يعد لي من جديد... فكر معي في مخرج.. ولا تقل لي الشرطة.. هذا ليس قابل للنقاش... أو... انسى كل ما قلت وسأصرف وحدي.

قالها وهو يتجه للباب، فأوقفه زياد:

- انتظر... متى ستلتقي به لتعطيهِ المال.

صمت مازن قليلاً ثم قال:

- أخبرتك... بعد ٣ أيام.

# المودة

- وأين سيكون هذا اللقاء؟!

أشاح مازن بوجهه قائلاً:

- لن أجب على هذا.

رفع زياد حاجبيه ثم قال:

- فليكن... سأحاول أن أفكر في مخرج خلال هذه المدة.

فتح مازن الباب ليغادر لكنه عاد ينظر لزياد قائلاً:

- زياد..أنا أعني ما قلت...لا تقحم الشرطة في الأمر.

- فهمت..لن أفعل.

اغلق مازن الباب خلفه تاركاً زياد الذي جلس على فراشه وقد ضاقت عيناه مقررراً امراً ما.

\*\*\*\*\*

ظلت ياسمين تحديق بصديقتها بعد انتهاءهما من درس التجويد وجلوسهما معاً في مكانهما المعتاد، فقالت زهرة:

- لم تحديقين بي هكذا؟! **كلمة اشعلت حُلماً**

- أرى تغيراً ملحوظ في صديقتي العزيزة.

- وهل هو للأسوء أم للأحسن؟!

- بالنسبة لي هو للأحسن طبعاً.

- هذا جيد.



# المودة

اقتربت منها ياسمين قائلة:

- ولكن...السؤال هو..ما سبب هذا التغيير؟!..ملابسك... تقليل استخدامك لأدوات الزينة، هذا كله خلفه سبب أليس كذلك؟! هزت زهرة كتفها:

- لا أفهم...كل ماهنالك أني أعتقد أن هذا هو الملابس الملائم لدروس التجويد التي أحضرها.

- ولكن هكذا أصبح شكلك في كل الأوقات وليس في دروس التجويد فقط...لن تخدعني..هناك شيئاً ما حدث...وسأعرفه بالتأكد..ولكن لا يهم الآن..المهم..أنتي سعيدة حقاً بهذا التغيير.

- جيد.

قالتها زهرة ثم تعلق بصرها بمكان ما فالتفت ياسمين لترى شادي يتحرك مع بعض رفاقه فعادت تنظر لزهرة:

- ماذا هناك زهرة؟!!

ابتسمت قائلة: **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

- صحيح أن الجلباب يعطية هيبه أكثر..لكني أشعر إنه عندما يرتدي القميص والبنطال يبدو أكثر وسامة...من الجيد أنه يرتدي هذا أحيانا، ولا يكتفي بالجلباب طوال الوقت.

عادت ياسمين تنظر لشادي الذي كان يرتدي القميص والبنطال، ثم قالت:

- منذ متى تهتمين بما يرتديه شادي.

# العودة

صمتت زهرة واكتفت بابتسامة هادئة على شفيتها، فرفعت ياسمين إحدى حاجبيها قائلة:

- هكذا إذا...هل يا ترى لشادي أي علاقة بالتغير الذي أتحدث عنه؟.

نظرت زهرة بعيداً:

- توقفي يا فتاة..لا تبني آراءً دون أدلة.

ضحكت ياسمين:

- لا بأس..أعتقد أن الأدلة ستظهر وسريعاً.

\*\*\*\*\*

اليوم سيلتقي مازن بشوقي، ولم يتحدث زياد معه بالأمر مرة أخرى، فذهب لمكتبه قائلاً:

- يجب أن أذهب الآن.

نظر له زياد قليلاً ثم قال:

- ستعطيه المبلغ فحسب.

- نعم.

هل تعتقد أن هذا هو الحل؟! كلمة اشعلت حُلماً

- بالتأكيد لا..ولكنه الحل الوحيد أمامي الآن.

- أين ستلتقي به؟!!

هز مازن رأسه:

- لا يهم أين؟!...سأذهب إليه ثم سأعود إلى هنا.

# العودة

- لا تفعل...يمكنك العودة للمنزل..ليس لديك أي مقابلات اليوم..أليس كذلك!؟

عقد مازن حاجبيه ثم قال:

- فليكن كما تريد...لكني سأذهب للنادي...لن أعود للمنزل.

- لا بأس.

جلس مازن يحدق بشوقي الذي رسم على شفثيه ابتسامة مستفزة:

- يعجبني التزامك بالمواعيد.

مال مازن للأمام قائلاً:

- شوقي... لن يستمر هذا طوال الوقت..لا تضغط علي أكثر...أخشى أن انفجر في الجميع.

أشار له بكفيه:

- اهدأ... أخبرتك أننا سنعود للعمل قريباً...وإذا كسبنا الكثير من المال...سنرد لك ما

أعطيتنا...أليس هذا عدلاً!؟

- لا...أشكرك..لا أريد أن ترد لي شيئاً...فقط ابتعد عني... ومازلت مصراً أريد أن أقابل

سلمى..حدثها في الأمر مرة أخرى.

هز شوقي رأسه قائلاً:

- سأفعل..

## العودة

نظر له مازن قليلاً ثم غادر ليركب سيارته وينطلق بها، جلس شوقي قليلاً ثم طلب النادل ليدفع الفاتورة وركب سيارته وهو يربت على الحقيبة ولكن قبل أن ينطلق بها وجد من يطرق زجاج السيارة ففتح باب السيارة ليجد شاباً يقف أمامه يمنحه نظرة باردة استطاع التعرف عليه بسهولة لكنه ادعى العكس قائلاً:

- من أنت؟! وماذا تريد؟!

- أنت شوقي... أليس كذلك؟!...أعتقد أنك تعرفني..فلا تدعي العكس.

ترجل من السيارة ليقف مستنداً عليها:

- وأنت تعرفني...غريب...لقد قال أن لا أحد منكم يعرف عن ماضيه شيئاً.

عقد زياد ذراعيه أمام صدره قائلاً:

- لا أحد منا يعرف شيئاً عن ماضيه..سواي.

ابتسم في تهكم:

- وماذا تريد؟!

قال في حزم:

- توقف عن ابتزاز مازن..أتفهم؟!

مط شوقي شفثيه قائلاً:

- وإلا؟!!!

عقد زياد حاجبيه قائلاً في صرامة:

# العودة

- وإلا..ستندم.

قهقهه شوقي:

- أضحككتني..وما الذي سيجعلني أندم؟!؟

ابتسم زياد في ثبات:

- الشرطة.

حدق به شوقي قليلاً ثم قال:

- ابن عمك أول من سيرفض فكرة الشرطة..إذا كانت جرائمنا هي النصب فهو معنا وأضف

على ذلك القتل...ألم يخبرك بما فعل؟!؟

- أخبرني بكل شيء... كان دفاعاً عن النفس..ألم ترى بنفسك؟!؟

- أنا لم أرى شيئاً...ولن أقل ذلك.

- لست أنت من سيقول..ولكن سلمى..بالتأكيد ستفعل...لقد استشرت محامي موثوق

به..أخبرني أن شهادة سلمى ستبريء مازن بسهولة..أي محاكمة تلك التي لن تقبل بشهادة

ابنة المجني عليه لصالح الجاني...أعتقد أن الأمر لن يكن صعباً..ولعلمك أن لن أوكل لمازن

محامي واحد...بل فريق من كبار المحامين...ومهما كلفني الأمر..سأخرج مازن من هذا المأزق.

عقد شوقي حاجبيه وبدأ الغضب يملأه فقال:

- تبدو واثقاً من نفسك... ونسيت أن مازن كان يسرق معنا طوال تسع سنوات.

ابتسم في استفزاز:

## العودة

- هل تتصور أنني لم أفكر بالأمر... يمكن أن تثبت من الأثار التي تملأ جسد مازن أنه كان محتجزاً طوال الوقت عند الزعيم... وكذلك سيشهد كل الاولاد الذي كانوا معه أنهم جميعاً اضطروا للعمل وطاعة هذا الرجل خوفاً من بطشه.. وأخبرني المحامي أن شهادة سلمى لصالحه أيضاً ستفيده.. بأنه لم يكن يتورط بشكل مباشر في أعمال السرقة تلك... وهي لن تمنع طبعاً... مادامت ستعيش مع مازن مدى الحياة... وأعتقد يا شوقي.. أن عليك القلق بحالك.. لا بحال مازن... من سيدافع عنك عندما تمسك بك الشرطة... وماذا لو تم اعتبار مازن شاهد ملك... مقابل أن يدل على كل أفراد عصابكم... لقد فكرت في كل الاحتمالات.. ولجأت للمساعدة القانونية... الخلاصة .. مازن سيخرج منها كالشعرة من العجين... أتفهم؟!... ومرة أخرى.. ابتعد عن مازن ولا شأن لك به... وإلا ستندم.

انهى زياد كلماته مانحاً إياه نظرة تحذيرية ثم التفت ليغادر المكان بخطى ثابتة ليركب سيارته وينطلق بها، أما شوقي فظل يحرق به في غضب وحنق شديدين وقد اعتصر قبضتيه ثم زفر قائلاً:

- فليكن أتم من أراد هذا.. أنهيت الامر بسرعة... وأتم من ستندمون... أقسم أن أرسم الحزن على وجوهكم أبدا الدهر... وقريباً ستتردون جميعاً السواد... وستنسون معنى السعادة لسنوات.. وسنرى من سيندم في النهاية... أيها المتغطرسون.

رَبَّ كَلِمَةً أَشْعَلَتْ حُلُمًا

\*\*\*\*\*

لحق مازن صلاة العصر في مسجد النادي وكما توقع كان شادي الإمام، وما أن أنتهت الصلاة حتى أسرع إليه.

- شادي... شادي.

ألتفت له مبتسماً:

# العودة

- أهلاً مازن..كيف حالك!؟

- بخير..كنت بحاجة للحديث معك قليلاً.

- بالتأكيد...إجلس فلنتحدث هنا.

جلسا بالفعل وعندما هداً المكان قال شادي:

- تكلم أسمعك.

- كما قلت لي آخر مرة...أنني قد أتعرض لابتلاءات..وعلي أن أتماسك كي أنجح فيها.. ولكنني أخشى الفشل حقاً.. أشعر أنني مازلت وحيد... وغير قادر على التصرف السليم.

- أمازلت تصر على التصرف وحدك...لقد كان النبي - وهو من هو- يستشير أصحابه..لم لا تستشير من تظن أنه قادر على مساعدتك؟.

- لقد فعلت..ولكن رأيه أفرغني....لم أستطع الاستجابة له أبداً...أشعر أن الأمر أصعب مما كنت أتصور.

صمت شادي قليلاً ثم قال:

- أحيانا نشعر أن المشكلة لا حل لها إطلاقاً..ثم فجأة...نرى ما لم نكن نراه من قبل... أريدك أن تزد من الدعاء والاستعانة بالله... إن الله يجتبرك.. وإذا تماسكت ولم تنهار وتراجع... سيرسل لك المساعدة أنا متأكد.. أحسن الظن بربك.... فهو عند ظن عبده به....وبخصوص الشخص الذي استشارته.. ربما عليك أن تفكر في كلامه لبعض الوقت... ربما هو الصواب..من يدري؟.

صمت مازن مفكراً ثم قال:

# العودة

- أشكرك شادي..كنت بحاجة للحديث معك...لن أطيل عليك أعلم أنك مشغول.

- أنا في الخدمة دائماً.

ابتسم مازن:

- أنت شخص رائع...وتستحق كل خير.

- جزاك الله خيراً.

هم مازن بالوقوف فتبعه شادي لخارج المسجد قائلاً:

- كنت أريد أن أسألك عن شيء ما.

- تفضل.

فغر شادي فاه لكنه أطبق شفثيه مرة أخرى وظهر عليه الارتباك ولم يقل شيء، فعقد مازن حاجبيه:

- ماذا هناك شادي؟!.. أسمعك.

هز شادي رأسه:

- لا... أقصد... أعتقد أنه من الأفضل أن أتحدث لزياد .. سأخبرك لاحقاً... أراك فيما بعد لدي درس تجويد الآن..إلى اللقاء.

أسرع شادي بدخول قاعة المقرأة، فهز مازن كتفيه وهو يتابعه.

ومن بعيد كانت زهرة وياسمين يتابعوهما فقالت زهرة:

- أصبحت أرى مازن يتحدث كثيراً لشادي.



# العودة

- هذا جيد..أعتقد أنه من ساعده على العودة للصلاة.

- أنا واثقه من هذا... شادي شاب رائع.. أعتقد أنه الأفضل بلا منازع.

ابتسمت ياسمين وهي تتأمل رفيقتها:

- لم فجأة أصبح شادي محور معظم حديثك؟.

تجنبت زهرة النظر لياسمين قائلة:

- لا يوجد سبب.

رفعت ياسمين إحدى حاجبيها:

- هكذا.

- مازن قادم إلى هنا.

التفتت إلى حيث تنظر لتجده يقترب منها فعلاً، وما استغربته ياسمين أنها لم يعد يصيها التوتر الذي كان يصيها فور رؤيته وربما هو أيضاً شعر بذلك فألقى عليها التحية بهدوء ثم نظر لزهرة قائلاً:

- ماهر لا يرد على هاتفه..هل تعرفين إذا كان هنا اليوم أم لا؟!.

هزت رأسها:

- لم أره...أعتقد أنه ليس هنا.

- حسناً..سأعود للمنزل مادام ليس هنا...أراك في المساء.

- إن شاء الله.

# العودة

غادرهما بينما تتابعه ياسمين فقالت زهرة:

- تبدين أكثر هدوءاً...هل هذا له تفسير.

ابتسمت في هدوء:

- لا يوجد غير تفسير واحد..لقد أجاب الله دعائي.

لم تعلق زهرة على هذا فقالت:

- دعينا نجلس أريد أن أتحدث معك قليلاً.

- لا تقولي لي أنك ستحدثيني عن مازن.

- لا...هناك أشياء أخرى..أصابتني في الايام الأخيرة..أريد أن أحدثك عنها.

- أخيراً...حسناً.. فلنجلس.

لم تتوقع ياسمين أن تسمع هذا من زهرة، فلقد كانت تنكر الأمر منذ لحظات..حيث شرعت تحدثها عن مشاعرها تجاه شادي، وإنما كانت على حق فشادي هو سبب تغييرها هذا..وأنها تريد أن تبدو مناسبة له بشكل أو بآخر، لكنها لا تستطع أن تقرأ أي شيء عن مشاعره تجاهها، فهي يبتسم للجميع..يعامل الجميع بشكل جيد، لا تشعر بأي ميزة في تعاملها معه عن غيرها من الفتيات، وهذا الشيء أصبح يؤرقها. صمتت ياسمين تماماً واكتفت بسماع زهرة حتى انتهت فقالت ياسمين:

- يا الهي...كل هذا أخفيتني عني.

- لم أكن متأكدة..ولكني أفكر فيه كثيراً الآن...وبدأت أصاب بالجنون...لا أريد أن أعيش أوهام..كأوهامي السابقة...هل يمكنك مساعدتي!؟

# المودة

حكّت ياسمين جبهتها ثم قالت:

- بداية أنا سعيدة..فاختيارك الان هو الافضل...ومعك كل الحق من الخوف من العيش في وهم جديد، لدي فكره..ربما تنجح وربما لا..ولكن عليك أن تفكري جيداً لأنها خطوة لن أسمح لك بالتراجع فيها إذا قمتي بها.

- عما تتحدثين بالضبط!؟

- الحجاب، أعتقد أن شادي لن يرتبط بفتاة غير محببة..وأنا لا أقول أن ترتدي الحجاب من أجل شادي..لا بل تفعليها لله..وهذه ستكون فرصة جيدة للتعرف عن مدى اهتمام شادي بك..كذلك يمكنك الدعاء لله إذا كان أمر حجابك يرضيه حقاً أن يشرح قلب شادي لك..فعندما يستعصي علي أمر..فأجأ لعمل صالح وأدعو به الله...والحمد لله ينجح الأمر دائماً...ما رأيك!؟..أنا لا أقول أن تجربي....فلا يجوز الدعاء من باب التجربة..إنما الدعاء يصحبه اليقين بالاجابه..أتفهمين!؟

صمتت زهرة طويلاً وتركته ياسمين تفكر، هي لا يمكنها أن تنكر أنها كانت تفكر في أمر الحجاب فعلاً، لكن كيف يمكنها أن تفصل بين رغبتها في ارتداء الحجاب من أجل شادي وأنها المفترض أن ترديه لله فحسب، إذا لم تفعل فهي لن تخدع غير نفسها لأن الله يعلم ما في نفسها أكثر منها..كيف يمكن أن تنجح كيف!؟.. يبدو أن هذا ما عليها أن تفكر فيه في الأيام القادمة..فهي لن تخلع الحجاب لمجرد أن الامر لم ينجح ولم يهتم بها شادي..لا يمكن أن تفعل ذلك...هزت رأسها قائلة:

- يا الهي ياسمين..الأمر ليس سهلاً كما كنت أتصور...هل هذا هو ما يسمى بالأخلاق.. إنه حقاً صعب.

ابتسمت ياسمين:

## العودة

- هناك من يراه صعباً..وهناك من يراه أمر قريب المنال...عليك أن تفكري كثيراً..  
وتجاهدي نفسك.

- سأفعل بكل تأكيد.

\*\*\*\*\*

لم يتحدث زياد مع مازن فيما فعل، فقط تمنى أن تنجح الفكرة وابتعد شوقي عنه، لكن شيئاً ما داخله أشعره بالخوف والقلق من شوقي هذا، نظراته له وهو يتكلم لم تكن مريحة إطلاقاً. هل حقاً يعتبره مازن صديق؟.. يكاد يجزم أنه يكره مازن وبشدة. عليه أن يهتم بمراقبة مازن هذه الايام عليه أن يعمل على عدم مفارقتة.. شيئاً ما يشعره بالخطر... شيئاً ما يشعره أنه فعل التصرف الخطأ.. لأول مرة يشعر أنه تصرف بغباء وبدم حكمة.. فهو لا يعرف شوقي ولا يعرف ما الذي يمكن أن يفعله هذا الشخص...كل ما يرجوه ألا يتسبب تصرفه هذا في أن يدفع الثمن غالياً.

\*\*\*\*\*

جلست زهرة أمام مرآتها وقد وضعت الحجاب على رأسها كان تتأمل وجهها، هل يمكنها أن تنجح فعلاً؟، كانت تعتقد أن الامر سهلاً لكن لم تشعر بصعوبته الان، الحجاب ليس لعبة، لطلالما نهتها أمها لهذا..

"إذا ارتدي الحجاب لن أسمح لكِ بخلعه"

كانت تردد هذه الكلمة دائماً..نعم يا زهرة..إذا ارتديتي الحجاب ليس من المقترض أن تخلعيه...أجبي بصدق على نفسك هل إذا ارتديه ولم يهتم شادي بالأمر هل ستخلعيه ثانية....حدقت بوجهها في المرآة وكأنها تنتظر الاجابه فهزت رأسها:

# العودة

- لا.. لن أخلعه مادمت لبسته.. نعم... هذه هي الاجابة الصحيحة... ومادمت لن أخلعه.. فأنا لا أفعلها لشادي... بل لله.

شعرت براحه في قلبها لاجابتها تلك، وأخيراً عقدت النية متأملة أن يوفقها الله.

اجتمع الجميع على مائدة الافطار كالعادة إلا زهرة فقال ماهر:

- ألن تظفر زهرة معنا اليوم!؟

هزت الام رأسها:

- لا أعلم... لقد تأخرت.. ربما ستنزّل بعد قليل.

ساد الصمت خاصة أن كلاً من زياد ومازن مشغول بشأنه، فزياد مازال يفكر في شوقي وما يمكن أن يفعل أما مازن فكان يفكر في سلمى وهل ستقبل بالحديث معه من جديد، قطع أفكارهما قول ماهر:

- يا الهي زهرة... ما هذا!؟

التفتا إليها فابتسما في سعادة، لمآها وهي ترتدي الوشاح الذي أهداها إياه مازن مع عباءة منزلية هادئة الألوان، فقالت الام وهي تشير لابنتها لتقترب منها:

- زهرة.. تبدين رائع... مبارك لك ابنتي.

اقتربت منها زهرة فضمتها إلى صدرها لتمنحها قبله على خدها، جلست مكانها بينما ظل الشبان يحدقون بها فقالت:

- كفاكم تحديقين بي!؟

# العودة

انتبهوا لذلك فضحك زياد:

- اسفون..غير معتادون على هذا...مبارك لكِ أختي.

أما مازن فقال:

- سعيد أن أول حجاب لكِ هو وشاحي...سيكون هذا في ميزان حسناتي أليس كذلك؟!....فميزان حسناتي يحتاج الكثير ليمتليء.

ضحك ماهر:

- مبارك لكِ زهرة... يبدو أن مجهودات ياسمين أتت بثمارها أخيراً.

ابتسمت زهرة:

- شكراً لكم جميعاً...هل يمكن أن تعودوا لإفطاركم الان؟

فقال زياد:

- سنفعل ..ولكن أنا أريد أن أهاديكِ شيئاً بهذة المناسبة السعيدة.

- وأنا أيضاً.

قالها ماهر بسرعة فقالت الأم:

- لدي فكرة.

التفتوا إليها فقالت:

- كنت أفكر منذ أيام أن نقيم حفل صغير في المنزل حيث أننا لم نحتفل بعودة مازن ولا بنجاح ماهر، والأن حجاب زهرة..أرى أن المناسبات أصبحت كثيرة، فما رأيكم بأن نقيم



# العودة

صمت مازن مفكراً ثم ابتسم قائلاً:

- سأدعوكم أتم فأنتم أعز أصدقائي.

ضحكوا جميعاً فقالت الأم:

- الا تحب أن تدعوا أي شخص بالتحديد.

قال محدثاً نفسه.. "ليتني استطيع دعوة سلمى"

فقالت زهرة على استحياء:

- لم لا تدعوا شادي...أراه معك كثيراً في النادي في الايام الأخيرة.

حذق بها الجميع لثواني فاحمر وجهها خجلاً:

- كان مجرد اقتراح.

فابتسم مازن في هدوء قائلاً وهو ينظر لوجهها الذي زاد إحمراراً:

- اقتراح جيد...سأدعوه مادام هذا لن يضايقك.

هزت رأسها سريعاً:

- لا..أبدأ..لن يضايقني.

شعرت بأنهم مازالوا يحدقون بها فقررت الانسحاب، قائلة:

- علي الاتصال بياسمين..سأطلب منها الحضور اليوم...ستكون مفاجأة لها.

واسرعت بالأنصراف فالتفت مازن لأمه التي كانت تبتسم له ابتسامة ذات مغزى، فبادلها

الابتسام قائلاً:



# المودة

- الحفل سيكون يوم الجمعة القادم.

أجابته:

- نعم عزيزي...

- هل أنا مضطر لاحضار هدية أخرى..لقد أهديتها الحجاب بالفعل.

ضحك ماهر:

- لا تكن بخيلاً أخي.

- كنت أمزح يا فتى ...كنت أمزح.

لم تصدق ياسمين عيناها وهي تحدق في زهرة بعد أن فتحت لها الباب لكنها سرعان ما  
ضمتها إلى صدرها وهي تردد في سعادة:

- مبارك..مبارك لك زهرة...هذا أفضل قرار أخذته في حياتك..أنا حقاً سعيدة من  
أجلك...أشعر أنني سأكبي.

ربت زهرة على ظهرها قائلة:

- على رسلك ياسمين..انتِ تعصريني.

رجعت ياسمين خطوة للوراء قائلة:

- أسفة..انفعلت قليلاً.

- هيا ادخلي.

# العودة

استقرا في غرفة زهرة التي خلعت حجابها قائلة:

- المشكلة أنني سأضطر لارتدائه طوال الوقت، بسبب مازن وماهر.

- لم..؟! إنها ليسا في المنزل طوال الوقت.

- عادة نكون في المنزل في نفس الوقت.

- لا بأس ستعتادين على الأمر... وربما قريباً تتزوجين وتذهبين لبيت زوجك.. وتحل المشكلة.

ابتسمت زهرة وشرعت بإخبارها بأمر الحفلة الصغيرة التي اقترحتها أمها، ومن سيدعون وأخبرتها على استحياء ما فعلت بأمر شادي مما دفع ياسمين للضحك وهي ترى إحمرار خديها لمجرد ذكر ما حدث، سعدت ياسمين بصديقتها كثيراً وشعرت انها أصبحت فعلاً أسعد حالاً، واتفقتا على الاعداد للحفل مع أمها والذي سيكون يوم الجمعة أي بعد ٣ أيام. وبالفعل تسوقتا لشراء الملابس اللازمة لزهرة بما يناسب حجابها، والاتفاق على الطعام الذي سيأتي يوم الحفل، كانت الأجواء سعيدة للجميع حتى مازن وزياد اندمجا مع الأمر وتناسيا ما كان يشغلها.

\*\*\*\*\*

في صباح يوم الجمعة استعد الجميع كالعادة لصلاة في مسجد عمرو بن العاص، وبعد الانتهاء من الصلاة ذهب زياد ومازن للتأكد على وصول الطعام المتفق عليه في الميعاد، بينما ذهب ماهر للنادي على أن يقابل مازن هناك ليشتري هدية زهرة ثم يذهب للحفل مع صديقه علي، أما زهرة فعادت للمنزل مع أمها لإعداد كل شيء ولحقت بهما ياسمين لتساعدهما، ورغم صغر الحفل وقلة المدعوين الذين لن يزيدوا عن أربع أو خمس أشخاص بالاضافة إلى أهل المنزل، إلا أن الام كانت مهمة بكل شيء.

# المودة

مر معظم اليوم وقد اتفق الجميع على أن يبدؤا في الحضور الساعة السادسة، ولكن قبل هذا بساعة وقف مازن أمام باب النادي الرئيسي يحدث أخيه على الهاتف:

- ماهر.. أين أنت؟!...هيا ألم تقل أنك ستشتري الهدية معي..علينا الذهاب الان...لا أعرف لم انتظرتك.

- أسف مازن..أنا قادم حالاً..أنا أعدو قادمًا لك فعلاً ومعني علي وأرى البوابه الرئيسية أمامي... لحظات وسنكون عندك.

- حسناً أسرع.

فتح باب سيارته ليلقي بها هاتفه وقبل أن يركبها وجد من يجذبه من ذراعه:

- مازن..انتظر.

التفت قائلاً:

- يا إلهي شوقي...ما الذي جاء بك إلى هنا؟!!

قال في فزع: **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

- لا يوجد وقت يجب أن تأتي معي حالاً.

- ماذا تقول؟!...أنا لا أفهم ... ماذا حدث؟!!

- سلمى تحتضر.

اتسعت عينا مازن وكأنه لم يصدق ما سمع:

# العودة

- ماذا تقول؟!..سلمى ماذا؟!!

قال في آسى مصطنع:

- سلمى مرضت وبشدة منذ أن غادرت..وكلما شعرنا بضعفها أردنا أن نخبرك، أو نأتي بك لها..لكنها كانت تصر على غير ذلك، كانت لا تريد لك أن تعد لهذه الحياة مرة أخرى..لم ترد أن تكن عقبة في استمرار حياتك الجديدة...ومنذ ساعة واحدة فقط اتصلت بي عبر...لتخبرني أنني يجب أن أعثر عليك...سلمى لا تنطق سوى اسمك..ولا تدري بأي شيء حولها..والطبيب لا يستطيع مساعدتها.. يجب أن تأتي معي الآن...أنت الوحيد الذي يمكنك انقاذها..هيا يا مازن هيا.

جذب ذراعه بقوة ليدفعه في سيارته ولم يقاوم مازن اطلاقاً، لا يمكن أن يتأخر عن سلمى..مستحيل أن يتركها تموت، يجب أن يراها ويتحدث معها حتى لو كان هذا لقاءهما الأخير...يجب أن يراها.

انطلق شوقي بسرعه ليبتعد عن المكان بينما الخوف ملاً قلب مازن على سلمى ثم تذكر أنه ترك هاتفه وسيارته:

- يا الهي...لقد تركت هاتفي في السيارة..بل تركت السيارة نفسها مفتوحه..كان من المفترض أن التقي بماهر..سيقلق لاختفائي.

قال شوقي لتهدئته:

- لا بأس..هذا لقلقك على سلمى...ومن الجيد أن أخاك سيرى السيارة والهاتف كي لا يسرقها أحد...عندما نصل للمنزل اتصل بمن تشاء لتطمئنه.

## العودة

لم يكن أمامه خياراً آخر فاستسلم للأمر وظل بصره معلقاً بالطريق وفور أن دخلت السيارة في الطرق المعتادة للمنزل، لم يستطع مازن أن يمنع قلبه من الانقباض، لم يكن يتمنى أبداً أن يعد لهذا المكان.. لكنه سيفعلها من أجل سلمى فقط.

ترجلا من السيارة متجهان للمنزل الذي طالما شاهد مازن فيه العذاب، لكنه أيضاً شهد فيه حب سلمى، كان يطمئن قلبه دائماً بالتفكير فيها وقبل أن يدخلها سمع مازن صوت يعرفه جيداً:

- هادي... يا الهي؟!.. ما الذي عاد بك؟!!

التفت له مازن:

- بندق.. كيف حالك؟!!

- أنا بخير.. ولكن..

- كفى يا بندق ليس لدينا وقت.

عقد بندق حاجبيه وهو يتابع شوقي يجذب مازن لداخل المنزل، ففكر قليلاً ثم انطلق يعدو مبتعداً.

أما مازن فلقد دلف لردهة المنزل ليرى الكثير من الوجوه التي ابتعد عنها لشهور، ولكن لم يستطع تفسير النظرات التي يوجهونها له والتي حملت الخوف من بعضهم والتشفي من البعض الآخر، عقد مازن حاجبيه وهو يقف في منتصف الردهة والكل يحدق به فنظر لشوقي قائلاً:

- ما الذي يحدث وأين سلمى؟!!

# المودة

"ليست هنا أيها الاحمق"

تجمد جسده تماماً بعد اختراق هذه العبارة أذناه، والتفت لصاحبها غير مصدق لتصطدم عيناه بأخر عينان تمنى رؤيتهما يوماً ما.

- هل أنت متفاجيء؟! -

قالها الزعيم وهو يقترب أكثر من مازن الذي لم يتحرك قيد أنملة مانحاً نظرة غضب لشوقي الذي هز كتفيه قائلاً:

- أسف عزيزي... طالما كان ولائي للزعيم.

سرت الرجفة في كل أوصاله عندما ربت الزعيم على وجهه قائلاً وهو يضغط على أسنانه:

- كم أفتقدت وجهك هذا؟! ...

ثم رفع ذراعه ليلطم خد مازن وبقوة، فانتفض الأخير وهو يضع يده على خده ويتنفس بسرعة، فأردف الزعيم:

- هل تعرف كم عانيت حتى تشفى جروحي وضلوعي التي حطمتها أيها الوغد، كل ألم تألمته أقسمت أن تدفع ثمنه غالياً.

أمسكه من ياقة قميصه ليجذبه إليه فارتطمت أنفاسه الكريهة بوجه مازن مردفاً:

- سترى أسوء أيام حياتك... وربما آخرها أيضاً.

استجمع مازن شجاعته ودفع الزعيم بعيداً عنه:

## العودة

- ابتعد عني..أنا لم أعد أخشاك...لم أعد ملكاً لك...ربما بقاءك على قيد الحياة يعني موتي  
أنا..ولكنني على الأقل سأخلص من شعوري بالذنب أنني قتلتك...أحمد الله الذي رحمني  
من مثل هذا الذنب...ولو أن قتلك راحه للبشرية كلها.

ابتسم الزعيم ثم قهقه ضاحكاً:

- أنظروا من يتكلمم...هادي أصبح له صوت...وصوتٍ عالٍ.

- نعم أصبح لي صوت...مسحت شخصيتنا... علمتنا أن نكون تابعين لك فقط..كالعبيد  
الذين يشترون من سوق النخاسة...نسيت أن هذا الزمن قد ولى ولم يعد له وجود.

- ما هذة الثقة التي تتكلم بها؟!...بيدو أنك نسيت من أنا...حان الوقت كي تتذكر.

منح نظره صغيره لشابين اتجها ناحية مازن لكن قبل أن يقتربا منه، منح مازن لكمة قوية  
لأحدهم وركله في صدر الآخر والتفت يعدو ناحية الباب.

"أمسكووووووه"

صرخ فيهم الزعيم أسرع البعض يعترض طريقه ليمسكوا به فظل يوجه الركلات واللكمات  
لكل من يصل له لكن العدد كان أكثر من احتمالاه فسقط أرضاً وسقط فوقه أربعة ليكبلوه  
فصاح مازن بهم:

- لم...لم تصرون أن تكونوا عبيداً له؟...افيقوا...إذا ذهب أحدكم إلى السجن فلن يهيمه  
أمره.

قاموا برفعه عن الارض وهو مازلوا متعلقين به بشده.

## العودة

اشار لهم الزعيم كي يقوموا بقيده في السارية، وحاول مازن بكل قوته الافلات منهم لكنه  
أنهك قواه دون فائدة فلقد قاموا بقيده فعلاً، وعادت له ذكرى ألم هذه السارية شعر وكأنه  
يريد البكاء، لكنه تماسك والتفت لمن يحيطون به وهو يصرخ فيهم:

- يمكنني أن أساعدكم..توقفوا عن طاعته..سأوفر لكم الحياة الكريمة... صدقوني... اسمعوني....  
ألا يوجد بينكم عقل رشيد.

قهقهه الزعيم قائلاً:

- رشيد...رشيد في دمياط.

انفجر معظم الحاضرين ضحكاً، بينما تنهد مازن في ألم وبرودة الساريه تسري بجسده بعد أن  
مزق أحد الشباب قميصه ليلتصق صدره العاري بالسارية، لاحت منه التفاته لأعلى فجاء  
صوت الزعيم:

- أخبرتك أنها ليست هنا أيها الأحق...توقف عن البحث...لن يجمك مني أحد هذه المرة.

تماسك مازن أكثر قائلاً في ثبات:

- وأنا لم أعد أخشاك...ربما كنت أخشاك في الماضي...لأنتي كنت وحيد..لم أكن أشعر باهتمام  
أحد بي...فقدت كل إحساس بالأمان والثقة...ولكن عودتي لأهلي... وقبلها عودتي لربي...  
غيرتني... أنت لن تخيفني بعد الآن... ولا يعنيني ما تريد أن تفعله بي... ربما حان الوقت  
لأتخلص من ذنوبي... كنت أعلم أنني يجب أن أدفع ثمنها يوماً ما، وربما قدرني أن تكون  
أنت من يخلصني من هذه الذنوب بعد أن ارتكبتها كلها بطاعتك، ولكن مادام الله قدر لي  
أن أعاقب في الدنيا، فهذا أفضل من عقاب الآخرة.. وسأقبله بصدقٍ رحب...ربما حينها  
سأموت وقد محيت كل ذنوبي وألقى ربي بقلبي نظيف...وهذا ما سادعوا به ربي.



# العودة

ابتسم الزعيم قائلاً:

- ذنوب...آخرة...وقلب نظيف...أين كان هذا الفتى؟!..في منزله أم في دارٍ للتقوى.

ابتسم شوقي قائلاً:

- يبدو أن ابتعاده عنا أثر فيه كثيراً.

اقترب الزعيم من مازن أكثر قائلاً:

- وأنا يا هادي يسعدني...وبشدة أن أساعدك بالتكفير عن ذنوبك...فاستمع به قدر استطاعتك.

كتم مازن صرخة أرادت الافلات من بين شفثيه وهي يتلقى الضرب على ظهره بالسوط، كم كان يظن أنه لن يعد أبداً لمثل هذا الألم لكنه عاد ..عاد وعليه أن يتحمل لن يُشبع غرور الزعيم بالصراخ أو بطلب الرحمة ،عليه أن يدفع ثمن أخطائه، لكنه شعر بالأسى.. كان يتمنى لو منح المزيد من الوقت مع أهله، مع الحياة التي أحب العودة لها، حاول أن يشغل تفكيره بأي شيء، كي لا يصرخ أو يشعر بقسوة الضربات التي انهالت على ظهره دون هوادة أغلق عينيه بقوة ليفكر في الجميع زياد.. ماهر.. أمه.. زهرة.. وسلمى... أين هي الآن...لم لم تظهر حتى الآن؟، ثم فجأة تذكر كلمات شادي...."إن استعنت فاستعن بالله"...فأخذ يردد في نفسه...وهو يضغط على أسنانه من شدة الألم..

- "يا رب.....يارب...يارب...يارب..".

\*\*\*\*\*

دق بندق باب الشقة بقوة وهو يصيح:

# المودة

- افتحا الباب...اسرعا.

فتحت له فتاة شابه قائلة في دهشة:

- بندق ماذا أصابك؟!

- عبير...أين سلمى؟!

وقبل أن تجيب اندفع للداخل:

- سلمى...سلمى.

خرجت سلمى من المطبخ وهي تمسك طبق خضروات في يدها:

- بندق...لم تصرخ هكذا؟!...سنتناول الغداء...فلتنضم لنا؟!

- يجب أن تأتي للمنزل حالاً...هادي عاد.

تحطم الطبق على الأرض وتناثرت محتوياته بينما تحدد سلمى في بندق:

- ماذا قلت؟!

قال بندق في هلع:

- لقد رأيته يدخل المنزل مع شوقي.

رددت عبير:

- شوقي.

قالت سلمى:

- مستحيل..هل فقد عقله؟!..كيف يعود إلى هنا؟!

# العودة

هز بندق رأسه:

- أشعر بأنها مكيدة من شوقي...هادي تحدث معي وكأن كل شيء طبيعي..وأنه لا يدخل الجحيم بقدميه.

قالت عبير في غضب:

- ماذا تقصد؟!...شوقي لن يكيد لهادي أبداً.

صاح بندق:

- أفيقي عبير...حبك لشوقي يعميك عن رؤية كل مساوئه..أخشى أن تفيقي على أسوأها...لكن هذا ليس وقته...الزعيم لن يرحم هادي...هيا سلمى هيا...المسافة بيننا وبينهم ليست قريه...يجب أن نلحقه وإلا قتله الزعيم.

لم تنتظر سلمى انطلقت تعدو كالمجنونه وخلفها بندق، كانت الشوارع خاليه من المارة فالمنطقة أصلاً هادئة تماماً هكذا اختارها الزعيم ليعيش فيها الجميع، لم تعرف كم مر من الوقت حتى وصلت لباب المنزل وفتحته بسرعة وهرعت للداخل وهالها ما رأت ، فوقفت بين الزعيم ومازن وهي تصرخ بانفاس متقطعة:

- لاااا...لاااا...توقف...أرجوك.

كانت تنتفض من كثرة العدو وكذلك الفرع الذي أصابها من رؤية الدماء التي غطت ظهر مازن، حاول مازن رفع رأسه التي سقطت على السارية من كثرة الألم والتعب:

- سلمى...أ..أنتِ بخير؟...هذا...جيد.

اقتربت منه سلمى وحرصت ألا تلمس ظهره الذي أختنته الجروح فوضعت رأسها على كتفه وهي تقول باكية:

# المودة

- لماذا عدت أيها الاحمق..لماذا؟!

- أ...أسف.

قالها وسقطت رأسه على رأسها، فنظرت إليه وقد غاب عن الوعي فالتفتت لأبيها:

- أرجوك..دعه..أرجوك.

كان يرمقها والدها بنظرات نارية ثم قال:

- ما الذي جاء بكِ إلى هنا؟!

ثم نظر لشوقي:

- كيف عرفت؟!

أشار شوقي لبندق:

- منه بالتأكد...لقد التقا بنا على الباب..وكاد يخبر هادي بنجاتك...فذهب إليها وأحضرها إلى هنا.

التفت لبندق الذي تراجع للوراء قائلاً:

- سيكون لي معك شأنٌ آخر.

ثم التفت لابنته:

- عودي من حيث أتيتي.

هزت رأسها في عنف وهي مازالت تبكي:

- لا...لن أتركه لك أبداً...لن أدعك تقتله.

# العودة

هز رأسه:

- غريب..كاد أن يقتلني ولم تفعل شيئا!؟

- كنت ستقتلني حينها أم نسيت.

عقد حاجبيه قائلاً بقسوة:

- اغربي عن وجهي..ارحلي من هنا.

- لن أفعل...على جثتي.

قال في تهكم:

- على جثتك...بل سيكون على جثته هو...إذا لم ترحلي الآن سأقتله وأمامك...أما إذا

غادرتي...سأعيد التفكير في الأمر..أيها تختاري!؟

حدقت فيه للحظات وتناقلت نظراتها بينه وبين مازن فاقد الوعي، فعل الأقل هي تعلم إنه

يعني ما يقول...فهل ستستطيع انقاذه قبل أن يقرر قتله.

نظر لها قليلاً ثم قال لشوقي:

- أَعدها حيث كانت.

ثم مال عليه هامساً:

- وتأكد من عدم قدرتها على الهروب.

أوماً شوقي برأسه واقترَب من سلمى ليمسك ذراعها:

- هيا.

# العودة

نزعت ذراعها من يديه وهي تصرخ فيه:

- ابعد يدك القذرة عني.

ثم التفتت لتمنح خده صفعة قوية:

- أنت خائن... لقد كان يعتبرك صديقه.

اعتصر شوقي قبضته وهو يكظم غيظه لصفعها له أمام الجميع، بينما صاح والدها:

- سلمى... من سمح لك بذلك؟!... إياك وتكرارها... وعليك أن تعلمي منذ الآن أن شوقي أصبح ذراعي الأيمن... وبما أنك لا تريدين الزواج بمن اخترت لك.. وتصرين على البقاء هنا... فليكن... ستبقيين.. ولكنك حينها ستتزوجين بشوقي.

اتسعت عيناها في ذهول ونظرت لشوقي الذي ملأ عيناه نظرة بها نشوة كبيرة، جعلتها تشعر بالاشمئزاز فصاحت:

- مستحيل لن يحدث هذا أبداً.

زفر أيها في ضيق:

- اقتلوه.

رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلْمًا

صرخت:

- لا... لا.. لا... حسناً سأغادر... لن نتحدث في هذا الآن... سأغادر.

جذبها شوقي واستسلمت لقبضته وهو تخرج وقد ألقى نظرة أخرى على مازن الذي فكوا قيده ليلقوا به في القبو كما أمر أباه مردده في نفسها:

"سأعود هادي.. تماسك من أجلي."

# العودة

ودعت من قلبها ألا تكون هذة نظرتها الأخيرة له.

وفي هذة الأثناء

وصل زياد للمنزل ، وسعد كثيراً بالتحضيرات فقال مبتسماً:

- الأجواء تبدو مفرحة حقاً...لم يصل مازن وماهر بعد.

أجابه فريد الذي كان بجانبه:

- نعم سيدي.. لم يصل بعد.

خرجت الأم في كامل أناقتها فأطلق زياد صغيراً:

- يا الهي..أمي...تبدين جميلة جداً...هل أنتِ واثقة أن زهرة هي أميرة هذا الحفل... أعتقد

أن المنافسة ليست في صالحها.

ضحكت الأم من قلبها:

- توقف عن هذا يا ولد.

- ولد...آه يا أمي...إلى متى سأبقى في عينك هذا الولد.

- مادمت حية يا عزيزي.

اقرب منها واحتضنها:

- أدامك الله لنا بالصحة والعافية أمي.

## المودة

- حسناً هذا يكفي...لقد أصبحت دموعي قريبه جداً هذة الايام.

وصل ماهر وعلي وكان كلاهما ينظران لبعض في قلق، فهمس علي:

- اصمت...ولا تفسد الأجواء...ربما سيأتي أخوك في أي وقتٍ الان.

نظر له ماهر قائلاً:

- لقد رأيت مثلي أن الموقف لم يكن طبيعياً..لقد ترك سيارته وهاتفه وانطلق مع هذا الشخص الغريب.

- ولكنه أيضاً بدا وكأنه يعرف هذا الشخص جيداً...ربما هو صديق لا تعلم عنه شيء...اصبر ودعه هو يفسر الأمر.

زفر ماهر في ضيق وإن لم يسترح قلبه لتفسيرات صديقه أبدأ.

- ماهر...وصلت في الوقت...أهلاً بك علي.

- أهلاً زياد.

- ألم ترى مازن؟...أعتقد أنه كان سيلقاكما في النادي لتشتروا هدية لزهرة.

التفت ماهر لعلي الذي قال مبتسماً:

- نعم...كان من المفترض ذلك لكننا تأخرنا عليه..فانطلق وحده...ذهبنا نحن لشراء الهدية.

عقد زياد حاجبيه وهو ينظر لماهر:

- هل حدث شيء؟!؟



# العودة

لم يعرف ماهر ماذا يقول لكنه اكتفى بابتسامة مرتبكه:

- لا..لا...هيا علي لتسلم علي أمي.

هز زياد كتفيه في دهشة ثم أمسك هاتفه ليتصل بياسر:

- ياسر...أين أنت؟!...لا تقل أنك ستتأخر...سنرى...المهم ألا تتأخر.

التفت علي قول علي:

- وصلت أميرة الحفل.

رفع نظره ليرى زهرة وياسمين يهبطان الدرج بينما زهرة تبتسم:

- أشكرك علي.

كانت تبدو جميلة بملابسها الجديدة وحجابها على رأسها، شعر زياد وكأن أخته الصغيرة قد نضجت فجأة وصارت فتاة جميلة، وبالتأكيد ستكون عروس رائعة، ومع فكرة الزواج التي احتلت رأسه نقل بصره لياسمين التي وقفت بجانب زهرة يتحدثان لماهر وعلي، كنت تبدو جميلة هي الأخرى شعر زياد وكأنه يراها لأول مرة كانت تتميز بملامح وجه صغيرة عيناها تميل للون البني الفاتح، بشرتها خميرية، لم تكن شديدة الشبه بياسر، ظل زياد ينظر لها محدثاً نفسه:

- "...لم أنتبه لك من قبل ياسمين...ربما لأن أول مرة رأيتك فيها كنت طالبة في نهاية المرحلة الاعدادية..وأنا كنت في السنة الأولى في المرحلة الجامعية...كنت أراك طفلة مثل أختي...ولكنك لم تعودي طفلة ياسمين...لم تعودي طفلة أبداً"

## العودة

لاحت من ياسمين التفاته فرأته يتأملها، فانتبه لها فأدار وجهه بسرعة وقد شعر بالحرج، بينما ابتسمت ياسمين دون قصد وهي تعود للانتباه لما تقوله زهرة، فعاد زياد للنظر إليها ورأى ابتسامتها فابتسم هو الآخر متمماً:

- زياد ماذا أصابك... لم تتصرف كالمراهقين!؟

هز رأسه والتفت للباب الذي طرقة أحدهم فذهب ليفتح:

- مازن تأخرت.

- أسف ... لست مازن.

ضحك زياد:

- شادي...أسف...أهلاً بك..سعيد حقاً بحضورك.

- أشكرك...لقد أُلح مازن كثيراً علي كي أحضر...فأنت تعرف أنا لست من مجي الحفلات.

- لا تقلق هي حفلة هادئة تماماً...لن تتضايق منها.

- بالتأكيد.

أدخله زياد للداخل فاتجه ماهر وعلي لتحيته بينما ظلت زهرة مكانها ولم تشعر بنفسها وهي تمسك بيد ياسمين وتضغطها بقوة حتى أن ياسمين تأوهت:

- أه..زهرة ماذا هناك!؟

- أسفة..أسفة.

ابتسمت ياسمين:

# العودة

- لهذة الدرجة؟! -

وكزتها زهرة بقوة ورأت شادي يتجه نحوها ومعه زياد، فقال شادي:

- مبارك حجابك زهرة... هذا أفضل قرار اتخذتيه.. أسأل الله لك الثبات.

لم تستطع زهرة أن تتمالك نفسها واذناها تلتقط نبذة السعادة في حروف كلماته، فمنحته نظره حانية جداً وهي تقول:

- أشكرك... أسأل الله أن يجعل من هذا جزء في ميزان حسناتك أنت.

عاد الارتباك يملكه وبدا كمن يريد الذهاب بعيداً إلا أن ياسمين قالت:

- وماذا عني أنا... أليس لي أي دور؟! -

عقد زياد حاجبيه قائلاً:

- شادي لم أعرف أن لك دور في حجاب زهرة.

شعر شادي بالحرع الشديد ولم يعرف ماذا يقول فقالت ياسمين:

- أعتقد أن شادي نفسه لا يعلم بهذا الدور... أحياناً تؤثر فيمن حولك دون أن تعرف.

ابتسم زياد قائلاً: **رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلُمًا**

- بالتأكيد... أردت أن أسالك ياسمين... هل تكلمتي مع أحد في قضية أطفال الشوارع التي حدثت عندها؟.

انتهت له ياسمين قائلة:

## العودة

- في الحقيقة فعلت...ولكن الردود لم تكن مشجعة أبداً...أقصى ما يفعلوه هو متابعة دور الرعاية الحكومية والإبلاغ عن أي تجاوزات فيها...ولكن هذا بالتأكيد ليس كافي.

هز زياد رأسه:

- لا يعجبني ذلك...لا بد من وجود حل.

لم تعلق ياسمين فأردف:

- ربما يمكننا أنا وأنتِ أن نجد هذا الحل...أقصد فلنفكر نحن ربما نصل لحل.

قالت ياسمين :

- بالتأكيد...سأفكر إذا توصلت لشيء سأخبرك.

ابتسم زياد قائلاً بلهجة مختلفة:

- أشكرك...أنا سعيد حقاً أننا وجدنا شيئاً مشتركاً نعمل فيه.

سرت رجفة غريبة في جسد ياسمين وتسارعت دقات قلبها بشكل غريب ومختلف..نعم شعور مختلف لم تشعر به من قبل، فلم تستطع النطق بشيء بل ظلت تحديق في وجه زياد المبتسم في هدوء، ولم تفيق إلا على صوت الأم:

- يابنات...تعاليا وساعداني.

التفتت لها ياسمين:

- قادمتان.

جذبت زهرة من يدها وأسرعت للمطبخ بينما تقول زهرة:

# العودة

- ما هذا الذي كان يحدث منذ قليل؟

لم تجب ياسمين إلا بكلمة واحدة:

- اصمتي.

تابعهما كلاً من زياد وشادي فقال الأخير وقد ضيق عيناه مقلداً أسلوب زياد:

- وجدنا شيئاً مشتركاً لنعمل فيه.

التفت له زياد ضاحكاً:

- ما رأيك؟. كيف كانت طريقتي في قولها؟!...هل كانت جذابة؟!

ضحك شادي وهو يهز رأسه، فعقد زياد ذراعيه أمام صدره:

- قل أنت أولاً...ما هو دورك بالضبط في حجاب زهرة؟!

اختفت ابتسامته فجأة متمماً:

- أنا..لا..لا أعلم.

مط زياد شفثيه قائلاً في مكر:

- واضح.

تلقت شادي حوله:

- لم تأخر ياسر ومازن؟!

جاراه زياد في تغير الموضوع قائلاً:

# المودة

- ياسر قال إنه سيتاخر قليلاً...أما مازن فلا أعلم..لعله لم يجد الهدية المناسبة بعد...سيظهر بالتأكد.

\*\*\*\*\*

فتح شوقي باب الشقة دافعاً سلمى للداخل حتى أنه أسقطها أرضاً فتأوهت في ألم بينما أسرع لها عبير قائلة:

- شوقي ماذا دهالك؟!...كيف تعاملها بهذه الطريقة؟!!

أغلق شوقي الباب خلفه قائلاً في غيظ:

- هي لم ترى شيئاً من معاملتي بعد...أنا...أنا يا سلمى تصفيعني أمام الجميع.

نظرت عبير لسلمى التي كانت تحرق في شوقي باشمزاز قائلة:

- سلمى..هل صفعته..م؟!!

وقفت سلمى على قدميها قائلة:

- لأنه كان يستحق ذلك...خان صديقه وأحضره للموت بقدميه...كيف تفعل

ذلك؟!...كيف خدعته ليحضر إلى هنا؟!!

قالت عبير:

- صحيح شوقي...أنت فعلاً من أحضر هادي إلى هن؟!.

صرخ بها شوقي:

- اصمتي أنتِ.

انتفضت فزعاً من صراخه، فنظر لسلمى قائلاً:

- يكفي أن أقول له أنكِ تحتضرين وتريدين رؤيته ولو للمرة الأخيرة...حتى يترك كل شيء

ويهرول معي إلى هنا.

شعرت سلمى بالغضب الشديد فاندفعت نحوه ورفعت يده قائلة:

# العودة

- أيها الوغد الحقير .  
أمسك ذراعها في الهواء قائلاً:  
- تريدين تكرارها.  
جذبتها بقوة إليه ليتصق ظهرها بصدرة وأحاط عنقها بذراعه فصرخت:  
- اتركني..  
- شوقي ماذا تفعل..اتركها.  
نظر لها شوقي بغضب:  
- إذا سمعت صوتك مرة أخرى سألقي بك في الخارج.  
لم تعرف عبير ماذا تفعل فالتزمت الصمت ، بينما تحاول سلمى أن تفلت منه ولكن هيهات  
فقد بدت كطفلة صغيرة في ذراع عملاق ، فضغط على عنقها:  
- توقفي .  
- اتركني قلت اتركني...سأخبر أبي بما تفعل.  
أطلق ضحكة سخرية:  
- أباك...أباك حقق حلم عمري...ومنحني إياك.  
اتسعت عينا عبير وهي تسمع كلماته بينما تصيح سلمى:  
- مستحيل...أنت تحلم...لن أكون لك أبداً.  
- لماذا عزيزتي؟...من أجل هادي...يا لكم من فتيات..لم تختارون دائماً الأوسم والأغنى...  
ألا أنه غنياً اخترته من بيننا...لم أكره هادي.. إلا بعد اختيارك له...كلكن تجبون المال... أما  
من هم مثلي...فلن تنظر له فتاة جميلة مثلك... وفي الوقت الذي كنت فتاة أحلامي...أجدك  
بكل بساطة تهرعين لمن أحضرته بنفسه إلى هنا...والآن انتهى كل شيء..وستكونين لي أنا  
يا سلمى.  
- ما هذا الذي تقوله يا شوقي؟!

## العودة

قالت عبير والدموع تنهال على وجنتيها، فنظر لها نظرة سخرية بينما قالت سلمى:  
- أخبرتك من قبل أنه وغد...قالها لي هادي ولم أصدقها...شوقي كان يستغلك طوال الوقت.

ظلت عبير مكانها تبكي وهي تنظر لشوقي غير مصدقه، لكنه لم يهتم ولم يقل لها كلمة واحدة بل عاد يحدث سلمى التي مازال يطوقها بذراعيه:  
- هادي..قال ذلك...أراهن أنه علم أيضاً أنني كنت أحبك...فطالما كان لماحاً لما حوله.  
دفن وجهه في شعرها مردداً:

- نعم سلمى أنا أحبك..دعيني أشم رائحتك..كم هي رائعة.  
اشتعل جسد سلمى ناراً وهي تشعر بقربه الشديد منها فأخذت تحرك رأسها يمنة ويسرة مردده:

- شوقي...ابتعد عني...قلت ابتعد.  
أدار جسدها إليه لينظر لوجهها قائلاً بلهجة أخافتها:  
-أبتعد عنك..لم أكن بهذا القرب منك من قبل...إن كل خلية في جسدي تصرخ الآن شوقاً لكي سلمى...أتفهمين؟!  
ارتعبت سلمى كثيراً وهي تقرأ ما في عينيه من أفكار مع خفض بصره لشفتيها.

رُبَّ كَلِمَةٍ اشْعَلَتْ حُلْمًا

فأسرعت قائلة لتكسب بعض الوقت:

- شوقي...عليك أن تهدأ...فليكن كل شيء بعلم أبي...لا تفعل شيء..قد يغضبه منك...فلتنتظر فحسب.

مط شوقي شفتيه وقد أرخى قبضتيه عن ذراعيها:

- أفهم من ذلك أنك موافقة.



# العودة

ابتعلت سلمى ريقها بصعوبة وقالت:

- بشرط واحد!!

أطلقها شوقي فعادت للوراء ليسألها:

- ماهو؟!

صمتت قليلاً لكنها استجمعت شجاعته قائلة:

- أريدك أن تُهرب هادي... إن فعلت سأترجك... ولا أعتقد أن هادي سيعود للموت

بقدميه ثانية... سينساني.. وأنا أيضاً سأنساه.

ظل شوقي يحدق بها للحظات بينما هي تراقب ردت فعله راجية من الله أن يصدقها، لكن

ضحكته التي انطلقت من فكه فجأة أوقعت قلبها في قدميها، استمر ضحكته لثواني ثم قال:

- لا أحب أن يستهين أحد بذكائي.. وإن كان ما تقولينه هو الحقيقة... فعليك أن تثبتي

ذلك.

عقدت حاجبها قائلة بترقب:

- وكيف اثبتته؟!

تأملها بنظرات مليئة بالرغبة قائلاً:

- مادمتي موافقة على إتمام الزواج.. فلن يشكل فارقاً كبيراً أن يتم الزواج الان أو

غداً... أليس كذلك؟!

- لا أعتقد أن أبي سيرى أن اليوم أو حتى غداً الوقت المناسب لهذا الامر.

اقترب منها بخطوات بطيئة قائلاً:

- لا أقصد ذلك... أقصد أنك لن تمنعي في أن تثبتي حسن نيتك وتسمحي لنا بقضاء وقت

ممتع معاً.

اتسعت عيناها في ذهول ثم هزت رأسها:

# العودة

- لا شوقي..لن يحدث بيننا ما تفكر به قبل الزواج.

اقرب منها أكثر فتراجعت حتى التصق ظهرها بالحائط فوضع كفه على الحائط مقرباً من وجهها كثيراً:

-لا تقلقي...لن يصل الأمر لما تصورتيه...فقط وقت أستمع فيه بالقرب منك.

ابتعلت ريقها بصعوبة، لم تفكر في أنه قد يضعها في هذا المأزق قط. ماذا ستفعل الآن...لا يمكنها أن تقبل أبداً.... مجرد التفكير في الأمر يشعرها بالغثيان، ولكن إن رفضت فسيعلم أنها تخدعه..ماذا ستفعل؟!!

- مارأيك؟!!

انتبهت له ودنت منها نظرة لعبير التي تسمرت مكانها وبدت وكأنها في عالم آخر وقد تجمدت الدموع في مقلتيها، فالتفتت له قائلة:

- شوقي...أنا أسفة..لن تلمسني قبل الزواج..فإن أردت أن أكون لك برضائي... فانتظر.. فقط أنتظر حتى الزواج.

دق قلبها بعنف وهي تنتظر رده، فرفع كفه عن الحائط وعاد يضربه بقوة جعلتها تنتفض قائلاً:

-تكذبين سلمى...أعلم أنك تريدين كسب الوقت فحسب...لست أنا من تخدعه فتاة  
مثلك...أنت لي...شئتي أم أبيتي..والآن سلمى..الآن.

قارن قوله بالفعل حيث انقض عليها فصرخت سلمى وهي تضع كفاها على وجهه لتدفعه بكل قوة عنها وتمنعه من تقبيلها ولكن الامر كان صعباً نظراً لقوة شوقي وضخامته، لكنها كانت تستخدم كل قوتها مستغلة كل الادرينالين الذي سرى في عروقها لتبعده عنها ثم فجأة تذكرت كون عبير هنا فصاحت:



# العودة

-لا يا سلمي...دعيني أقتله...إنه يستحق الموت.

-وأنتِ لا تستحقي أن تقضي بقية عمرك في السجن.

أمسكت بيد عبير قائلة:

-هيا...هيا نخرج من هنا قبل أن يستفيق...هيا...يجب أن ننقذ هادي..هيا.

وأنطلقا هرباً من المكان.

\*\*\*\*\*

وقفت ياسمين تساعد الأم وزهرة في ترتيب مائدة الطعام وإن كان تفكيرها مشغول بما حدث، بداية عندما نظرت لتجد زياد ينظر لها، وكيف أخرج وأدار وجهه بعيداً؟، لم شعرت بالسعادة؟...لم شعرت أن قلبها يتراقص للحظات قبل أن يعد كل شيء لطبيعته؟، ولم تسارعت دقات قلبها لكلماته لها؟، وما الذي كان يعنيه بالضبط؟، هل حقاً هو يكن لها مشاعر ويريدها زوجة له كما يردد أخيها طوال الوقت،؟ ولم هي سعيدة بالفكرة؟..لم الشعور مختلف؟..لقد كان يصيبها التوتر الشديد من مازن..أما زياد..فتشعر أن الأمر حقاً مختلف تشعر أنها أكثر راحه..أكثر هدوءاً...ربما لأن هذه المرة عقلها متوافق مع قلبها..ابتسمت للفكرة التي ارتاحت لها وانتهت على صوت زهرة:

- ياسمين..ياسمين..

- نعم..ماذا حدث؟!

- أتحدث معك أين أنتِ؟!

- أسفة لم أسمعك..ماذا كنتِ تقولي؟!

خفضت صوتها وهي تقول:

- ما رأيك في ردت فعل شادي؟!...هل تعني شيئاً؟!

# العودة

ابتسمت ياسمين مردده في عقلها:

"كلّ يبكي على ليلاه"

نظرت لها قائلة:

- لا أعلم.. لقد كان مرتبكاً بعض الشيء... لقد تدخلت في الحديث لأنقاده.

- وهل هذا الارتباك في صالحه؟!

- أعتقد ذلك؟! فقلما أجد شادي مرتبكاً هكذا؟!... ربما سيحدث في الأمور أمور.

فركت زهرة يديها في سعادة:

- يارب.. ياسمين... يا اارب.

ضحكت ياسمين وهي تقول:

- أمين.. يا زهرة.. اميينيين.

وقف ماهر عند النافذة منتظراً ظهور أخيه في أي وقت كاد القلق أن يقتله وقرر أن يخبر زياد بما رآها وقبل أن يفعل رن هاتف مازن الذي احتفظ به في جيبه بعدما عثر عليه في السيارة التي تركها أخيه مفتوحه، أخرج الهاتف ليفاجأ باسم زياد على الشاشة فالتفت ليجد زياد يحدق به في دهشة متجهماً نحوه:

- لم هاتف مازن معك؟!

خفض ماهر ناظره فقال زياد:

- تكلم ماهر.. ما الذي يحدث؟!

هز ماهر رأسه:

- لا أعلم... لقد وجدته في سيارة مازن.

- ماذا؟... ماذا تعني؟!... أليست سيارته معه؟!

- لا.. إنها أمام النادي.. حيث تركها قبل أن يذهب مع هذا الشخص.

# المودة

عقد زياد حاجبيه:

- شخص...أي شخص؟! -

زفر ماهر قائلاً:

- كان من المفترض أن التقى به أمام النادي كي نشترى الهدية معاً..لكن فور قربي منه رأيت شخصاً يتحدث معه بعصبية وما قاله أصاب مازن بالهلع جذبه لسيارته وركبا فيها وانطلقا، وأردت اللحاق به لكن لم استطع فاتجهت لسيارة مازن فوجدته تركها مفتوحة والهاتف فيها أغلقت السيارة وحملت الهاتف معي وهذا كل شيء.

- صف لي السيارة وهذا الشخص.

- كان شاباً ضخماً الجثة ، طويل القامة، شكله ليس مريح إطلاقاً وسيارته كانت من النماذج القديمة..ليست حديثة... لونها... أزرق.. نعم...أزرق.

-يا الهي..يا الهي.

رددتها زياد عندما تأكد أن ماهر يتحدث عن شوقي، فقال ماهر:

- ماذا هناك؟!.

أمسك زياد بذراع ماهر وهو يصيح:

- كان يجب أن تخبرني بهذا فور أن عدت.

التفت الجميع إليهما بسبب صوته العالي لكنه لم يهتم وأكمل:

- ماذا سأفعل الآن؟...ماذا سأفعل؟!.

قالت الأم:

- ما الذي يجري هنا؟!.

طرق أحدهم الباب فأسرع ماهر:

- مازن..ربما مازن؟!.

تعلقت عيون الجميع بالباب الذي فتحه ماهر ليرى شابتان تلهثان بقوة، وكأنهما كانتا في

# العودة

سباق للجري وكانتا في حالة يرثى لها، فقالت الأولى وكانت شقراء:

-هل هذا منزل العم نور؟!

عقد ماهر حاجبيه:

-العم نور!!

قالت الشابة:

-أنا لست متأكدة..فإن لم يكن هو أخبرني أين؟!

قال ماهر:

-نعم...هو ولكن العم نور..مات منذ سنوات.

اتسعت عيون الفتاتان فظهر لها زياد قائلاً:

-ماذا تريدان بالضبط ومن أتما؟!

بلعت الفتاة الشقراء ريقها قائلة:

-نحن هنا..لأن هادي...أقصد مازن في خطر.

حدقا بها في ذهول ثم انتبه ماهر لها أكثر فقال:

-أنتِ سلمى..هل أنتِ سلمى؟!

نظرت له وهو توميء رأسها:

-نعم..أنا.

جذبها زياد بقوة للداخل فتبعها عبير وقال:

-أين مازن؟..أين هو!!

فوجئت سلمى بعدد لا بأس به من الحاضرين يحدق بها، لكنها قالت:

-لقد خدعه شوقي...أخبره أنني أحتضر وأن عليه المجيء، ذهب معه ليفاجأ بأبي أمامه...أبي

سيقتله...سينتقم منه..أرجوك...يجب أن تفعلوا شيئاً...لقد هربت باعجوبة...وأسرعت إلى

هنا حيث قد أخبرني هادي كثيراً بعنوان مسكنه.

# العودة

سمعت الام تقول:

-هادي من؟!-

التفتت لها سلمى:

-أسفة أقصد مازن..لقد كان يعيش بيننا باسم هادي.

سألها زياد:

-وأين هو الآن؟!

-في المنزل، في قبو المنزل...يجب أن تسرع...يجب أن تسرع.

عقد زياد حاجبيه:

-سأبلغ الشرطة..هذا هو الحل الوحيد.

أسرعت عبير بالقول:

-وأنا سأدلكم على المنزل...ولكن سلمى لا يمكنها أن تعود إلى هناك.

قال زياد:

-فليكن هيا.

-زياد.

صاحت الأم، فالتفت لها:

-ما هذا الذي أسمع؟...إلى أين أنت ذاهب؟...ولم ابوها يريد قتل مازن؟!!

-لا يوجد وقت أمي....ستعرفين كل شيء فيما بعد.

قال ماهر:

-سأتي معك.

رد بحزم:

-مستحيل...سأتصل باللواء فتحي وهو سيخبرني ماذا أفعل؟!!

قالت الأم من بين دموعها:



# العودة

-لا تذهب...أبلغ الشرطه فحسب...لا أريد أن أفقد المزيد منكم.  
شعر زياد بالأسى على أمه، لكن لم يكن الوقت يسمح بمزيد من الكلام، فاكتفى بقول:  
- سأعود به يا أمي...أعدك.  
ثم التفت لعبير قائلاً:  
-هيا.

أسرعت معه للخارج بينما تبعها شادي هو يقول:  
-انتظر زياد سآتي معك.  
لم يعترض زياد وتركه يركب السيارة بجانبه بينما استقلت عبير المقعد الخلفي وانطلقوا بها.  
ساد الصمت للحظات وظلت سلمى تنظر للأرض وهي مدركه أن كل العيون متعلقة بها  
الآن فاقتربت منها الأم:  
-أنتِ يا فناة... ما الذي يحدث؟...لم مازن في خطر؟!..أجيبي.  
نظرت لها وقالت في تردد:  
-أنا أسفة...كل هذا بسببي...سأخبرك بالجزء الخاص بي في هذه القصة..أما بقيتها سيقصها  
عليك هادي.

صرخت في وجهها:  
-مازن..اسمه..مازن.  
انتفضت سلمى قائلة:  
-اسفة ... أقصد مازن.  
حاولت الأم أن تهدأ ثم قالت لها:  
-اتبعيني.

# العودة

تبعها سلمى باستسلام، بينما وقف الجميع مدهوشاً بما يحدث ورددت زهرة:  
يا الهي...يا الهي.

\*\*\*\*\*

دخل شوقي للمنزل سريعاً وهو يمسك رأسه التي لازالت تؤلمه فما أن رآها الزعيم:  
-لم تأخرت هكذا؟!

لم يعرف شوقي ماذا يقول لكنه لم يستطع الصمت:

- زعمي..أنا أسف...لقد باغتتني عبير..وأفقدتني وعيي..وهربت مع سلمى.

حذق به الزعيم للحظات وهو غير مصدق، ثم أمسك بتلابيب قميصه:

- ماذا تقول أيها المعتوه؟! ألا تخجل من نفسك؟!...فتاة تتغلب عليك أيها الثور.

- لم أراها...المهم الآن يا زعيم..أخشى أن تذهب سلمى إلى الشرطة...فهي الآن لا تفكر إلا  
في هادي.

تركه الزعيم:

- لست بحاجة لتذكرني بذلك...اسمعوني جميعاً...سنلجأ لخطة الطواريء الآن، على كل

قائد مجموعة أن يعلمهم بما سيفعلون، واللقاء سيكون بعد يومين في منزل الطواريء...الذي

سيخبركم عنه من يقودوكم...اجمعوا كل ما لكم هنا..لا أريد أي دليل على أي أحد

منكم...مفهوم.

-مفهووم.

رددتها كل من سمعه وانطلق الجميع للتنفيذ، فقال شوقي:

-وهادي.

عقد الزعيم حاجبيه قائلاً:

# العودة

-ادفنه حياً...أريده أن يعذب قبل أن يموت.

ابتسم شوقي في شماته:

-لك ذلك زعيم.

-أسرع.

انطلق إلى حيث يوجد مازن الذي استعاد وعيه وإن كان الألم هائلاً، لم يعرف لم ساءت الأمور بهذة السرعة، المفترض أنه الآن يحتفل مع عائلته. كم كان أحرق عندما وثق بشوقي، وهو من داخله يعلم أن شوقي ليس بصديق أبداً، ولكن ماذا كان سيفعل كيف كان سيتأكد من كلامه، لقد اختار شوقي أفضل طريقه لخداعه، سمع باب القبو يفتح وبالنور البسيط في المكان استطاع تميز وجه شوقي الذي وقف يتأمله في شماته، فقال مازن في وهن:

- هل أنت سعيد الآن؟!...أعلم أنك لم تحبني ولم تعتبرني صديقاً قط...لكن موافقك معي أحيانا كانت تخدعني.

اقرب شوقي أكثر:

-نعم..أنا لم أحبك قط..ولكني لم أكرهك إلا بعد أن حصلت عليها.

نظر له متسائلاً، فابتسم شوقي دون توضيح فقال مازن:

-ولكن مالي لم ينفد بعد...فلما التوقف عن ابتزازي؟!!

هز شوقي شفتيه:

-للأسف...كل هذا لم يكن من الخطة..ولكن تدخل ابن عمك..هو الذي أوصلنا لهذه

النقطة.

-ابن عمي؟!!

-زياد..أليس هذا اسمه؟!...تحدث معي بكل عنجهية جوفاء...مذكراً إياي بكل ما أكرهه في

# العودة

طبقتكم، فكان يجب أن أنتقم... فبعد أن أقتلك سألقي بجثتك أمام منزلك... وسأسمع صرخة ابن عمك وهي تخلع قلبه كمدأ عليك... صرخه ستريح قلبي كثيراً.

عقد مازن حاجبيه متسائلاً.. كيف وصل له زياد ولم لم يخبره أنه تحدث معه، لماذا... زياد.... لماذا؟!؟

عاد ينظر لشوقي:

- لن تفرق كثيراً أن يجد جثتي على الباب أو في أي مكان في الشارع لا ترهق نفسك بحملها.

ضحك شوقي في سخرية:

- ما هذا الثبات؟! لقد تغيرت كثيراً.

لم يعلق مازن وإنما أشاح بوجهه بعيداً فاقترب منه شوقي أكثر قائلاً بتسفي:

- اسمع هذا إذأ... وأرجوا أن تستمر في ثباتك... لقد تذوقتها قبلك.. وم كانت رائحة.

حرق مازن بوجهه قائلاً:

- ماذا؟!... ما الذي تتحدث عنه؟!؟

- أتحدث عن حبيبتي.. التي أخذتها مني... بعد أن فقدت وعيك طلب مني الزعيم أن

أعيدها لشقتي التي كانت تسكنها مع عبير في الاونة الاخيرة ووعدني أنه سيزوجني إياها،

لكنني كنت واثق أنها سترفض فقررت أن أضعها أمام الامر الواقع، لقد قاومت

كثيراً... وبالأسف كانت تنادي عليك... وكأنك ستنقدها... ولكنك لم تأتي... واستمتعت أنا

بها.. وتذوقت رحيق شفيتها كما توقعته كان اشهى من العسل.

ضغط مازن على اسنانه بقوة وهو يسمعه ثم صاح في وجهه:

- كاذب... الزعيم ما كان يسمح لك.. أن تفعل هذا بابنته.

- ربما في الماضي.. لكن بعد أن كادت أن تقتله من أجلك... تغير الأمر كثيراً، أسف

# العودة

هادي... أعلم أنها كانت تريدك..ولكن أنا من حصل عليها وعلى جسدها الذي طالما  
أثارني..ولمست كل جز...

قاطعت كلمته لكمه وجهها مازن له بكل ما بقي له من قوة فالتفت له في غضب هادر:  
-أحمق..هل تتصور نفسك قادراً على مواجهتي؟

قالها وهو يمسك برقبة مازن ليرفعه عن الارض تعلق مازن بذراعه وهو يحاول الافلات  
من قبضته المميته لكن بالطبع هناك فارق قوي في بنيتها ولنصف لهذا ضعف مازن بسبب  
الضرب الذي تعرض له، شعر مازن بالاختناق ولكن شوقي ألقاه به أرضاً ليرتطم بها بعنف  
ويتاوه في ألم وشوقي يقول:

-لا تحزن كثيراً..أعدك في المرة القادمة أن أكون أكثر رقة معها..لا أعتقد أنها ستقاوم كثيراً  
فلقد تعلمت أن المقاومة لا تفيد.

كانت كلماته تألم مازن أكثر من الألم الجسدي، لم يستطع أن يصدق أن سلمى تعرضت لهذا  
فعالاً..لم يستطع أن يصدق أنه فقدها بهذه الطريقة البشعة، وكيف أنها كانت تنادي باسمه،  
فهمس في ألم:

- مستحيل...أنت تكذب.

-ماذا تقول أيها المأفون؟!..دعنا ننهي هذا الأمر السخيف فلقد طلب مني الزعيم أن  
أسرع.

قالها وهو يقترب منه ويكيل له اللكمات والركلات مما أشعر مازن بألم رهيب في صدره  
وكان شيئاً تحطم بالداخل، وسمع شوقي يقول:

-لو كانت ركلاتك بنفس هذه القوة لربما مات الزعيم حقاً فلقد حطمت ضلعاً في صدره،  
وأصبته بشبه ارتجاج في المخ..كم أخذ وقتاً حتى عفي من هذه الأصابات..ولكن دعنا من  
هذا..ولنعد لحبيبتى سلمى..هل تريد أن أصف لك ما حدث؟..ليس لدي مانع.. إذا كنت



## العودة

جر شوقي فعلاً ليسرع معه، تاركاً مازن الذي سقط على ركبتيه ثم بجسده كله على الأرض، لم يكن بإمكانه الشعور بأي ألم وكأن جسده لم يعد قادر على استيعاب أي ألم جديد، بينما يجارب عقله هذه الغيمة المظلمة التي تحاول أن تبتلعه، لم يرد أن يستسلم لها، كان يخشى جداً أن يغلق عينيه فرمما لن يستطيع فتحها أبداً مجدداً.

سمع بعض خطوات تقترب من مكانه.

-يا الهي...مازن...مازن...الأوغاد...السفلة.

قالها زياد بحسرة شديدة وهو يرى هيئة مازن المؤلمة، فأسرع إليه ليعدل وضعيته، فعلها بسرعة فصرخ مازن متألماً.

-أسف..أسف.

رددها زياد بينما وقف شادي ينظر له فقال:

- يبدو أن جسده تتضرر كثيراً سأستدعي المسعفين، أسرع للخارج بينما دخل اللواء فتحي الذي تألم أيضاً لهيئة مازن المزرية، حاول زياد ألا يضغط على جسد مازن وشعر بالدموع تملأ عينيه فردد:

-سامحني...سامحني...أنا السبب...ليتني أخبرتك بأني تحدثت إلى هذا الحقيير.

نظر له مازن محاولاً الابتسام وردد في ألم:

- طالما كنت مصدر تعاستك.

هز زياد رأسه بقوة:

-لا..لا...أنتهى كل شيء يا مازن...سيحاسب الجميع...لم يعد هناك ماضي تخشاه...لم يعد

هناك شيئاً تخشاه.

تغلبت الغيمة أكثر عليه فأغلق عينيه فصاح زياد والدموع تنهال من عينيه:

-لا...مازن..لا تذهب...ابقى معي أرجوك...ابقى معي...لقد وعدت أمي أن نعود

# العودة

سويًا... بالله عليك ابقى معي... لا تتكلم... فقط ابقى معي.  
حاول مازن أن يقل شيئاً لكنه استسلم في النهاية وسقطت رأسه في صدر زياد الذي  
صرخ:  
-مازن... لا تذهب... مازااان.

\*\*\*\*\*

أشرقت شمس يوم جديد، وقف زياد خلف نافذته يتطلع لسيارة مازن القابعة أمام المنزل  
وقد علاها الغبار، كان يبكي في صمت، شعر وكأن سيارة مازن حزينة أيضاً، مسح دموعه  
التي لا تنفك تعود لتسبح في مقلتيه من جديد، لم يتوقف عن لوم نفسه أبداً إزاء ما  
حدث، كم كان تصرفه خاطئاً تماماً، وقبل أن يعود ليغرق في أحداث الأيام الماضية رن  
هاتفه واستطاع تميز صاحب الاتصال من صوت الرنين، فأسرع لهاتفه:

- أمي... أمي... ماذا حدث؟... هل أصابه مكروه؟!

اتسعت عيناه في ذهول وهو يسمع أمه تصيح في سعادة بالغة:

- لقد استيقظ يا زياد... مازن استيقظ... تعالوا.. تعالوا جميعاً.

شعر زياد وكأن قلبه سيتوقف من كثرة السعادة التي غمرته، فمذ نقل مازن للمشفى وهو  
في غيبوبة، أخبرهم الطبيب أن جسده تتضرر كثيراً من الداخل من كسور وشبه ارتجاج  
في المخ وتهتك أنسجة ورضوض، ودخوله في غيبوبة أمر متوقع بسبب هذه الاصابات  
فجسده بحاجة الى الكثير من الراحة ليعيد بناء نفسه وهذا أمر مطمئن، وقد يستيقظ في  
أي وقت، لكن زياد لم يكن مطمئن أبداً، فقد كان يخشى أن يفارقهم مازن في أي لحظة،  
ولكن... أخيراً.. أفاق مازن بعد أن عذبهم أسبوعين من الانتظار والقلق.



# المودة

خرج زياد يصرخ لكل من في المنزل:

- أستيقظوا... أفيقوا... لقد أفاق مازن... سأذهب في خلال ٥ دقائق من لن يركب معي فعليه إيجاد طريقة أخرى للوصول.

لا يعلم زياد كيف فعلها الجميع ، لكنهم كانوا جميعاً في طريقهم للمشفى، التي جروا في أروقتها بطريقة أدهشت الزوار لكنها أسعدت العاملين الذي يعلمون سبب سرعتهم تلك، وصلوا لغرفة العناية التي كانت مخصصة لمازن، واندفعوا للداخل ليروا مازن بينما تمسح أحما دموعه مرددة:

- لم البكاء مازن؟!.. أنتهى كل شيء..

لم ينتظر ماهر بل ألقى بنفسه عليه فتأوه مازن فأسرعت أمه بإبعاده:

- ماهر هل جنت؟!!

- أسف أخي.. لا تتصور مدى سعادتي بعودتك.. أسف... حمدلله على سلامتك.

حاول مازن الابتسام لكنه لم ينجح إلا بفرح شفنيه قليلاً، أما زهرة فانهمرت الدموع من عينيها مرددة:

- حمداً لله... حمداً لله.. كلمة اشعلت حُلماً

وظل زياد بصره متعلق بمازن الذي بادله النظر أيضاً، كان مازن يبدو حزيناً بشكل لم يفهمه زياد لكنه اقترب منه ليرت برفق على كفه:

- وأخيراً فتحت عينيك من جديد... لقد افتقدت لونها كثيراً.

قالها مبتسماً لكن مازن ظل ينظر له فعقد حاجبيه:

# المودة

- ماذا بك؟!...هل يؤلمك شيء؟!!

قال مازن في وهن:

- هل تعلمون شيئاً عن سلمى؟!!

ارتسمت البسمة على شفاههم جميعاً فقال ماهر:

- كل هذا الحزن من أجل سلمى?!!

لم يجب مازن فقال زياد:

- في الحقيقة هناك شخص معنا...يعرف الكثير عنها..أعتقد إنه يمكنه مساعدتك.

لم يفهم مازن ما يقصد، هل يتحدث عن عبير مثلاً أم بندق، أردف زياد متجهاً للباب:

- سأطلب منه الدخول.

فتح الباب وأشار بيده للشخص الذي بالخارج، وسرعان ما ظهرت سلمى والدموع تملأ عينيها فقالت أمه:

- ما رأيك في هذه المفاجأة?!!

لم يجب مازن بل تعلقت عيناه باتساعها على سلمى التي ظلت مكانها تنظر له بكل شوق ولهفة، فاتسعت ابتسامة الأم:

- حسناً...يبدو أنك لن تسمع أحداً منا..لا بأس..هيا..سنتركها معاً قليلاً.

استجابوا لها وغادروا الغرفة بينما همست في أذن سلمى:

- عزيزتي لا ترهقيه.

## العودة

وما أن غادر الجميع حتى أسرعت سلمى لترتمي على صدره ورغم شعوره بالألم أيضاً لكنه كتم  
تأوهه لخاطرها بينما تقول من بين دموعها:

- حمداً لله... حمداً لله أن عدت لي... كانت أيام صعبة كثيراً... خشيت أن أفقدك... أن  
أتأخر في السعي لأنقاذك... يا الهي... كاد قلبي أن يتوقف بعد أن رأيتك... كنت في حاله  
يرثي لها.

رفعت نفسها عنه مردفة:

- سامحني... أنا السبب في كل ما أصابك... أنا السبب.

قال في همس:

- لم الكل يظن أنه السبب!؟

هزت رأسها في عنف:

- نعم أنا السبب... لم أكن أعلم أنه ستركنا ليفعل بك هذا... لو خطر هذا ببالي ما كنت  
منعت عبير من قتله... بل لكنت قتلته بيدي أنا.

عقد حاجبيه متذكراً كل ما كان شوقي يقوله:

- "هل كان يقول الحقيقة... مستحيل... لقد كان يكذب... قولي سلمى إنه كان يكذب  
أرجوك."

أستجمع قوته ليقول:

- تتحدثين عن شوقي!؟

أومات برأسها:

# العودة

- نعم...الوغد...الحقير...

تأملها مازن أكثر، كان يرد أن يستشف أي شيء من ملاحظها لكنها أردفت:

- هل تتصور أنه قال لي أنه يجبني...هذا الحقير الذي كنا نعتبره صديق...ولكن لا يهم هذا الحديث الآن...لقد لقي عقابه...وأنت هنا معي...معي أنا.

أمسك مازن بكفها قائلاً:

- لا...تكلمي...لماذا كانت عبير ستقتله؟!

ترددت سلمى في قول ذلك، فالامر سيغضبه حقاً، وهو مازال متعباً، لكنه قال:

- سلمى...بالله عليك..أجيبني...لماذا..كنتما ستقتلانه؟!...ماذا فعل...هل...هل...تعرض لكِ بأي شكل من الأشكال؟!

عقدت سلمى حاجبها وهو تنظر له ولم تستطع تفسير نظرة الرجاء التي في عينيه وهو يطلب منها أن تكمل، في الحقيقة هي أرادت أن تخبره بما تعرضت له، لكنها خشيت عليه الغضب فأخبرته بكلمات مقتضبة وتلميح بسيط أنه كان ينوي الاعتداء عليها وماذا فعلت عبير لمساعدتها، وكيف أسرع معها لبيت عائلته طلباً للنجدة.

رفعت حاجبها في دهشة عندما فوجئت بمازن يضحك في سعادة رغم أنها ضحكه لا تكاد أن تسمع وكانت تؤلمه في نفس الوقت فقالت:

- هل تضحك؟!..

نظر لها والسعادة تملأ عيناه، شعر براحة عارمة وأخيراً تنفس الصعداء، كان على ثقة أنه يكذب...سلمى كانت وستظل زهرته البيضاء.

# العودة

- مازن..لم تضحك؟!...تصورت أنك ستغضب...هل أنت بخير؟!

هدأ قليلاً ثم اتسعت ابتسامته:

- مازن...لست معتاد على هذا الاسم منك.

هزت كتفها:

- إنها خالتك...كلما قلت هادي...تصيح في وجهي...اسمه مازن...ماالازن...فكان علي أن

أتوقف عن ذكر هذا الاسم.

ضحك مازن لكن ضلوعه المصابة ألمته فأمسك صدره قائلاً:

- الضحك أصبح مؤلماً.

ربتت على صدره برقه:

- لا عليك...ستصبح بخير...اصابتك كانت بالغة.

- هل بقيتي في منزلنا طوال الأيام الماضية؟!

- نعم...أنا في غرفتك.

- حقاً...هذا رائع...ليس لدي مانع أن اتقاسمها معك حين أعود للمنزل.

ابتسمت في حياء:

- توقف!!

- يااه يا سلمى...كم أفنقدك..وأفنقد ابتسامتك تلك.

نظرت له وعيناها تحمل الكثير من الحب :

# العودة

- وأنا أيضاً..مازن...أفتقدك كثيراً..لن أبتعد عنك أبداً بعد الآن...أبداً.

- ومن سيسمح لك؟!!

عادت الجدية للملاحة وهو يسألها:

- ماذا حدث للجميع...اباك.. شوقي..بندق..والبقية؟!!

- شوقي أراد الفرار لكن الشرطة لحقته لكنه تعامل معهم بعنف، وحاول الهرب ثانية فأردوه قتيلاً، وبعض الشباب استطاع الهرب ومنهم بندق...أصلاً لم يكن في المنزل عند وصول الشرطة وتم القبض على أبي والبقية...سمعت المحامي يقول لزياد أن أبي يواجه تهماً متعددة كفيلة بسجنه مدى الحياة.

قالتها في آسى فقال مازن:

- هل أنتِ حزينة عليه؟!!

- هو أبي في النهاية...كنت أتمنى له ولي حياة أفضل.

- لا عليك...ستكون حياتنا القادمة أفضل إن شاء الله.

- وأنا سأنتظرك مازن...سأنتظرك.

رب كلمة اشعلت حُلماً

عقد حاجبيه:

- تنتظريني!!

لم تعلق ففهم ما تقصد قائلاً:

- أنا أيضاً معرض للمسائلة القانونية أليس كذلك؟!!

# العودة

أسرعت قائلة:

- موقفك الأفضل بين الجميع... قد تواجه حكماً مع أيقاف التنفيذ.. أو ربما شهر قليلة فقط... لا أعلم.. هذا ما سمعت المحامي يقوله.

- لا بأس... كنت أعلم أن هذا سيحدث.. المهم ألا تفارقيني وأنا هنا.. أريدك بجانب طوال الوقت.

- بالتأكيد... لكم تمنيت أن تفتح عينيك وأنا بجانبك.

تأمل وجهها الجميل المشرق دائماً والذي فقد القليل من بريقه بسبب حزنها وقلقها عليه، وعاد يسبح في مروج عينيها التي طالما آسرتة وملكت قلبه ثم همس لها:

- سلمى... أنا أحبك.

ابتسمت ووهي تخفض بصرها بعيداً:

- وأنا أيضاً... أحبك.

ثم عادت تنظر له وتعلقت عيونها ببعض لتقول ما تعجز الكلمات عن وصفه.

رُبَّ كَلِمَةٍ اشْعَلَتْ حُلُمًا  
بعد مرور عام.

وقف مازن أمام زياد ليعدل الثاني ربطة عنقه ثم ربت على كتفه وهو ينظر لوجهه:

- نجحت جهود أي في إعادة النظرة لوجهك... فلا نريد أن تكون العروس أكثر جمالاً منك.

## العودة

- هل تعتقد أنني يمكنني أن أضاهي جمال سلمى؟ ..أنت واهم.

تأمله زياد قليلاً ثم قال لهجة مصطنعة:

- دعني أرى....معك حق...لا يمكن.

تعالَت ضحكاتهما، فقال مازن:

- أشكرك على اهتمامكم بها وأنا في السجن.

عقد زياد حاجبيه :

- أعلم أننا وحدنا...ولكن لا تردد هذه الكلمة...الجميع يعتقد أنك كنت في الخارج للعلاج بسبب الحادث الذي تعرضت له.

طأطأ مازن رأسه:

- أسف إن كنت أصيبكم بالحرَج.

صفع زياد وجهه برفق:

- توقف عن هذا....مازن لا يوجد أحد فخور بك مثلنا...أنت أخطأت ولكنك ندمت ودفعت ثمن أخطائك....ولكنك تعلم مجتمعا...هو الذي لا يغفر...نريدك أن تسير بين الناس مرفوع الرأس..لا تخشى شيئاً...ولهذا لم نقل لهم الحقيقة...ليس لأننا مخرجون منك...لا تكرر هذه الكلمة أبداً.

ابتسم مازن له ثم ضمه ل صدره قائلاً:

- أشكرك زياد...أشكرك على كل شيء...لقد كنت نعم الاخ والصديق..بل أحياناً كنت نعم الاب أيضاً.



# المودة

عاد زياد للوراء:

- أب... لا تقولها ثانية هل تريد أن تعتقد ياسمين أنني كبير جداً في السن؟.

ضحك مازن لدعابته قائلاً:

- متى ستخبرها؟!

-اليوم.

- حقاً.

- نعم.

- أنا واثق أنها ستوافق...أستطيع أن أرى الحب في عينيها وهي تنظر إليك.

ابتسم زياد:

- دعك مني الآن...فاليوم يومك...وعروسك بانتظارك.

- لا أعرف أشكرك على ماذا..أم ماذا؟! فلقد منحتنا شقة الزوجية التي من المفترض أنها لك.

- أعتقد أن أي عروس لن تقبل أن تسكن في شقة أسستها خطيبتي السابقة، وأنت أعتدت عليها كثيراً... كما أننا أتفقنا أنك ستدفع لي على دفعات.

غمز مازن بعينه:

- لا تقلق لن أنسى.

اندفع ماهر للغرفة قائلاً:

# المودة

- ماذا تفعلان...هيا...العروس جاهزة..كما أن المدعوين في الانتظار.

التفت له زياد:

- قادمان..لا داعي للجلبة.

نظر لمازن وقد شعر بالسعادة البالغة قائلاً:

- مبارك مازن...مبارك.

- أشكرك زياد...سألحق بكما..إمنحاني دقيقة فقط.

- حسناً..هيا ماهر.

لم يفهم ماهر لماذا ولكنه خرج، أما مازن فعاد يتطلع لهيئته في المرأة، لقد استعاد الكثير حقاً من نضارة وجهه فبعد إنهاء مدة عقوبته والتي كان من المفترض أن تستمر لعام كامل ولكن والله الحمد تم تخفيفها إلى ٦ أشهر، كان يبدو شاحباً جداً فأصبحت خالته تلح عليه ليأكل كثيراً خاصة أنه أصر على أن يتم زفافه على سلمى سريعاً، وأخيراً جاء اليوم الذي طالما حلم به:

- أخيراً سلمى...سيتحقق حلمنا وسنكون معاً...ها قد انتهى الماضي بكل مساوئه وفزت بحسنه الوحيدة، أنتِ سلمى...أعدك أن تكون حياتناً أفضل..أعدك أن أعمل على تعويضك عن كل شيء.

سمع طرقة على الباب فعدل ربطة عنقه وألقى نظرة سريعة على هيئته ليخرج.

## العودة

امتلات القاعة التي تم حجزها لإتمام حفل الزفاف واتجه الكثير من المدعوين للخارج بعد أن علموا أن العروس ستهبط الآن ليستقبلها عريسها، وبالفعل صعد زياد لتأبط العروس ذراعه في رحلة الهبوط من الدرج ليأخذها مازن، كانت الرحلة تبدو طويلة لسلمي وهي تنظر لمازن الذي بدا في قمة أناقته وتألقه ببدلته السوداء اللامعة وهو يمنحها ابتسامة رقيقة ونظرة تملأها الحب، لم تصدق أن ما يحدث حقيقة فعلاً، لحظات وستصبح مع مازن...وأخيراً ستستمتع بحبه بشكل مختلف...سيمكنها أن تكون بين ذراعيه طوال الوقت، بل كم تمني أن تلقي بنفسها عليه لتتمتع بحضنه الدافئ، ابتسمت من نفسها، وهي تتخيل أنها تفعل ذلك أمام كل هؤلاء البشر الذين تناست وجودهم للحظة وشعرت أنها لا ترى سوى مازن يقف هناك ينتظرها هي فقط، نعم...اخترها هي فقط...لتكون معه وله..كم هي محظوظة لمجرد أن مازن أحبها.

وصلت أخيراً لتصبح أمامه وابتسم زياد قائلاً:

- تفضل عروسك.

ابتسم له مازن ومد يده يرفع الوشاح الذي غطى وجه سلمى، الذي ما أن رآه مازن حتى شعر وكأن القمر أضاء المكان، ولم يكن هذا انطباع مازن وحده فلقد كان الجميع يميل يمينه ويسرة ليروا هذة الفتاة الجميلة التي لم يراها أحد من قبل، لقد بدت كأميرة إنجليزية في ثوب زفاف ملكي، كصورة رسمت بدقة في إطار راقى الالوان، شعرت أن الجميع يحدق بها فحفضت بصرها خجلاً فطبع مازن قبلة حانية على جبهتها قائلاً:

- أفكر أن أعيد الوشاح كما كان.

ابتسمت لكلماته فأخذ ذراعها ليدخلا ويستقرا في مكانها وسط تصفيق المدعوين الذين أشارا لهما العروسان لتحيتهن، نظر مازن لسلمي قائلاً:

# العودة

- ما كل هذا الجمال كم أحسد نفسي!!

قالت وقد تملكها الخجل:

- توقف مازن... أنت تخرجني.

ابتسم قائلاً:

- عزيزتي أنت لم تسمعي أو تري شيئاً بعد انتظري عندما نكون وحدنا.

نظرت بعيداً وقد تورددت وجنتيها خجلاً.

كان زياد يراقبها من بعيد واتسعت ابتسامته لرؤية خجل سلمى فتمتم:

- ماذا قلت لها أيها الشقي؟! مشاعر.

ربت ياسر على كتفه فالتفت له قائلاً:

- ياسر.. أنت هنا.

- مبارك عزيزي.. مبارك.

- أشكرك...

- ترى متى سيحقق حلمي وأراك عريساً أنت أيضاً؟  
رُبَّ عُلَّةٍ أَشْعَلَتْ حُلْمًا

ابتسم زياد قائلاً:

- ربما قريباً.

- ماذا؟!!

- في الحقيقة كنت أريد أن أحدث أختك أولاً هل تسمح؟

# المودة

هز رأسه في سعادة بالغة:

- بالتأكد.. بالتأكد... تفضل... إنها هناك مع زهرة.. هناك.

كان يدفعه ليتحرك:

- كفى.. كفى... حسناً سأذهب... تمنى لي التوفيق.

- سأفعل.

رأى ياسمين تقف بجانب زهرة التي أشار لها شادي كي تقترب ليحدثها، تركت ياسمين  
وذهبت لشادي الذي منحها نظرة عتاب قائلاً:

- زهرة ألم نتفق؟!

كانت تعلم ماذا يقصد لكنها ادعت العكس:

- ماذا حدث؟!... هل يوجد شيء في ردائي لا يعجبك؟!... إنه فضفاض.

- أنا لا أتحدث على الفستان... وإنما على المساحيق التي تملأ وجهك... إذهبي وأزيليها.

عقدت حاجبيها:

- شادي... تكاد تكون غير مرئية.  
كلمة اشعلت حُلماً

- وكيف رأيتهما إذا؟!

قلبت شفيتها معترضة وهي تنظر بعيداً فقال:

- هل يمكنك أن تعيدي لي وجه زهرة الرقيق الذي أحب النظر إليه.. بلا أي إضافات.

## العودة

لظالما يعرف كيف يكسبها سريعاً، فمنذ عقد قرانها وهو يحاول أن يدفعها لم يجب بالطريقة التي تحب، فنظرت له راجية، فابتسم قائلاً:

- أنا رجل غيور... لا أحب أن ينظر أحد لزوجتي ليري كم هي جميلة... كما إنني أحبها بطبيعتها... زهرة حبيبتني... هيا.

علمت أنه لا فائدة فقالت:

- حسناً.. سأعود بعد قليل.

- انتظري.

نظرت له، فقال وهو يتأملها:

- دعيني أتأمل هذا الوجه الجميل للحظات ثم اذهبي.

ضحكت وهي تهز رأسها فقال:

- حسناً يمكنك الذهاب الآن.

تركته ومازالت تبتسم، كم تحبه وتحب طريقته في التعامل معها، مهما حدث بينهما لا يتركها إلا وهي تضحك، تابعها شادي وهو يتمتم:

- حقاً أحبك زهرة.. وأحب الحيوية التي أضفتها لحياتي.. أعدك أن أعمل على اسعادك.. أعدك.

اقترب زياد من ياسمين قائلاً:

- أهلاً ياسمين.

# العودة

التفتت له لتقول في سعادة:

- أهلا زياد...مبارك.

- مبارك علينا جميعاً...لم أستطع الاتصال بأحد في بيت الأمل لانشغالي مع مازن...فهل فعلتي؟!.

- نعم لا تقلق كل شيء على ما يرام...أخبرتني عبير أن البيت انضم له اليوم طفلان جديان.

نظر زياد بعيداً:

- حمداً لله...كم أحلم بأن يكون لبيت الأمل فروع في كل مكان بمصر، مكان يذهب إليه أطفال الشوارع يراودتهم وليس عن طريق الشرطة أو الهيئات الحكومية.

- بأذن الله ستحقق هذا الحلم يا زياد...فمنذ انشاء هذا البيت وكل من دخل فيه من أطفال الشوارع لم يغادره أو يهرب منه أبداً...

- لا تبخسي نفسك حقها...فلقد انشأناه معاً...وتعبنا فيه معاً...وبأذن الله سنحقق حلمي أيضاً معاً.

ابتسمت وهي تخفض بصرها فأردف قائلاً:

- ولكنني أريد أن أحدثك عن حلم أهم.

رفعت رأسها متسائلة، فأكمل:

- انتِ...ياسمين...انتِ حلمي الأهم.

شعرت بجسدها ينتفض ودقات قلبها تتسارع وكأن قلبها سيخرج ليجري في المكان:

-أ..أنا.

ابتسم زياد:

- نعم..أنتِ...فهل تسمحين لي أن أتحدث مع عمي ويأسر في الأمر.

عضت شفتيها وهي تخفض رأسها وقد تحول وجهها للون الأحمر، ولم تستطع النطق بشيء،  
فقال:

- قبول البكر سكوتها...أليس كذلك!؟

كانت السعادة التي تشعر بها تلجم لسانها بل وقدميها التي تمت أن تتحرك بها لتهرب من  
المكان لكنها لم تستطع لا هذا ولا ذاك فابتسم زياد:

- اقتربتي من الوصول للون الفراولة، حسناً زهرة هناك...يمكنك أن تذهبي إليها.

وكانها كانت بجاجة لهذا الطلب لتتحرر قدميها وتوليه ظهرها لتبتعد لكنه أوقفها:

- ياسمين.

توقفت دون النظر إليه، فأردف قائلاً بصوت زلزل كيائها:

- أنا أحبك.  
رُبَّ كَلِمَةٍ أَشْعَلَتْ حُلْمًا

أقشعر جسدها كله واتسعت ابتسامتها عن آخرها وانطلقت لزهرة التي رأتها وهي تعدو  
إليها بوجهها الأحمر ثم ألقت بنفسها عليها لتضمها إلى صدرها وهي تضحك بينما زهرة تنظر

حولها في دهشة:

- ماذا حدث؟!..ماذا حدث!؟



## العودة

لم تجيب ياسمين بل ظلت تضمها وتضحك، بينما يتسم زياد لردت فعلها غير المتوقعة، ثم التفت لياسر الذي كان يراقبها من بعيد وابتسم له فرفع ياسر كفه مشيراً بابهامه بعلامة النجاح وابتسامته تملأ وجهه.

- هيا...تعالوا لنلتقط صورة جماعية..هيا زياد وأنتِ زهرة....أين شادي ..أمي...تعالى.

قالها ماهر وهو يشير للجميع لالتقاط صورة عائلية مع العروسين.

حررت ياسمين زهرة التي قالت:

- ماذا أصابك يا فتاه!؟

قالت ياسمين في سعادة بالغة:

- فيما بعد..هيا أذهبي للتقاط الصورة.

أمسكت زهرة بها:

- تعالى معي.

- لا إنها صورة عائلية.

- وهل تعتبرين نفسك لست من العائلة..لا تكوني سخيفة هيا.

ذهبت معها فهي بالتأكد تريد أن تكون في هذه الصورة التي ستذكرها دائماً بأنه اليوم الذي تحقق فيه حلمها الذي لم تصدق أنه شغل عقلها لأشهر بعد أن عملت مع زياد في إنشاء بيت الامل وعرفت كم كان أخوها محقاً في الاعجاب بشخصيته الرائعة، استطاعت التعرف عليه بحق، كم هو حنون..كم يهتم بالآخرين ولو على حساب نفسه، وكم خشيت أن تكون

## العودة

أضاعت فرصتها معه بسبب عنادها مع أخيها ياسر، كم خشيت أن يقرر زياد الابتعاد عنها ليحميها من ضغط أخيها..ولكن هذا لم يحدث كانت تشعر بشيء في عينيه عندما يحدثها شيء يخبرها أنه سينطق قريباً بما تحب أن تسمع، وفعلاً أخيراً قالها زياد.

وقفت الام بين العروسين لتضمهما بذراعيها بينما وقف زياد وماهر وشادي بجانب مازن ووقفتا زهرة وياسمين بجانب سلمى، ولم يخفى على زهرة الابتسامة الرقيقة المتبادلة بين زياد وياسمين.

ودخلت الصورة في إطارها النهائي..لعائلة كانت السمة المشتركة بينهم هي الحزن لوقتٍ طويل أما الان فلم تكن السمة السائدة بينهم في الصورة سوى ابتسامة مشرقة سعيدة تأمل في غداً أكثر سعادةً....وحباً.

تمت بحمد الله  
رَبِّ كَلِمَةٍ اشْعَلَتْ حُلُمًا  
سارة سيف الدين

٢٠١٠

# المودة

اعمال الكاتبة :

رواية حصاد ماضي

رواية عقد زواج ابتدائي

رواية حنيني إليك



جميع الحقوق محفوظة @ دار مشاعر غالية للنشر الإلكتروني

سارة سيف الدين

مشاعر غالية للنشر الإلكتروني ٤٦٧

- اسم العمل الأدبي: **العودة**
  - نوع العمل الأدبي : **رواية**
  - المؤلف: **سارة سيف الدين** (Nobian Sara)
  - تصميم الغلاف والداخلي : **سارة سيف الدين**
  - تنسيق وتصميم : **سفانة العبيدي**
  - إصدار : **يونيو ٢٠١٦**
  - إشراف عام : **أسامة الوحش**
  - الناشر : **دار مشاعر غالية للنشر الإلكتروني**
- لنشر أعمالكم إلكترونيا يمكنكم التواصل معنا عن طريق إرسال أعمالكم لحساب الفيسبوك الآتي : مشاعر غالية للنشر الإلكتروني**

دار مشاعر غالية للنشر الإلكتروني تقدم خدمات النشر الإلكتروني مجاناً وإلى الأبد بهدف نشر الثقافة والمعرفة ، وتشجيع المواهب الشابة عن طريق الانتشار الواسع على صفحات الإنترنت .  
ملكية العمل الأدبي الوارد بهذا الإصدار على مسؤولية المؤلف بإقراره أنه من نتاج فكره بقلمه هو ، والدار غير مسؤولة عن أي إقتباس أو نسخ أو تعديل قام به المؤلف على المادة المنشورة .